توفيق دياب

ملحمة الصحافة الحزبية

الجزء الثانى

محمود فوزى



توفيق دياب

ملحمة الصحافة الحزبية

توفيق دياب

ملحمة الصحافة الحزبية

محمود فوزى

الجزء الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

توفيق دياب هو بحق ملحمة الصحافة بل قل هو ملحمة حياة وطنية سياسية صحفية زاخرة بالمواقف الوطنية النبيلة... ثرية بالتجارب السياسية الفريدة... متوجة بالمعارك النضالية الرائعة.

محمود فوزى

مقـــدمـــــة

توفيق دياب هو بحق ملحمة الصحافة بل قل هو ملحمة حياة وطنية سياسية صحفية زاخرة بالمواقف الوطنية النبيلة.. ثرية بالتجارب السياسية الفريدة.. متوجه بالمعارك النضالية الرائعة..

كان عليه ان يشد المستحيل ليصبح واقعا وان يشد الواقع ليصبح ممكنا وقد كان.. فتعددت صفاته والقابه.. فهو بحق شخصية متفردة بكل المقاييس.. سواء مقاييس عصره أو عصرنا.. فهو شخصية تحمل هبة الخلود وسمة المعاصرة بل هو دون اية مبالغة من الشخصيات التى من الصعب ان تتكرر لانه ضرب بسهم وافر فى جميع الاتجاهات التى يصعب الآن أن يحذو حذوها احدا لتعددها المستحيل وتفردها المعجز فهو: الاديب المتصوف والكاتب الاجتماعى اللاذع والسياسى المحنك وأول صحفى برلمانى فى تاريخ الصحافة المصرية وأول صحفى يدخل مجمع اللغة العربية.. والمناضل السجين.. وصاحب الجهاد.. وخطيب ثورة ١٩١٩ وقائمة طويلة من الصفات والالقاب التى لم يحظى بها معا احدا قبله.

لقد ملاء توفيق دياب دنيا عصره بثقافته الموسوعية ولعل عبارة عميد الادب العربى الدكتور طه حسين ابلغ دليل يمكن الاستشهاد به

في هذا الخصوص حيث قال: «ملاءت الدنيا ثفافة في حياتك هذه المغامرة الحفبة ملاءنها ثقافة بمحاضراتك أيام الشباب وملاءتها ثفافة بخصومتك السياسية التي اتصلت أعواما طوالا وملاءتها ثقافة بلمحاتك التي كنت تحس بها الحياة الاجتماعية وتحس بها حياة الناس اليومية».

لقد كان توفيق دياب حقيقة ملحمة بكل المقاييس فأفكاره كانت ضد الرصاص ومواقفه من الصعب ان تتكرر ومعاركه سقط تحت سنابك خيلها الظلم والعسف والجبروت.

وهذا الجزء الثاني من كتاب «توفيق دياب.. ملحمة الصحافة الحزبية». وقد صدر الجزء الأول في سلسلة تاريخ المصريين وقد اشتمل على بابين الأول: توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية والثاني: مسيرة الجهاد الصحفية «أما الجزء الثاني فيضم الابواب من الثالث حتى الحادي عشر وبذلك يكتمل الكتاب بحمد الله بصدور جزئيه الأول والثاني.

ويحتوى الباب الثالث من كتاب «توفيق دياب».. ملحمة الصحافة الحزبية «(الدور الوطني لجريدة الجهاد في مظاهرات ١٩٣٥) حيث سجلت الصحيفة أسم جمال عبدالناصر لأول مرة في الصحافة المصرية فلقد حملت جريدة الجهاد لواء الصحافة الحرة في مواجهة المستعمر الانجليزي وكانت لها دورا وطنيا بارزا في ثورة الشباب الوطنية عام ١٩٣٥ فمن المواقف الوطنية التي سجلها التاريخ لهذه الجريدة ان شباب سنة ١٩٣٥ الذين واجهوا رصاص الإنجليز في ميدان الأسماعيلية» «(التحرير الان» حين جرح عدد كبير منهم لم

يفكر الجرحى فى الذهاب إلى الأسعاف فبل ان يذهبوا إلى دار جريدة الجهاد وكان فى المقدمة من أولئك الشباب الطالب الذى صار زعيما للبلاد جمال عبدالناصر الذى كتب أسمه لأول مرة فى الصحافة فى جريدة الجهاد فى ١٥ نوفمبر ١٩٣٥ قبل عاما من قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ !

ولقد نجحت «الجهاد» فى تغطية أحداث هذه الثورة الشابية بالكلمة والصورة بل وصلت إلى أبعد من ذلك فى ٢٣ نوفمبر ١٩٣٥ إذ نشرت «الجهاد» رسالة بخط يد شهيد الشباب السادس الذى استشهد فى هذه الثورة المغفور له محمد عبدالحكيم الجارحى إلى زملائه شباب مصر.. فقد نشرت الجريدة صورة زنكرغرافية للرسالة بخط يد الشهيد قبل ان تصعد روحة إلى بارئها هذا نصها :

أخوانى الأعزاء...

إذ أشكركم شعوركم السامى لما أديته وأعتبره أقل من واجبى فى سبيل البلد الذى وهبت الحياة بل وهب الحضارة للعالم أجمع (أمضاء) الجراحى (السبت ١١/١٦ ـــ الساعة ١١).

أما الباب الرابع فهو يصور «توفيق دياب سجينا من أجل الرأى الحر». فقد كان توفيق دياب فى خوضه معترك السياسة نزاعا إلى الحرية واستقلال الرأى يرفض فى أباء ان تفرض عليه خطة يتبعها أو مذهبا يدين به.. كان لا يقبل شيئا يرفضه ضميره ولا ترتاح إليه نفسه.. وكان يعرف قدر نفسه ويعتز بكرامته واستقلال شخصيته ومن أجل أرائه ومبادئه دخل توفيق دياب السجن لأنه تجاسر وهاجم على صحفات جريدته «الجهاد» وزارة صدقى الحديدية وبرلمانه المصطنع

ويتهم بأهانة مجلس النواب واللجنة البرلمانية المؤلفة لفحص مشروع سد جبل الاولياء وليحكم عليه بالسجن تسعة شهور ولكن توفيق دياب يخرج من سجنه السياسى أشد بأسا وأقوى عزما ليفول لصدقى رئيس الوزراء حينذاك :

« ان الحرية فى مصر مازالت جنينا فى غيب القدر ومن الخير ان يعانى المصريون فى سبيلها كثيرا من الشدائد حتى لا تهون عليهم إذا غمض عنها اليوم السعيد المنتظر ولو عاد دولته أو مثل دولته إلى مثل ما صنع لعدنا إلى مثل ما كتبنا ولو استحال السجن إلى درك يتلظى فى أعماق الجحيم » .

أما الباب الخامس فيحوى المعركة الطاحنة بين العقاد والجهاد وتوفيق دياب وكان يمكن ان تضاف إلى معارك الجهاد وتوفيق دياب فى الباب الأول (الفصل الثامن) (الجزء الأول) ولكن رأينا إنها من الأهمية بمكان بحيث أننا يمكن ان نفرد لها باب كاملا وهى معركة فى الحقيقة يمكن ان نفرد لها مؤلف كاملا لما لها دلالات صحفية وسياسية تؤرخ للصحافة الحزبية فى الثلاثينات .

ولقد بدأ عباس محمود العقاد فى الكتابة للجهاد منذ ٢٨ أكتوبر وقد أرتبط التحاق العقاد بالكتابة فى الجهاد بالأزمة التى كان الوفد يمر بها فى خريف ١٩٣٢ وهى الازمة التى نشأت نتيجة لقبول مصطفى النحاس استقالة محمد نجيب الغرابلى واعتراض ثمانية من أعضاء الوفد على هذا القرار وانضمام صحيفة « البلاغ » كبرى صحف الوفد حتى ذلك الحين جانبهم الأمر الذى عرض لأخطر انشقاق حدث فى صفوفه منذ الانشقاق الأول الذى تم فى عام ١٩٢١

وتمخض عنه تاليف حزب الاحرار الدستوريين. كما ارتبطت فترة كتابة عباس محمود العقاد لجريدة الجهاد ببعض الاحداث الهامة وكان على رأسها السياسة الانجليزية تجاه مصر وبدأ مفاوضات مستر هندرسن وهو ما توقعه العقاد فى مقالاته.. ولقد انتهى النزاع بين العقاد وتوفيق دياب بان ترك العقاد الجهاد من أجل عشرة جنيهات وبعد ان أقسم بانه لن يترك الجهاد ولكنه حنث بيمينه فى أقل من شهر واحد على هذا القسم لتبدأ بعد ذلك معركة المقالات العنيفة واللاذعة بين توفيق دياب والعقاد على صفحات الجهاد وروزاليوسف التى انتقل إليها العقاد.

أما الباب السادس فهو بعنوان: (الجهاد والشئون العربية) وهو يشتمل على فصلين. الأول (وكانت الجهاد ملتقى للعرب) حيث يبرز أهتمام صحيفة «الجهاد» الكبير بالشئون العربية والإسلامية كما فتحت صدر صفحاتها لكبار الكتاب العرب مع الحرص على نشر البحوث والدراسات المختلفة عن الشخصيات العربية والإسلامية البارزة التى تناولت تراجم حياتهم وأعمالهم التى قاموا بها وكانت دار الجريدة ملتقى للعرب من كل الاقطار العربية الشقيقة.

أما الفصل الثانى فهو يتعلق بالقضية الفلسطينية «الجهاد» ومشكلة فلسطين حيث يبرز هذا الفصل الاهتمام المبكر لجريدة الجهاد بمشكلة فلسطين ومايدور فيها من كفاح ضد النفوذ الصهيونى المتغلغل والنفوذ الإنجليزى القائم فى ذلك الوقت ولقد بدأ الأهتمام يتزايد بشكل ملحوظ مع تطور الأحداث منذ عام ١٩٣٦ ومن هنا فقد أطلقت الجهاد على صدر صفحاتها صرخة فى ٢٨ مايو سنة ١٩٣٦ تقول: (أيها المصريون الكرام ــ المسجد الأقصى فى خطر فهبوا لأنقاذه).

ولقد شاركت الجهاد فى الدعوة إلى انقاذ فلسطين باقامة الندوات والقاء الخطب فلقد عقد فى مكتب الجهاد بالاسكندرية فى ٢٥ مايو ١٩٣٦ ندوة عن فلسطين بعنوان : (فلسطين الشهيدة الثائرة) . كان لها صدا واسعا ونقلتها صحف العالم .

والحقيقة ان توفيق دياب كانت له علاقة طيبة بالفلسطنيين وقد زار فلسطين فى يونيو ١٩٣٤ وقد استقبله عند زيارته لبلده بيسان ٦٠٠ فارس عند مدخل البلدة وقد نشرت مجلة اللطائف المصورة فى عددها الصادر فى ٢٣ يوليو ١٩٣٤ صور لهذا الاستقبال الحافل فقد أوقف أهالى فلسطين القطار الذى كان يستقبله توفيق دياب وحملوه على الاعناق .

وكانت الجهاد قد نشرت قبل ذلك مجموعة كبيرة من التحقيقات الصحفية المزودة بالصور منذ أول يوليو وحتى ٩ يوليو ١٩٣٤ « زيارة محمد توفيق دياب إلى فلسطين) .

ولم تتوقف المواكبه لمشكلة فلسطين بتوقف « الجهاد » بل تابع توفيق دياب المشكلة من خلال أحاديثه الأذاعية عام ١٩٤٨ ثم مقالاته فى جريدة الأخبار أبتداء من ١٧ ديسمبر ١٩٥٥ .

ولقد تناول الباب السابع (أسلوب توفيق دياب السياسى) سواء فى مقالاته السياسية أو من خلال عناوينه البارزة كرئيس تحرير لجريدة الجهاد وقد تميز هذا الأسلوب بالقوة والفصاحة والبلاغة والسلاسة وقد ساهم هذا الأسلوب السياسى البليغ فى الدفاع عن القضايا الوطنية والصراعات الحزبية والمعارك الشخصية .

ويعرض الباب الثامن لنزعة التصوف المتأصلة عند توفيق دياب

تحت عنوان (توفيق دياب.. متصوفا). ولقد كان توفيق دياب مؤمنا تغلب عليه النزعة الصوفية المتأملة التى تحسها فى عباراته كاتبا وخطيبا كرجع الصدى وكانت هذه الظاهرة من أخص ملامح شخصيته ولها فى حياته أثر كبير.

كان توفيق دياب من الباحثين عن الحقيقة.. الذين ينشدون الوصول إلى المرافى الدافئة.. كان متصوفا.. وكان التصوف هو النبع الصافى الذى أرتوت منه روحه.. هو بر الأمان الذى وصل إليه.. هو الواحه التى شعر تحت ظلالها بجلال الإيمان.. وقوة اليقين وقد تجلى ذلك واضحا فى مقالاته وخطبه وأقواله.

أما الباب التاسع فهو رسم صورة (توفيق دياب فى عيون معاصريه) حيث يعرض لآراء كبار الكتاب والمفكرين والشعراء فى توفيق دياب ومنهم د. طه حسين ومصطفى أمين وعزيز أباظة وحافظ محمود وعبدالرحمن الشرقاوى وعباس حافظ.

أما الباب العاشر فهو يتناول (فلسفة الموت فى فكر توفيق دياب!) ولقد شغلت «فلسفة الموت» الكاتب الكبير محمد توفيق دياب وقد تصدى لها طارحا جانبا بذلك عبارة بوسوية الشهيرة:

«إن إهتمام الناس بدفن أفكارهم عن الموت قد لا يقل شأنا عن أهتمامهم بدفن موتاهم فخوف اناس من الموت هو الذى حدا بهم إلى تجاهل التفكير فى الموت أو العمل على تناسيه».

وقد تصدى دياب (لفلسفة الموت) فى مقالاته ومحاضراته وأقواله ولقد تجلى ذلك واضحا فى المحاضرة التى القاها فى يناير سنة ١٩٣١ وكان عنوانها «بأى ميزان نزن الحياة والتى يقول فيها:

«نولد أجنة وندرج أطفالا وننشأ حبيبة ونراهق فتيانا ونستوى رجالا ونبلغ الكهولة وتدركنا الشيخوخه ان قدر لنا ان نعمر ثم ماذا ؟ ثم تجف الشجرة وتذوى الازاهير ويتساقط الورق وما هو الا نفس أخير تلفظة فإذا نحن رفات وذلك دون ان نفكر يوما لماذا ولدنا ولماذا حيينا ولماذا نموت ؟ ! » .

ويتضح من ذلك أن الفكر الفلسفى للموت عند توفيق دياب يقترب كثيرا ان لم يكن يطابق قول أسبنيوزا :

«ان أخر ما يفكر فيه الرجل الحر هو الموت : لان حكمته ليست تأملا للموت بل تأمل للحياة » .

أما الباب الحادى عشر فقد تناول ولأول مرة «ببليو جرافية» كتابات عن توفيق دياب .

وهى تشمل أولا كل ما كتب من أخبار ومعلومات فى الصحف والدوريات عن توفيق دياب .

وثانيا كل المقالات التى كتبت عن توفيق دياب فى الصحف والمجلات .

وثالثا الفصول التى كتبت فى مؤلفاته وكتب عن توفيق دياب .

ورابعا الرسائل الجامعية عن توفيق دياب والجهاد .

خامسا الكلمات التى القيت عن توفيق دياب .

ثم أختتمت الكتاب بالمراجع التفصيلية للجزءين الأول والثانى من كتاب «توفيق دياب .. ملحمة الصحافة الحزبية» ولا شك أن هناك مراجع أصلية أعتمدت عليها ومنها بالطبع : المرجع الأصلى لكل باحثا عن شخصية توفيق دياب وهى أعداد جريدة الجهاد منذ صدورها فى

١٧ سبتمبر ١٩٣٢ وحتى توقفها فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٣٩. مع اطلالة على الصحف والدوريات التى تزامنت مع الجهاد فى نفس الفترة مثل الأهرام والبلاغ واللطائف المصورة والهلال وكذلك مؤلفات المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعى (ثورة ١٩١٩ — فى أعقاب الثورة المصرية (الجزء الأول والثانى).

ومصطفى كامل باعث الحركة الوطنية.. وكتاب الدكتور عبد العظيم رمضان «تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٨٨٢ إلى ١٩٣٦ وكذلك مؤلفات الكاتب الكبير مصطفى أمين (من عشرة لعشرين) (ولكل مقال أزمة).

وأيضا رسالة السيدة الدكتورة ناهد أبو العيون «صحيفة الجهاد» (رسالة ماجستير) ١٩٧٨ غير منشورة — كلية الأعلام — جامعة القاهرة باعتبارها من أولى الرسائل الجامعية فى هذا الموضوع.

هذا فضلا عن أكثر من ٤٠ مرجعا أساسيا وكذلك الدوريات المصرية من صحف ومجلات ومقابلات شخصية وملف صحيفة الجهاد بقسم المطبوعات وتراخيص الصحف القديمة بالهيئة العامة للاستعلامات فضلا عن الرسائل الخاصة الخطية لتوفيق دياب والتى أرسلها من لندن أثناء دراسته لاسرته بالقاهرة.

ولهذا لا يسعنى إلى ان أتقدم بالشكر والوفاء للجميل إلى أسرة توفيق دياب وعلى رأسها عميدها الأستاذ: الدكتور كامل دياب لاتاحته الفرصة لى بوضع جريدة الجهاد بأعدادها كاملة تحت تصرفى للدراسة وهى لا غنى عنها لاى باحث يتطرق إلى هذا الموضوع وكذلك الأوراق الخاصة بتوفيق دياب ورسائلة الخطية كما أتقدم بالشكر إلى

دار الكتب المصرية وقسم المعلومات بصحف الأخبار ـ الأهرام ـ الجمهورية وقسم المطبوعات وتراخيص الصحف القديمة بالهيئة العامة للاستعلامات ومكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة على حسن تعاونهم معى جيعا وأمدادهم بالصحف والمراجع التى ساهمت بصورة فعالة فى أخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود .. «توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية» .

محمود فوزى

الباب الثالث

الدور الوطنى للجهاد فى مظاهرات ١٩٣٥

الجهاد تسجل اسم جمال عبد الناصر لأول مرة فى الصحافة المصرية

حملت جريدة الجهاد لواء الصحافة الحرة فى مواجهة المستعمر الانجليزى وكانت لها دوراً وطنياً بارزاً فى ثورة الشباب الوطنية عام ١٩٣٥ فمن المواقف الوطنية التى سجلها التاريخ لهذه الجريدة أن شباب سنة ١٩٣٥ الذين واجهوا رصاص الانجليز فى ميدان الاسماعيلية «التحرير الآن» حينما جرح عدد كبير منهم لم يفكر الجرحى فى الذهاب إلى الاسعاف قبل أن يذهبوا إلى دار جريدة الجهاد وكان فى المقدمة من أولئك الشباب الطالب الذى صار زعيماً للبلاد جمال عبد الناصر الذى كتب اسمه لأول مرة فى الصحافة فى جريدة الجهاد فى ١٥ نوفمبر ١٩٣٥ قبل ١٧ عاماً من قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢!

ولقد بلغت الحملات الصحفية المكثفة للجهاد ذروتها فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٣٥ عقب تصريح السير صمويل هور باعتباره أخطر تصريح رسمي يتناول مسألة الدستور فى تلك الفترة كما سبق وأن ذكرنا من قبل فى فصل «موقف الجهاد من سياسية الانجليز».

بل لقد خرجت الجهاد فى الأحد ١٠ نوفمبر ١٩٣٥ «العدد ١٤٩٥» وعلى صفحتها الأولى هذه المانشيتات: (الحكومة البريطانية تهدم تصريح ٢٨ فبراير ــ وزير خارجيتها يقول إن دستور سنة ١٩٢٣

غير صالح العمل بمقتضاه ـ الأحباش يأسرون ألف جندى صومولى ويفتحون ذخائر حربية عظيمة فى معركة جوراهاى ـ الحبشة تستورد خمسين طيارة حربية من أحدث طراز لاستخدامها ضد غارات الطليان الجوية ـ النجاشى يصدر مرسوماً بمقاطعة كل ما هو إيطالى ـ انتقال إلى ميدان القتال يوم ١٤ نوفبر).

أخبار آخر ساعة ـ تصريح وزير خارجية بريطانيا فى حفلة الجليد هول بلندن مساء أمس يهدم تصريح ٢٨ فبراير من أساسه ويجعل دستور مصر رهناً بإرادة انجلترا فماذا يقول فى هذا دعاة الاتحاد ؟.

ولقد كتب محمد توفيق دياب مقالة يعلق فيها على خطبة محمد محمود باشا ويرفض الائتلاف بمعناه السابق فى نفس العدد من الجهاد تحت عنوان «ختام التعقيب على خطبة محمد محمود باشا ـ الاتحاد فى الخطة والغاية واجب الجميع إما الائتلاف بمعناه السابق لا. وفيها يقول :

« يحسن قبل أن نبدأ هذه الكلمات التى نختم بها تعقيبنا على خطبة صاحب الدولة محمد محمود باشا ـ أن نقول استناداً إلى أكبر المصادر الوفدية أن فكرة الائتلاف بين الوفد والهيئات السياسية الأخرى على المعنى المفهوم من الائتلافات السابقة فكرة لا سبيل إلى قبولها بحال وإنما الأمر المقبول بل الواجب المحتوم الذى تفرضه الظروف الدقيقة الحاضرة على المصريين جميعاً على الهيئات السياسية خاصة وعلى البارزين من رجال السياسة المصرية ومن ذوى الرأى والتفكير مستقلين كانوا أو حزبين ـ هو أن يختطوا خطة واحدة ويرموا إلى غرض واحد إذا أصرت الحكومة البريطانية على محاربة دستور الأمة وتجاهل استقلالها.

ذلك هو الواجب المحتوم على الجميع وهو الواجب الميسور لكل هيئة وحزباً دون حاجة إلى تلك الطريقة التى جربت غير مرة فلم تتيح لمصر خيراً ـ طريقة الائتلاف بمعناه القديم» .

ولقد واكبت الجهاد مظاهرات ١٩٣٥ وكان لها دوراً وطنياً بارزاً يتضح ذلك من المتابعة الإخبارية والصحفية الدقيقة والعناوين الحماسية المؤثرة والتى تبدو من المانشيتات ابتداء من يوم الجهاد الأكبر فى ١٤ نوفبر والتى امتدت أسبوعاً ساخناً تابعت فيه الجهاد ـ بالكلمة والصورة ـ المظاهرات ـ وسقوط الشهداء والجرحى فى المستشفيات والسياسة المصرية والانجليزية تجاه هذه الأحداث .

فلقد صدرت الجهاد يوم الخميس ١٤ نوفبر ١٩٣٥ (العدد ١٤٩٩) تحمل على صفحتها الأولى هذه العناوين الكبيرة البارزة :

(خطاب الرئيس التاريخى فى الجموع الهائلة المحتشدة للاحتفال بذكرى الجهاد الرئيس يوجه الدعوة باسم الوفد إلى :

(١) الأمة بعدم التعاون مع الانجليز.
(٢) الوزارة بالاستقالة ويعلن .
(٣) عدم تأييد الوزارة إذا لم تستقل .
(٤) مقاومة كل وزارة تقبل التعاون مع الانجليز ـ أربعون ألفاً فى السرادق ـ خطبة حماسية فياضة للمجاهد الكبير ـ اطلاق الرصاص على الجماهير المتظاهرين بعد انتهاء الاحتفال ـ آخر أنباء الحرب الحبشية .

وتابعت الجهاد هذه الأحداث الهامة فى تاريخ مصر فى الصفحات الداخلية للجريدة فعلى الصفحة الخامسة كانت هذه العناوين : (يوم

مصر العظيم ـ عيد الجهاد الأكبر ـ أحزاب الطلبة ـ المظاهرات الشعبية فى النادى السعدى ـ تجمع الألوف المؤلفة ـ اصابات على ضريح سعد ـ فى السرادق الكبير تدفق الجماهير من الساعة الثانية ـ الهتافات الحماسية الشديدة ـ خطبة الطلبة ـ حضور الرئيس والمجاهد الكبير) .

(إطلاق الاعيرة النارية فى شوارع القاهرة ـ تفصيلات وافية عن مظاهرات أمس الرائعة ـ احتفالاً بعيد الجهاد الوطنى ـ تحطيم زجاج نوافذ القنصلية البريطانية ـ ثمانى حوادث بين المتظاهرين والبوليس) .

وفى اليوم التالى مباشرة (١٥ نوفمبر ١٩٣٥ ـ العدد ١٥٠٠) خرجت الجهاد بالعناوين التالية والتى تبرز اشتعال الموقف :

(تفاصيل مصادمات أمس ـ وفاة المرحومين محمد عبد المجيد طالب كلية الزراعة والعامل سيد الخالع ـ البوليس يسلم الجثتين لأهلهما بعد تعهد كتابى ـ الوزارة تصدر مرسوماً شاذاً بتقييد حرية الصحف ـ نص المرسوم الحكومة البريطانية تعلن رسمياً عدم عدولها عن خطتها فى مصر ـ حملة شعواء لصحف العمال وغيرها على وزير الخارجية بريطانيا وتصريحه جريدة ستار تشدد عليه النكير ـ انتصارات جديدة للأحباش) .

ولقد كتب محمد توفيق دياب يندد بسياسة القمع وقتل الأبرياء فى ١٦ نوفمبر ١٩٣٥ تحت عنوان : «وسائل القمع وازهاق الأرواح ـ المرسوم الشاذ لمصادرة الصحف وتعطيلها ادارياً» .

«مستحيل علينا التسليم بأن الوسائل التى تلجأ إليها السلطات فى مصر لقمع المظاهرات وتفريق الجموع هى الوسائل المشروع فى حدودها

التى يبيحها القانون وتقرها الإنسانية » .

واللجوء إلى إطلاق الرصاص على المجتمعين أو المتظاهرين إنما يكون إذا تفاقم عدوان المتظاهرين على القوات ولم يعد سبيل إلى تفريقهم إلا بإطلاق الرصاص وقد كان المفروض فى وزارة كالوزارة النسيمية كانت الأمة تؤيدها حتى يوم ١٣ نوفمبر ــ أن تكون من الحرص على أرواح المصريين بحيث تستنفد جميع الوسائل قبل أن تلجأ قواتها إلى استعمال الحديد والنار» .

وقد واصلت «الجهاد» متابعتها للأحداث والتى وصلت إلى ذروتها فى ١٨ نوفمبر ١٩٣٥ فكانت عناوين العدد (١٥٠٣) من الجهاد كالتالى :

(تشييع جنازة شهيد دار العلوم فى مشهد رهيب يتقدمه الرئيس الجليل مساء أمس احتجاج الوفد المصرى على تصرفات الوزارة النسيمية وبقائها فى الحكم ــ تفاصيل المظاهرات فى القاهرة والاسكندرية والأقاليم ــ تعطيل الدراسة فى ثلاث للبنــات بالقاهرة ومدرسة الزراعة بشبين الكوم ــ بناء مقبرة للشهداء بالاسكندرية) .

ثم تابعت الجهاد فى اليوم التالى مواصلة عناوينها الساخنة (١٩ نوفمبر ــ العدد ١٥٠٤) .

(نص احتجاج الوفد لدى عصبة الأمم ــ الرئيس الجليل وحرمة المصون يواسيون الجرحى فى مستشفى القصر العينى ــ صاحبة العصمة أم المصريين تستقبل جموع الآنسات المتعلمات فى بيت الأمة) .

كانت هذه عناوين الصفحة الأولى وعلى يسار الصفحة نشرت الجهاد صورة كبيرة لمصطفى باشا النحاس وحرمه السيدة زينب الوكيل

والدكتور على ابراهيم عميد كلية الطب فى زيارة لعبد الحكيم الجارحى الذى أصيب برصاص البوليس ثم صورة أخرى فى أسفل الصفحة تحت عنوان (اعتداء مؤلم عند مستشفى القصر العينى) وكتب تحت الصورة: الشاب ابراهيم عبدالمجيد عوض الذى اعتدى عليه أحد الضباط الانجليز اعتداء قاسيا ويرى هنا وقد حملة بعض زملائه.

ثم نشرت الجهاد صورة للجراحي والجنازة فى العدد (١٥٠٥) وخرجت العناوين الرئيسية (أسبوع الشهداء ـ الأمة تشيع شهيدها السادس فى مشهد شعبى جامع رهيب ـ الرئيس الجليل وأعضاء الوفد على رأس المشيعين ـ اشتراك الجامعة فى وداع فقيدها).

وكتب محمد توفيق دياب يقول تحت عنوان: (أسبوع الشهداء):

«شهيدان فى طنطا وشهيد العمال ـ وشهيد كلية الزراعة ـ وشهيد دار العلوم وشهيد كلية الآداب».

ست من المهج الفتية المصرية مزقتها أيدى الباطشين باسم النظام فى أسبوع! ستة من الألسنة الهاتفة باسم مصر ودستور مصر واستقلال مصر اسكتها المسكتون إلى الأبد.

لكنهم اسكتوهم فى الأرض ليسأنفوا أنشودة الوطن وصيحة الحق مجلجلة فى السماء بين إخوانهم الشهداء السابقين المجاهدين بأرواحهم فى الآخرة كجهادهم فى الدنيا بالجوارح والقلوب.

«ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون».

إن من يقرأ جريدة الجهاد خلال النصف الثانى من شهر نوفمبر ١٩٣٥ يقف على حقيقة مظاهرات عام ١٩٣٥ والتى يعتبرها البعض

«الثورة الوسطى» لأنها تقف زمنياً وتاريخاً وشعبياً بين الثورتين: ثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٥٢.

ولقد نجحت «الجهاد» فى تغطية أحداث هذه الثورة الشبابية بالكلمة والصورة بل وصلت إلى أبعد من ذلك فى ٢٣ نوفمبر ١٩٣٥ إذ نشرت الجهاد رسالة بخط يد شهيد الشباب السادس المغفور له محمد عبدالحكيم الجارحى إلى زملائه شباب مصر.

فقد نشرت الجريدة صورة زنكرافية للرسالة بخط يد الشهيد قبل إن تصعد روحه إلى بارئها هذا نصها:

إخوانى الأعزاء...

إذ أشكركم شعوركم السامى لما أديته واعتبره أقل من واجبى فى سبيل البلد الذى وهبنا الحياة بل وهب الحضارة للعالم أجمع (امضاء) الجراحى.

(السبت ١١/١٦ ـ الساعة ١١)

وقد هيأت «الجهاد» الأذهان لكل ألاعيب المستعمر الانجليزى حين رفع توفيق نسيم الأمر إلى الملك فؤاد فى ابريل ١٩٣٥ بشأن إعادة الدستور وقد وافق الملك على طلبه ولكن بريطانيا مارست ألاعيبها فى التسويف والمماطلة فعكست الجهاد الشعور العام المصرى تحت عنوان: «الحقيقة التى نفتقدها».

ثم استمرت الجريدة فى سياستها فى مواجهة المماطلة الانجليزية فقد نشرت «الجهاد» فى ١ يونيو ١٩٣٥ (العدد ١٣٥٤) عناوينا تفصح عن فحواها وتكشف ألاعيب السياسة البريطانية: (الشرف السياسى

البريطاني في كفة الميزان ـــ أو السياسة البريطانية بين الأقوال والأفعال) .

اجماع زعماء الأحزاب البريطانية في مجلس النواب في سنة ١٩٢٨ على وجوب احترام الدستور المصري ـــ نصوص تصريحاتهم بالانجليزية وترجمتها العربية ـــ قرارات خطيرة للجمعية العمومية للمحامين) .

ولقد نشرت «الجهاد» على يمين الصفحة الأولى : (النص البريطاني السياسي في كفة الميزان ـــ ماذا قال مستر مكدونالد وسير أوستن شمبرلن في سنة ١٩٢٨ بمجلس النواب البريطاني ـــ حكم مصر الذاتي والدستور المصري ـــ المناقشات البرلمانية في مجلس النواب البريطاني بتاريخ ١٠ مايو سنة ١٩٢٨ والترجمة العربية للنص الانجليزي .

ثم واصلت الجهاد «حملتها في عددها ١٣٥٣ بتاريخ ٨ يونيو ١٩٣٥ : (تأليف الوزارة البريطانية الجديدة وأسماء أعضائها ـــ ألاعيب ومداورات تشين الدبلوماسية البريطانية وتجني على سمعة الشعب البريطاني) .

وقد نشرت الجهاد المذكرة التي قدمها توفيق نسيم إلى الملك في ٨ يونيو والتي تؤكد جدية التفكير في إعادة الدستور في خلال تلك الأونة .

هذا وقد **دعا** مصطفى النحاس يوم الجهاد في ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ وزارة توفيق نسيم إلا الاستقالة بل أنه هدد بعدم تأييدها ومحاربتها إذا لم تقدم استقالتها على الفور. وكانت النتيجة الطبيعية لذلك رد فعل جماهيري تمثل في المظاهرات الشعبية التي سقط بسببها شباب مصر

أن دور جريدة الجهاد وصاحبها محمد توفيق دياب كان فعالاً فى الهاب حماس القرار والجماهير فى ثورة ١٩٣٥ وكان رائعاً من حيث التغطية الصحفية الكاملة للثورة الوسط فى تاريخ مصر الحديث فى القرن العشرين ما بين ثورتى ١٩١٩ و١٩٥٢ إلا وهى ثورة ١٩٣٥.. ومن مفارقات الأيام إن يأتى اسم جمال عبد الناصر مفجر ثورة ١٩٥٢ لأول مرة على صفحات الجهاد من خلال اشتراكه فى مظاهرات ١٩٣٥ ومن خلال متابعة دقيقة للجهاد لأدق تفاصيل هذه الثورة الشعبية.

«ليس فى طوق النفس إن تتمثل فتستحضر الرجل والصديق والكاتب والخطيب والوطنى والمجاهد فى توفيق دياب فكل أولئك قد حبسوا مع شخصية بين جدران سجن لا ينفذ إليه نور ولا يشع منه نوراً.. ولكنا رغم ذلك كله قانعون بما بقى لنا من توفيق دياب فقد بقى لنا الكثير بل بقى لنا الكل فى الكل إذا بقيت لنا نفسه».

«مكرم عبيد»

الباب الرابع
توفيق دياب سجيناً من أجل الرأى الحر

كان توفيق دياب فى خوضه معترك السياسة نزاعاً إلى الحرية واستقلال الرأى يرفض فى اباء أن تفرض عليه خطة يتبعها أو مذهباً يدين به.. كان لا يقبل شيئاً يرفضه ضميره ولا ترتاح إليه نفسه.. وكان يعرف قدر نفسه ويعتز بكرامته واستقلال شخصيته. ومن أجل ارائه ومبادئه دخل توفيق دياب السجن لأنه تجاسر وهاجم على صفحات جريدته «الجهاد» وزارة صدقى الحديدية وبرلمانه المصطنع ويتهم بإهانة مجلس النواب واللجنة البرلمانية المؤلفة لفحص مشروع سد جبل الأولياء وليحكم عليه بالسجن تسعة شهور. ولكن توفيق دياب يخرج من سجنه السياسى أشد بأساً وأقوى عزماً ليقول لصدقى رئيس الوزراء حينذاك :

«ان الحرية فى مصر مازالت جنينا فى غيب القدر. ومن الخير أن يعانى المصريون فى سبيلها كثيراً من الشدائد حتى لا تهون عليهم إذا غمض عنها اليوم السعيد المنتظر. ولو عاد دولته أو مثل دولته إلى مثل ما صنع لعدنا إلى مثل ماكتبنا ولو استحال السجن إلى درك يتلظى فى أعماق الجحيم».

وقد سبق توفيق دياب إلى السجن الكثير من الأدباء والشعراء

والكتاب فى العالم على امتداد التاريخ الإنسانى : المتنبى وأبو الفراس الحمدانى وابن زيدون والمعتمد بن عباد ومحمود سامى البارودى ومن أدباء الغرب : ديستوفسكى وفنلنون والقائمة طويلة لاتنتهى ففى أدب السجون أرق الأحاسيس وأعذب الألحان فلاشك أنه مما يؤلم الأديب المضطهد حبسه واخراس صوته لذلك نجد فى أدب السجون أشجى التلاحين وأصدق العواطف وأعمق الأحاسيس التى تهز الأفئدة الحرة والنفوس الأبية .

وكان عملاق الفكر العربى عباس محمود العقاد قد سبق توفيق دياب إلى السجن عام ١٩٣٠ حيث ترامت الإشاعات بأن الملك فؤاد سيحاول الاعتداء على الدستور ويعطله ويحل مجلس النواب فكبر ذلك على العقاد الذى يتبنى الديمقراطية التى تقوم على أن الأمة مصدر السلطات وأن الحكم الديمقراطى الصحيح يجب أن يرتكز على ارادة الشعب .

ولما عقد مجلس النواب اجتماعاً خاصاً للنظر فيما يدبر للحياة النيابية وقف الخطيب وانتقد بشدة خصوم الأمة وأعداء الدستور. وأطلق عبارته المدوية الخالدة :

«أن الأمة على استعداد لأن تسحق أكبر رأس يخون الدستور أو يعتدى عليه» .

ولما مثل رئيس المجلس بين يدى الملك فؤاد فى إحدى المناسبات قال له الملك فى خلال حديثه معه «عباس العقاد يريد أن يحطم رأسى» ولم تستطع السراى محاسبة العقاد لتمتعه بالحصانة البرلمانية ولكن أخذ رجالها يتتبعون مقالات العقاد الشديدة اللهجة ليجعلوا منها

الأدلة على العيب فى «الذات الملكية» التى دخل بسببها العقاد «عالم السدود والقيود لمدة تسعة شهور».

ولقد تعرض توفيق دياب للسجن مرات عديدة بسبب مقالاته التى كان يحارب بها الرجعية فى السياسة المصرية خلال حكم الملك فؤاد وإبان وزارة اسماعيل صدقى حيث قضى فى إحدى المرات تسعة شهور بعد أن برأته محكمة الجنايات ثم تدخلت السراى فى القضاء فحكمت عليه محكمة النقض بتسعة شهور.

وقد علقت مجلة اللطائف فى ٦ مارس سنة ١٩٣٣ على حكم محكمة النقض بحبس توفيق دياب بقولها:

إن كان عندك يا زمان بقية مما يضام بها الكرام فهاتها

رأت محكمة النقض أن ما نشره الكاتب القدير الاستاذ محمد توفيق دياب خاصة بمجلس النواب يستحق عليه العقاب واقتنعت بأن مدة العقاب ثلاثة أشهر فأصدرت حكمها أما المحكوم عليه فقد رضى بالحكم واقتنع بتنفيذه على خير وجه يقوم به الشجاع الذى لا يعرف للجبن شبحاً ولا رسماً وهو صاحب الجهاد.

فهل اقتنعت الحكومة ورجالها المسئولون بأن السجن الذى يضم المجرمين والسفاكين والقتلة والنشالين واللصوص والنصابين وذوى النفوس الوضيعة هو السجن الذى يضم قادة الرأى وأصحاب النفوس الشريفة الأبية ورجال العلم والأدب والسياسة والثقافة من المصريين.

إن فى سجن مصر قسماً للحريات لهم امتيازات يتمتعون بها فعلاً كان للصحفى مثل هذا الامتياز حتى لا يتساوى فى المعاملة بأحط

الناس المجرمين وحتى لا تحاك له المؤامرات داخل السجن وحتى لا يسأم عذاباً بدنياً فوق عذاب الضمير الذى يتحمله فى شمم وإباء.

ليس السجن مذلة أو عاراً إلا للمجرمين الأدنياء فقد دخل السجن سيدنا يوسف عليه السلام بعد أن أدعت عليه امرأة العزيز ما ادعت فقال: «رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه».

وقديماً دخل السجن الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان وعرض عليه القضاء ففضل السجن على تولى القضاء خوف انحراف النفس إلا مالا يقال عنه عدل.

وكم من الأمراء والخلفاء دخلوا السجن لا لجريمة اقترفت بل لمخالفة فى الرأى أو دفاع عن عقيدة. وكم شاعر وكاتب وأديب وخطيب وصحفى وصف السجن وهو سجين وحسبنا أن نذكر فى هذا المقام قول بعضهم:

«قال حسبت فقلت ليس بضمائرى حبس وأى مهند لا يغمد».

هذا ما أراده الله وهذا ما رضيته المحكمة الموقرة التى أصدرت حكمها وهذا ما عمل على تنفيذه الاستاذ دياب فما الذى تريد أن تفعله الحكومة على رجال الصحف الذين تعرف قدرهم ومكانتهم وأنهم يسجنون لارتكاب جماعة صحفية فلم يقتلوا ولم يسرفوا ولم تخرج جرائمهم عن نشر أرائهم وعقائدهم ؟!.

وتتساءل مجلة اللطائف قائلة:

ما الذى يقصده الشارع من تنفيذ مدة العقوبة ؟! أيقصد تعذيب السجين الصحفى وتعريضه للأمراض والاسقام أم يقصد حبسه عن

الحرية وتأديبه وزجره بحجزه وأقصائه عن العالم الحى؟ وهذا منتهى ما ينتظر أن يعاقب به مقترفوا جرائم الرأى والعقيدة بل هذا ما يعاقب به المجرمون السياسيون في الممالك المتمدنة الغربية ذات السيادة والاستقلال.. وقد لا يدرك من بيدهم الأمر مقدار ما بلغه السجين فى السجون المصرية وقد يظنون أن شىء ممنوع ولو عقب سيجارة والعقاب لابد واقع على المسجون مادام هناك شهود تشهد.

والعقاب فى هذه الحالة يتفاوت بين الحبس الانفرادى ومدته من ثلاث أيام إلى ١٤ يوماً وحسب رجال الحكومة أن يدركوا أن الحبس الانفرادى هو الإقامة فى زنزانة بلا فرش ولا غطاء فى الصيف والشتاء. ولا يقدم للمسجون من الطعام غير رغيفين من عيش السجن وكوز من الماء وان تكرر —الاتهام— أو الجريمة جاز جلد المسجون من ٦ جلدات إلى ٣٦ جلدة بسوط له عشرة فروع من التيل المفتول وفى كل فرع عشر عقد ويوضع فى الماء والملح قبل موعد الجلد بعشر ساعات لتتصلب تلك الفروع وهذا ما نستبعد وقوعه.

فهل يستطيع أى إنسان سجين أن يبتعد عن مخالفة المجرمين الأشرار مع وجود هذا التعذيب البدنى أو ينخرط فى سلكهم دفاعاً عن حياته ؟!.

ويدخل توفيق دياب السجن.. ولكن من الجدير بنا أن نعرف الساعات الأخيرة قبل دخوله السجن لنتعرف من خلالها على شجاعة وجسارة وإيمان توفيق دياب.

كيف كانت الساعة الأخيرة قبل دخوله السجن على نفسه ؟! إن السياسى الكبير مكرم عبيد يصف تلك اللحظات الحاسمة فى مقالته

التى نشرها فى اللطائف المصورة «فى ١٣ مارس ١٩٣٣» تحت عنوان :

«الاستاذ توفيق دياب سجين قره ميدان» فيقول :

بعد أن ختمت مرافعتى أمام محكمة النقض والابرام وقف الاستاذ توفيق دياب مدفوعاً بتلك الحاسة الطبيعية فيه فأعلن احترامه لحكم المحكمة والقانون ثم أكد فى الوقت نفسه أنه لم يكتب إلا ما أملاه عليه ضميره واعتقاده ــ تلك هى الناحية التى عنى بها رجل الضمير والاعتقاد ، فإنه أراد أن يقنع قضاته بصحة اعتقاده وأن رأوا فيها هذا الاعتقاد خطأ أو مخالفة لأحكام القانون .

وبعد أن خرجنا من المحكمة ذهبنا إلى منزلى حيث دعوته لتناول طعام الغداء معي ، وبينما نحن على مائدة الطعام دق جرس التليفون ، فإذا بدولة الرئيس الجليل يخبرنى بصوت تهدجت نبراته أن قد صدر الحكم على توفيق دياب بالحبس مع الشغل وبالغرامة .

ويروى مكرم عبيد كيف أبلغ توفيق دياب بنبأ الحكم عليه لم أدر كيف أبلغه هذا الخبر الذى لم يكن يتوقعه ، فافتعلت ابتسامة ، وتصنعت شجاعة ، وقلت له ضاحكاً ضحكة ــ هى أقرب أنواع الضحك إلى البكاء ــ هيىء نفسك يا صديقى للسجن فقد صدر حكم القضاء عليك ، فلشد ما دهشت عندما رأيته يتقبل هذا النبأ برباطة جاش وشجاعة لا تعمل فيها ولا اصطناع ، ثم راح يؤاسينا ويضحك من وجومنا ، وبعد هنيهة دق جرس التليفون مرة أخرى ، فإذا بأفراد من أسرة الأستاذ دياب يستعجلون حضوره إليهم خشية أن يقبض عليه قبل أن يروه .. ؟! وبعد أن أكلنا وعلم الله كيف أكلنا ــ اصطحبت

توفيق دياب إلى منزل دولة الرئيس الجليل وهناك رأينا الرئيس الذى لا يزعزعه خطب ــ رأيناه محتقن الوجه ، جاف الدمع ، متهدج الصوت ، وما أسرع ما هرع الجندى إلى ذراعى قائده يقبله ويتلقى قبلاته ، فكان مشهداً بليغا فى سكونه ، وفى جلاله .

ثم يصف لنا مكرم عبيد كيف استقبل عمل «الجهاد» توفيق دياب بعد علمهم بهذا الخبر الحزين ... وكيف كان وقع هذه الصدمة على أسرته وأبنائه الصغار «كامل» و«صلاح» .

ثم رجعنا إلى دار الجهاد ، وإلى دار صاحبه فاستقبلنا عمال الجهاد يبكون فعلمت أنهم يبكون فى السيد الذى يخدمون ، الرجل الذى يحبون .

ثم تركنا الاستاذ ودخل إلى داره ليودع الزوجة والأولاد .. وهنا يجب أن اعترف أن الدمع الذى كان جائشاً فى صدرى غلبنى فى النهاية على أمرى . فبكيت لمجرد ما تخيلت .

وبعد هنيهة خرج توفيق دياب مبتسماً ، أو بالأحرى محاولاً الابتسام ، وطفق يحدثنا ويسامرنا ، وبدلاً من أن نشجعه راح يشجعنا ، ثم رأيته يسكت بغته وينعقد الكلام فى لسانه ، فلاحت منى التفاتة فرأيت «كامل» و«صلاح» ، نجليه الصغيرين ، يدخلان علينا وفى عينيهما البريئتين نظرة أرجو أن لا يرينى الله مثلها حتى أموت .

نظرة حائرة بين الفهم وعدم الفهم ، الألم ودفع الألم وما أن رأيا اباهما حتى انطقهما الله ترجمة تلك النظرة الواجفة ، الخائفة ، فصاحا ، بابا بابا وهى عالية ليتأكدا من وجودهما معه ووجوده معهما !!

اللهم رحمة بنا نحن الرجال من حزن الأطفال .. عذراً يا حضرات القراء فليس فى مقدورى أن أكمل ما بدأت .. ولكن حسبكم أن تعرفوا أن صاحب الجهاد كان فى آسره أعظم منه حراً ، وفى جلده أعظم منه مجاهداً .

ثم يعقب مكرم عبيد على هذا الموقف الحزين بقوله :

أيها الصديق السجين ...

لا أكاد أصدق أنك فى سجنك تتعذب بما لم يعذب بمثله منكوبوا البدارى فأنت مريض وقد حرمت حتى حق المرض وفراش المرض وطعام المرض ، ولكن يا صديقى أنت تستعيض عن الفراش الوثير براحة الضمير.

وبعد فهذا حكم القضاء الأعلى وحكمه يجب أن تنحنى له الرؤوس ، أياً كان أثره فى النفوس .

وكانت الحكومة قد قدمت توفيق دياب إلى محكمة الجنايات بتهمة القذف فى رئيس الحكومة والوزراء وعرضت القضية على ثلاثة مستشارين شجعان فحكموا بالبراءة وقالوا إن نقد الحكومة حق مباح . ونقضت الحكومة الحكم وعرضته على محكمة النقض برياسة عبد العزيز فهمى باشا رئيس محكمة النقض ، وعلى الرغم من أنه كان فى شبابه يؤيد حرية الصحافة وينادى بالديمقراطية إلا أنه فى شيخوخته كان ضد الحرية وضد الديمقراطية وخاصة ضد صحف الوفد التى هاجمته فى وقت من الأوقات ، وفوجىء الناس بالقاضى عبد العزيز فهمى باشا يلغى حكم البراءة ، ويحكم بسجن توفيق دياب ثلاثة أشهر يضيف إليه حكماً آخر بستة أشهر مع وقف التنفيذ فيصبح الحكم بسجن توفيق دياب تسعة أشهر مع النفاذ المعجل والشغل .. !

وقامت قيامة الرأى العام ضد هذا الحكم الظالم وقامت مظاهرات في الجامعة والمدارس تهتف بحياة توفيق دياب وسقوط القاضى الظالم.. !

ودخل توفيق دياب سجن مصر وادخلوه إلى الحمام وامروه بنزع ملابسه، وكانت سبقته أوامر بمعاملته معاملة المجرمين العاديين، ولكن الصحفيين ثاروا لهذه المعاملة، وارغموا وزير الداخلية أن يسمح له بأن ينام على مرتبة بدلاً من البرش، وكانت المرتبة عبارة عن كيس قماش محشو بالقش، عرضها ٦٠ سنتيمتراً وليست هناك وسادة يسند له رأسه إليها. وسمح له بصفة استثنائية أن يلبس حذاء يمنع الرطوبة، وأن يرتدى ملابس صوفية تحت بدلة السجن نظراً لإصابته بالروماتيزم.

ولقد كان وقع هذا الحكم شديداً على نفوس الأمة عامة وعلى الصحفيين خاصة ولو اختلفت النزعات والاتجاهات.

فقد عرضت جريدة (الأهرام) بما قامت به نقابة الصحفيين وطلبها من الحكومة فى عهد دولة توفيق نسيم باشا وما كتبه دولته إلى مصلحة السجون بأن يعامل الصحفيون معاملة لائقة بهم ومريحة لهم وطالبت الحكومة بمعاملة الاستاذ بتلك السابقة التى صدرت من سنوات. واستنكرت جريدة (السياسة) معاملة الصحفى كمعاملة بائعى المخدرات واللصوص والقتلة وطالبت الحكومة بمعاملة الصحف معاملة خاصة ولا يراعى فى حبسه أكثر من حرمانه من الاختلاط بالناس وضربت أمثلة بسجون العالم المتمدين.

وتساءلت (البلاغ) عن النحو الذى سيقضى عليه الزميل الفاضل أيام سجنه وتكلمت عن الأمر الصادر من دولة نسيم باشا بمعاملة

الصحفيين معاملة خاصة وعن العهد التى تضعه دولة عدلى يكن باشا أمام مجلس النواب باسم الحكومة بوقف أحكام لائحة السجون فيما يختص بالمحكوم عليهم فى جرائم النشر.

ولم تبق جريدة إلا استعرضت الحكومة وطلبت تنفيذ ما تحت يداها من أوامر.

وطالب الدكتور محمود عزمى الصحف الموالية لوزارة صدقى بأن تكون راشد من صحف المعارضة الحاحاً على الحكومة فى تغيير نظام السجون بالقياس إلى جرائم الرأى والاسراع إلى تحسين حال توفيق دياب فى سجنه.. يطالبها بأن ترضى نفسها باستهدافها الخير لذاته قبل أن ترضى الحكومة.

ويلتقط الخيط الدكتور طه حسين فيعقب:

«صديقنا محمود عزمى ينتظر من الصحف الموالية للوزارة كما ينتظر الناس من الصحف الموالية للوزارات فى أوروبا أن تذكر قبل كل شىء أنها صحف وأن الصحف إنما أنشئت لتدعو إلى الخير وتلح فيه تسرع إلى الإلحاح على الحكومة فى أن تقدر كرامة الرأى وتعامل توفيق دياب كما يعامل أمثاله فى البلاد التى تقدر الحرية وكرامة العقل.

هو ينتظر هذا كله ومن حقه أن ينتظر هذا كله لأن طبيعة الأشياء إذا استقامت وجرت على منهج معتدل من حب الحق والخير تقضى على الصحف المالية للحكومة أن تقف من توفيق دياب ومن نظام السجون هذا الموقف الذى ينتظره منها صديقى عزمى.

ولكن طبيعة الأشياء قد التوت فى مصر والمنهج الذى تجرى عليه قد فسد وأعوج، وصحف الوزارة لا تستطيع أن تكون أسرع من صحف المعارضة إلى المطالبة بتغيير نظام السجون والاصلاح من أمر توفيق دياب لأنها قبل أن تفكر فى الخبر لنفسه مضطره إلى أن تفكر فيما يمكن ومالا يمكن ... فيما يراد ومالا يراد ... ثم فيما يقال ومالا يقال، ثم هى مضطرة إلى هذا فليس من اليسير عليها أن تصارح الحكومة بالحق أو تلح على الحكومة فيما لا تحب.

ولو قد فعلت لما لقيت من الحكومة خيراً، ولا عرضت عنها وجوه تحب أن تقبل عليها، ولا زور عنها أشخاص تحب أن يلقوها بالبشاشة والايناس.

هى إذن مضطرة أن ترضى الحكومة قبل أن ترضى نفسها وقبل أن ترضى فكرة الصحافة.

نعم .. وأكبر الظن أن توفيق دياب سيلقى مايلقى فى سجنه صابراً كما عرفته جلداً كما عرفته باسماً للخطب كما عرفته باسماً للخطب كما عرفته حتى يغير الله حالاً بحال وحتى يجعل الله قوماً مكان قوم.

وكتب عباس حافظ رئيس تحرير جريدة الوادى مقالاً فى مجلة اللطائف المصورة بتاريخ ٢٠ مارس سنة ١٩٣٣ تحت عنوان: (محمد توفيق دياب كما أعرفه وموقف الصحافة فى محنته) يقول فيه منتقداً بشدة ماحدث لتوفيق دياب:

توفيق دياب الآن ... وأسفاه فى السجن .. نعم فى أحد السجون المصرية التى لم تبلغها بعد رسالة الاصلاح الإجتماعى التى عمت سائر

بلاد الحضارة والتقدم.

واأسفاه مرة أخرى لا للدياب العزيز. ولكن لمصر التاعسة المهملة لأنهم قضوا عليها بالتخلف عن العالم المتحضر واحتقروا فيها الرأى والعقيدة والفكر يالسوء..!

ولكنه للآن رهن المحبس الأليم ينام على حصير خشن يطبع على جلده والأديم وينتظره الثوب الممزق عند المجرمين الذين يشتغلون فى السجن عند جناح الحائكين والخائطين ليعالج سروالاً أو يحاول رتقه.

أو يطلب منه تحويره أو يكلف تطويله أو تغييره وهو الذى لم يحسن غير حياكة الكلام فى أحسن الأساليب وتطريز الألفاظ وتفصيل المعانى فى أجمل الثياب بين غلالة شفافة وبرد طريف ورواء قشيب وما صنع المجتمع به كذلك.

واحزناه لدياب وواأسفاه لمصر..!

أن كل ليلة تمضى على هذا الصحفى المفكر الكبير فى المحبس طريحاً فوق «برشه» اهانة بالغة فى حق الفكر الإنسانى وسخرية صارخة من معانى الحضارة التى أحببناها من أسلفها وعرضناها من أعلاها واحتقار معترف بمصطلحاته وهماً اليوم منبر الشعوب وأكبر جامعات الأسم وأعظم معاهد الدراسين.

ولكن بقى على الصحافة أن تبحث عن كرامتها منذ ضاعت بين قسوة اللائحة واسف منفذيها لعجزهم عن تغييرها أنها شرعة من السماء نزلت وناموس من الطبيعة لا تبديل فيه ولا تحوير.

وإذا كان الكاتب الكبير عباس محمود العقاد قد وصف لنا تجربة

سجنه فى كتابه القيم « عالم السدود والقيود » وكذلك فعل الكاتب الروسى الكبير «دوستوفسكى» حين وصف لنا تجربة سجنه فى سيبيريا من خلال كتابه «ذكريات من بيت الموتى» فإن الأديب والصحفى الكبير محمد توفيق دياب قد وصف لنا تجربته الفريدة فى السجن من خلال مذكرات نشرها مسلسلة فى ابريل ومايو سنة ١٩٣٣ فى مجلة اللطائف المصورة ونشرها تحت عنوان: (مع الاستاذ دياب فى السجن فى قرة ميدان ــ تفاصيل جديدة لسجين أطلق سراحه وكتب مذكراته للطائف).

وإذا كان عباس محمود العقاد قد وصف لنا لحظات دخوله السجن فى «عالم السدود والقيود» بقوله:

«فتحت الكوة الصغيرة ثم فتح باب الرتاج الكبير ثم احتوانا البناء المخفور الذى يعرف فى مصطلح السجون باسم «سجن مصر العمومى» ويعرف على ألسنة الناس باسم «قرة ميدان» أى الميدان الأسود باللغة التركية وخطر لى ــ وأنا أخطو الخطوة الأولى فى أرض السجن ــ قول الفيلسوف ابن سينا وهو يخطو مثل هذه الخطوة:

دخولى باليقين بلا امتراء
وكل الشك فى أمر الخروج

فهو تقرير فلسفى صحيح للواقع!

أما الدخول فها هو ذا يقين لا شك فيه وأما الشك كل الشك فهو فى أمر الخروج متى يكون والى أين يكون؟.. إلى رجعة قريبة من السجن وإليه؟.. أم إلى عالم الحياة مرة أخرى؟ أم إلى عالم الأموات؟...

أما محمد توفيق دياب فقد كتب فى مذكراته فى اللطائف المصورة بتاريخ ٣ ابريل سنة ١٩٣٣ يصف أولى ساعات دخوله السجن بقوله :

أنها أصعب لحظات حياتى ... أن يدخل الإنسان هذا العالم الغريب ... عالم السدود والقيود ... لكن كل شىء يهون فى سبيل المبدأ ... كل غال ومرتخص يهون من أجل أن يقول الإنسان كلمة حق ... كلمة صدق ... ولأن دوام الأحوال من المحال فإن قلبى ليستشعر القوة ولما لا ... أليس الصدق قوة تعلو الضعف المستتر والمرض الكامن فى قلوب المستبدين .

وحدث موقف اليوم فى السجن فقد أراد أحد الزملاء من الصحفيين أن يستعير كتاب من مكتبة السجن وقد ظن أنه سيجد معاملة خاصة بالصحافيين . ذهب إلى المكتب فقوبل من موظف عادى مقابلة لا شراسة فيها واضطر الموظف لأن يقدم له فى أدب وتظرف ما يقدمه لكل سجين مجرم مثل النمرة وتذكرة باسمه وسنه وتاريخ دخوله السجن وتاريخ الإفراج عنه ونوع الجريمة ليعلقها على باب حجرته .

أعقب هذا الهدوء امتعاض كون زفرة لفظها الاستاذ حينما تباطأ فى الخروج وظن أن هناك ما يدعو لبقائه فى المكتب وما شعر إلا والسجان الذى لازمه من البوابة إلى المكتب يأمره بالخروج إلى إتمام عملية (الإيراد) فقال له الاستاذ ارشدنى لأنى أجهل هذه العادات وخرج أمام السجان .

يمتنع عن دخول الحمام:

بعد مغادرته المكتب وجد نفسه فى ذلك الفناء غريباً عن كل ما به وإذا بالتورجى الخاص بالحمام قد استقبله وقاده إلى الحمام وطلب منه

أن يخلع ثيابه ويدخل ليقف تحت الدش. فامتنع الاستاذ عن الاستحمام بالطريقة المعروفة فى السجن.

ولو كان الممتنع سجيناً عادياً للاقى مالا قبل له على احتماله.. فاضطر التورجى لأن يبلغ الأمر إلى المكتب. ولكن التعليمات تقتضى بأن كل سجين —بلا تمييز— يقف فى الحمام بعد نزع ملابسه ويستحم بالماء. فعاد المبلغ وطلب إلى الاستاذ ثانية أن يخلع ملابسه فامتنع قائلاً إذا شئتم فانزعوها عنى قهراً فاضطرا لتنفيذ القانون بأن نزعوا ملابسه. وأما هو فقد استسلم لهم ودخل الحمام واستحم تحت الدش فى مكان ينفذ إليه الهواء من نوافذه الصورية وامتنع عن تدليك جسمه بالفرش التى تشبه فرش تطهير الخيل والتى تقوم مقام الليفة والصابونة وبعد الاستحمام لبس ملابس السجن وادخل دور ٩ —دور الملاحظة—

ثم يصف لنا توفيق دياب غطائه فى السجن وملابسه فى صورة وصفية دقيقة قائلاً:

ولست السجين الممتاز، بل هناك من المجرمين العاديين القتلة واللصوص من يتمتع بامتيازاً أكثر من الأستاذ دياب من غير أن تكون له حقوق زمالة أو لم يكن من فئة محترمة تتكلم بلسان الأمة كالأستاذ دياب.

وبرهانى على ذلك أننى رأيت سجيناً فى دورته —الذى قضى فيه مدة الاختبار الاستاذ دياب— فدهشت حيث رأيت ذلك السجين العادى ينام على سرير لأنه مريض والطبيب رأى أن مرضه يستلزم نومه على سرير فهل كان هذا نتيجة مسعى وهل أقام أبناء جلدته

الدنيا واقعدوها حتى تمتع هو بهذا الامتياز؟

لا . ولكن للسجين تعليمات وأوامر هى فى مجموعها مثل الأوامر العسكرية لابد من تنفيذها .

غطاء الاستاذ دياب :

يظن إخوانى الصحافيون أن سجينهم تصرف له بطاطين تدفىء جسمه زيادة عن المجرمين وذلك بفضل جهودهم . والحقيقة أن الاستاذ دياب يغطى جسمه ببطاطين من التى تصرف لكل مسجون ويسمح لكل مجرم عادى يمرض أو يشكو البرد بثلاث بطاطين دون أن تقام له ضجة أو تملأ أعمدة الصحف بالشكوى من تلك المعاملة القاسية ، فما هو الأثر الذى ترتب على مسعى الصحافيين .

ملابس الأستاذ دياب :

يقولون إن الاستاذ دياب يتمتع بارتدائه ملابس من الصوف تحت رداء السجن الرسمى ويلبس حذاء يمنع رطوبة الأرض عن قدميه المصابتين بالروماتيزم وفاتهم أن هذه الملابس تباع لكل مسجون يبغى شرائها من ادارة السجن ــ وأعرف مسجونها كان يزاملنا فى دور خمسة ــ أى دور الذين لا يزالون تحت التحقيق ويرتدون ملابسهم الخاصة ويتناولون غذاءهم من منازلهم ــ هذا المسجون بمجرد الحكم عليه ارتدى الملابس الصوفية والحذاء غداة صدور الحكم عليه ولم يكن هذا نتيجة مسعى أو رجاء ولكنه حق خوله له النظام العام داخل السجون ، وما دام فى مقدور السجين أن يدفع ثمن الملابس فهى تصرف له ويلبسها .

لبدة الاستاذ دياب:

من الضرورى أن يغطى السجين رأسه بلبدة مصنوعة من الصوف. والاستاذ دياب تستقر على رأسه تلك اللبدة التى توضع فى مقدمتها علامة السجن وقد يشعر السجين العادى فى اللحظة الأولى من لبسه هذه اللبدة انها ذات أبر محماه تلهب رأسه وتجعله (يهرش) فيها باستمرار وهو حائر يلقى بها تارة ويعود يرتديها تارة أخرى. وقد حمدت الله حيث لم أشاهد الاستاذ دياب عندما لبس هذه اللبدة.

بدلة الاستاذ دياب:

لست أشرح هنا نوعها أن كانت من نوع الفراك أو السمركنج أو الشارلستون فهو بذلة سجن من القماش الأزرق، لا أنكر أنها انظف من غيرها وهى مكونة من جاكته مقفولة العنق وسراويل. ولا تميز عن غيرها لا فى شكلها ولا نوعها ويكاد السجين المهذب يتحرق غيظاً حيناً يرى فى السجن المجرمين الذين صدرت عليهم أحكام من المحاكم المختلطة يرتدون طاقي نظيفة بدل اللبدة الصوف المشربة بالعرق المنتن ويلبسون ملابس السجن النظيفة جداً أو الجديدة الخاصة بهم دون المحكوم عليهم من المحاكم المصرية وهذه الملابس تلبسها طائفة المختلط فوق ملابس عادية من الفانلة أو الكالسون والشراب والشبشب ويمسكون فى أيديهم مناديل نظيفة، ويخيل إلى الرائى أنه يشاهد موسراً فى عزبته لا سجيناً يمضى المدة المحكوم عليه بها..

ومجرموا المختلط يتناولون طعامهم من الخارج ويورده متعهد خاص ولكل منهم قلة ومعلقة وشوكة وفى حجرته سرير ينام عليه ومرآة ينظر فيها إلى وجهه ويصلح من شأنه.

مع ملاحظة أن كثيرين منهم من الخدم أو المفلسين من التجار أو الجرسونات أو من حثالة الأجانب الذين يتمتعون بالامتيازات خارج السجن وداخله . فهلا استطاع الصحافيون أن يصلوا إلى مساواة الاستاذ دياب وأمثاله من المجرمين السياسيين بطائفة المختلط ؟ فهو الآن من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ليس إلا سجيناً عادياً لا يلمح فى زيه أى أثر للتمييز الذى تستحقه صاحبة الجلالة الصحافة » .

ثم يصف لنا توفيق دياب حياته فى السجن والمهانة التى وصل إليها فى الساعة السادسة صباحاً أى فى الساعة التى كان يأوى فيها الأستاذ إلى فراشه عقب جهاده الصحفى يدق جرس عام ينبه المسجونين إلى أن ساعات العمل أزفت وانقضى وقت الراحة للتعب وتقدم إلى الحجرة التى بها الاستاذ ويفتحها فيخرج كما يخرج غيره . فتتلاقى وجوه جيرانه مع وجهه ويحييه الكل من بعيد . وأن كان هناك امتياز يتمتع به الاستاذ دياب فهو احترام المسجونين الموجودين معه فى السجن له شخصياً لأنهم منذ علموا بوجوده بينهم وهم يرحبون به ويتحدثون كثيراً عن شجاعته وحماسته . وكثيراً ما تعلو وجه الأستاذ ابتسامة لا تدرى نوعها أن كانت للأسف أو للألم أو للشكر لله على أنه لم يكن مضطهداً من المسجونيين الأشرار الذين عرفوا قدره فعظموه وانسوا بثقافته فاكرموه ولم يهينوه كما هى عادتهم مع غيره .

يذهب إلى دورة المياه ليقضى حاجه فيجلس القرفصاء دون حاجز يستره وأنه لساعة مريرة على كل ذى كرامة ونبل أخلاق . وليس فى هذا أى معنى للتهذيب حتى يكون محل قضاء الحاجة بلا ستر . ولو فعل مثل هذا الفعل إنسان فى الطريق العام لاعتبر منتهكاً لحرمة الآداب وخولف على هذا الفعل فهل ما يحظر خارج السجن يباح داخله ؟

ولعل ادارة السجن تعمل على تلافى هذا الأمر بأن تجعل حواجز أو أبواباً للمراحيض .

ثم يتحدث توفيق دياب على غذائه فى السجن فيقول :

يقولون أن الاستاذ دياب يتناول غذاء ممتازاً والحقيقة أن غذاء السجن الممتاز هو الذى تتناوله طائفة المختلط وهو مؤلف من الخضار واللحم والرز والفاكهة والعيش العادى والشاى واللبن والبيض صباحاً .

أما المسجون المحكوم عليه من المحاكم المصرية فلا تنظر عيناه هذا النوع من الطعام حتى يبعث إلى الحرية . أما الطعام الذى يضع فى السجن فلن يكون هذا أكلاً ممتازاً إلا إذا قيل أن إدارة السجن تصرف للمسجون المريض فى دور ٩ لبنا وعدساً وجزءاً بسيطاً من اللحم الخشن الكبير وهذا هو ما تصرفه الإدارة للاستاذ دياب فهل فى هذا امتياز مع أنه يعطى لغيره من المسجونين العاديين إن كان أحدهم يشكو مرضاً ؟

ثم يفرق لنا توفيق دياب بين سجنه وسجن التابعى فى مقالته فى مجلة آخر ساعة (فى العدد ٤٢١) الصادر فى ٢٥ أكتوبر ١٩٤٢ تحت عنوان : (من ذكريات السجن) وكان قد حكم على الاستاذ محمد التابعى أمام محكمة الجنايات لأنه أهان وزير العدل والمأمور لقرية الحصاينة . وكان الأستاذ النقراشى أعطى خبراً إلى التابعى بأن تعذيباً حدث ضد أهالى قرية الحصاينة المعارضين للوزارة . وأنهم شكوا للنائب العام ، وأن وزير العدل طلب من مأمور قرية الحصاينة تزوير أقوال الشهود وكانت كل ما تريده الحكومة أن يعترف التابعى بأن النقراشى

مصدر الخبر لتقدم النقراشي إلى محكمة الجنايات. وكانت الحكومة تعتقد أنه وراء جميع حوادث القنابل التي تنفجر وتثير الرعب في الوزراء ورجال الحكم، فأرادت أن تتخلص منه بهذا الاتهام.

ولكن التابعي رفض أن يذكر مصدر الخبر. وحكمت عليه محكمة الجنايات بالسجن أربعة شهور. ووضع التابعي في غرفته في مستشفى السجن. ولم يرتد ملابس المسجونين الزرقاء. وحدث أن أرسلته السيدة روزاليوسف علبة كافيار استطاعت أن تهربها له داخل السجن وإذا بالتابعي يشكو أنه لم يرسلوا له مع علبة الكافيار فتاحة علب.. !!!

وقد طلب التابعي بعد ذلك حين رأس تحرير مجلة «آخر ساعة» من الاستاذ توفيق دياب أن يكتب عن تجربة السجن فكتب يقول: أبى صديقى التابعي إلا أن ينكأ جرحاً قديماً كاد يندمل عبر الزمان.

سألنى أن أكتب لقرائه شيئاً من ذكريات سجنى.

لكن يا أخى... إن يكن أصابنى قرح فقد أصابك قرح مثله. وليس كالسجن مكان يحزن الصديق أن يلحقه فيه صديقه ولا كالسجن مكان يسر الصديق فيه أن يفارق صديقه.. إلى الحرية ورحاب الحياة. لعلك تذكر كيف اسكنوك جناحاً غير الذى كنت أسكنه وكيف حرصوا على أن لانجتمع أو نتلاقى أو نتبادل كلمة أو تحية. فإذا أخطأ الحراس ومررت قريباً منى أو مررت قريباً منك تبادلنا التحية برمز الألحاظ وانفراج الأسارير كعاشقين يتخالسان النظر فى غفلة الرقباء.. !!

لم نحذر ذلك الحذر خوفاً ولا رهباً ولكن صوناً للكرامة من أن يقال لنا هذا «ممنوع» فلا تفعلوه واشفاقاً على الحراس المساكين من أن

ينالهم من جريرتنا عقاب.

لم أعلم حكمة هذا التفريق المحكم التدبير بين رجلين من أصحاب القلم لكن أعلم أن اللصوص والفتاك ومجرمين آخرين أحط نفوساً من اللصوص والقتال.. ويجتمعون فى «عنبر» واحد بالليل والنهار فهل من سنن السجون أن يباح اجتماع الشر وأن يحظر اجتماع الخير.. وهل إذا اجتمع صحفيان فى سجن قره ميدان نبتت بين جدرانه جريدة معارضة خطرة بلا ورق ولا قلم ولا مداد؟ أم هل إذا اجتمعنا داخل السجن اسقطنا الوزارة خارجه؟ إذن لاجتمعنا يومئذ ولو على حراب الحراس.

ثم يفرق دياب بين ثيابه فى السجن وثياب التابعى وشتان ما بينهما فيقول:

كان ثيابى من مباذل السجون وكانت ثياب صديقى من مطارف شيكوريل ولم يكن التابعى مختالاً فخوراً. لكن كنت أمازحه فى خيالى فأقول لنفسى: ماللتابعى يتيه بطيلسانه فكلما ملا ناظريه من بريقه وسناه مشى يتهاوى كالعروس ليلة الزفاف كان الطاووس قد نفح ونفخ ونفش ريشه البهى.. ثم انظر إلى ثوبى الأجرب فى زرقته الحائلة وحالته الماثلة واتحسس اللبدة الخشنة على رأسى والصفيحة المرقوقة التى أرادوا أن يعلقوها بعنقى فقلت الموت ولا هذا وانظر إلى النعلين كالداهيتين تصونان الأرض من قدمى ولا تصون من غلظتها القاسية.. واصعد النظر إلى صديقى كلما سنح كالطائر الميمون فأناديه فى صمت عميق. ولا تستوى ثيابك الكريمة هذه وثياب مهينة محقرة ليست ملكاً لأحد ولا خاصة بأحد وإنما هى ثياب القلة تجعلها الدولة نكالاً شائعاً بين المجرمين فى السجون.

وعن عمله فى السجن فى (ورشة الترزية) يقول توفيق دياب :

« لما بدا لرجال السجن أن يوجهونى إلى عمل أنفع الدولة ـ كشأن السجناء المحكوم عليهم « بالشغل » لا كشأن التابعى الذى كان حبسه حبساً « بسيطاً » لا شغل له فيه إلا بنفسه ياللانانية ـ اختاروا لى « ورشة الترزية » جزاهم الله كل خير وافضوا إلى بأنها مجمع الفئة الممتازة من السادة المساجين وبأنى سأجلس هناك على كرسى ـ وأمامى ماكينة للخياطة من طراز « سنجر » ستكون حقاً خالصاً لى ما امتدت الشهور السعيدة التعسة ومن يدرى فقد أنبغ « فن الخياطة مالم أنبغ فن الصحافة فاستمطر المال مدراراً واعب من الحرية ثوباً « فضفاضاً » غير هذا الثوب الذى استحال فى يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٣ بكلمة من محكمة النقض والإبرام ـ إلى قميص رثاً وسروال غث ملطوخين أساؤك الله بالنيلة الزرقاء ! » .

ثم يروى محمد توفيق دياب أخطر حادث تعرض له فى سجنه وكاد أن يحكم عليه بالجلد بسبب فيقول :

شجرت مشادة بينى وبين مدير القسم الطبى فى مصلحة السجون إذ ذاك وهو رجل طيب واستاذ جليل فى الطب حقاً ولكنه تياه بنفسه بعض الشيء وخيل إلى ـ أو لعلها كانت الحقيقة ـ أنه كان على شيء من العنت فى ذلك اليوم فأغلظت له حتى عدنى معتدياً على رئيس كبير من رؤساء المصلحة التى أدين لها بالطاعة مادمت فى عداد السجناء .. وترك المستشفى مغضباً وقدم إلى المدير العام اللواء توفيق عبدالله باشا شكوى مؤدها أنه أهنته على الملأ من مرؤوسيه أطباء المستشفى وعلى مسمع ومرأى من مأمور السجن وموظفيه .

وكبرت المسألة وترامت أبناؤها إلى جميع موظفى المصلحة ومن بعضهم تسربت إلى زملائى فى جريدة الجهاد وإلى أخى حسن. وأحسوا أن العهد عهد قسوة بخصوم الوزارة فلا يستبعد فيه شيء وفى لوائح السجون أن الجلد عقوبة من يهين سجاناً فضلاً عن ضابط فضلاً عن مأمور فضلاً عن رئيس يعتبر ثالث ثلاثة بين رجال المصلحة وصدقى باشا هل يتورع عن اتباع هذه العقوبة مع مثل توفيق دياب صاحب جهاد؟ من يدرى؟ أن له نزوات فقد لاتقف عند حد فماذا لو ركب مثل هذه الشطط لن تتبدل الأرض غير الأرض ولن تنفع دياب زعامته لورشة الترزية؟

وعلى هذا النحو قضى أهلى وأصدقائى الذين انتهى إليهم البقاء أسبوعين من أيام الجحيم».

وعن المعاناة التى عاشها توفيق دياب مخافة أن يجلد يقول:

«أما أنا فالإعدام عندى ولا الجلد أن الموت لا يهدر الكرامة البشرية وإنما يهدرها أن ينال إنسان جسم إنساناً بالنسبة السياط ولو كان أحدهما ملكاً متوجاً وكان الآخر صعلوكاً يتسول وللجسم البشرى قداسة الروح فهو وعاؤها وقوامها والوعاء يشرف بما فيه.

لم يداخلنى مثقال ذرة من الخوف ــ لا أريد الخوف من حرقة السياط وأنا أريد خوف وصمتها التى لا عيش بعدها لمصر. أما حرقة السياط فهل هى فى أشد من حرقة النار؟.. لقد اكتويت ذات مرة بحديد يتوهج لظاه دفعاً لآلام النسا (بفتح النون) حتى شممت بأنفى شواء جسدى يحترق ــ لا فى موضع واحد فى النوبة الواحدة قبل فى مواضع عدة. لم استعمل مخدراً ولا لذت بغيبوبة ولكنها الإرادة قد

تحمل الجسم ألسنة السعير مختارة ــ فيتحمل أما السنة السياط فلا والله وفى الجسم حياة .. !!

ولم يداخلنى مثقال ذرة من خوف ــ لأن وجدانى أنبأنى بأن صديقى باشا لن يفعل لن يجلد توفيق دياب . لعبدالعزيز باشا فهمى أن يحكم عليه بالسجن وبالشغل ما شاء له ضميره وفهمه للعدل والقانون وكم حكم بالسجن والشغل على عظماء . لكن الجلد ... صدقى باشا يجلد توفيق دياب . أنه إذن ليجلد نفسه ألف جلدة ويجلد ثقافته ويجلد منطقة وكياسته وجدرانه بأن يظل رجلا بين الرجال .

لن يفعلها صدقى ــ ولم يفعلها .

بعد تحقيق قضى فيه معى كبير مفتشى مصلحة السجون ساعات وبعد أيام من ذلك التحقيق صدر الحكم ... وحرمانى من سريرى أسبوعاً ــ على أن تبقى الحشية «المرتبة» وانقضى الأسبوع وعماد السرير .. ونجا صدقى باشا من معرة الجلد كما نجا توفيق دياب .

ومن الطريف أن توفيق دياب كان فى السجن مطرباً حيث ــ على حد تعبيره ــ كما كان قارئاً للقرآن ... ومن الطريف أنه كان يسخر من صوته بأسلوبه اللاذع الساخر فيقول :

« والآن افضى إليك بسر طريف هو أنى كنت فى السجن مطرباً حيث لا يشق له غبار وكيف يشق غبارى وأنا فى غرفتى وحدى وقد أحاط الظلام بى وأغلق الباب دونى .. سأقرأ القرآن وسأعلو بصوتى حتى يسمعنى مئات المساجين فى أطباق السجن الثلاثة فيطربوا أو لا يطربوا ــ سيان ــ أن استماعهم للقرآن ولو من حنجرة وسط بين مزمار دواء وزمارة الانذار خير من لغوهمَ الذى تنز به ابنية السجن أزيز

المراجل كلما علقت ونهم الأبواب فى المساء وشملهم سواد الليل .

أنا لها ... ألم أرزق صوتاً ورثته عن أبى ألم يكن لى أخ اسمه المرحوم عبده الحامولى فعجب كيف يختبىء هذا الكنز فى طوايا الريف ومضى على مصر تقليدها القاسى أيام كانت بعض البيوت تظن أن احتراف الموسيقى ليس بالعمل الكريم. ألم يكن يحيى أخى أفراحنا على تخت العقاد ؟ ألم يكن كامل الخلعى استاذه وسامى الشوا صديقه والشيخ على محمود زميله فى التلمذة لرجالات الفن العربى القديم وكلهم يذكره ذكر حب واعجاب .

إذن إلى العلى ... إلى العلى يا صوت توفيق .. حاك ما شئت على محمود ونافس ما شئت طريقة الشعشاعى وصوت أحمد ندى تشجع وكلهم غائب وأنت منهم هنا فى حرز حريز.

لكنى لا أحفظ من القرآن إلا سورة نوح .. كفاية ! وبعض أيات من يوسف وأيات أخرى من هنالك وهنا .. نعمة .. !

ثم يصف لنا توفيق دياب كيف كان يقلد الشيوخ وقراء القرآن فيقول :

« واتنحنح بعض الشىء واستحضر فى مخيلتى طرائق القراء والتمايل كما يفعلون ذات اليمين وذات اليسار .. !! »

واجعل يدى إلى صفحة وجهى تارة وإلى أحد المنخرين أخرى وانطلق « وأنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب الأليم » .

وأبدأ « بالأراضى » كما يفعل أصحاب الفن الأصيل فاقرأ مجدداً

فى أناه ومهل وفى قرار مكين يدوى صداه فى انحناء صدرى وأوانى حلقى ثم ارتفع رويداً رويداً مقطعاً بعد مقطع وآية بعد آية وتأخذنى الجلالة وإذا بالصوت رفيع جداً وبالطرب بديع جداً ــ لا مؤاخذة ــ طربى أنا ــ وإذا بأزيز المراجل قد سكن وإذا بالصمت قد عم واستطال وإذا بالسجن يتحول إلى شبه مسجد يقرأ فيه القارىء سورة الكهف قبل صلاة الجمعة ــ مسجد يعوزه النور لولا نور الله فى قلوب كثير من أولئك السجناء مسجد تعوزه الحرية لولا أن الحرية الحقة فى الضمائر قبلها فى الأجسام !! .

واسمع فى الطريق وراء الاسوار على بعد عشرات الأمتار أناساً يصيحون « الله يا استاذ » فازداد سعادة وغبطة وأخشى أن يحسب سماعى فى الطريق أن السجين هو الشيخ على محمود أو الشيخ الشعشاعى .. نعم إلى هذا الحد بلغ بى الغرور؟!

وإذا كان الكاتب الروسى الكبير دوسوفيسكى يصف لنا اللحظات الأخيرة من خروجه من السجن واستقباله لعالم الحرية فى « ذكريات من بيت الموتى » قائلاً :

« وأسقطت السلاسل وفك أسر... ونهضت ..

كنت أود لو انحنى أرضاً وأمسك قيودى أن ألقى عليها آخر نظرة وكان يذهلنى الشعور بعدم التحسس بالقيود الحديدية فى مرفقى ورجلى . وكان السجناء يرددون بصوتهم الأجش المنقطع الذى لا تخالطه بهجه .

« هيا . مع حفظ الله وأمانة وبفضل منه » .

نعم بمنة الله تعالى ! الحرية حياة جديدة بدأت .. كان البعث من

بين الموتى . ياللدقيقة التى لا تمحى ! » .

أما العقاد فقد كان قد عاهد نفسه على أن يزور قبر الزعيم سعد زغلول أول نسمة للحرية . ووفى العقاد بوعده فإنه بعد أن أمضى فى السجن تسعة أشهر وأفرج عنه فى أوائل شهر يوليو سنة ١٩٣١ فتوجه على الفور إلى ضريح سعد زغلول وألقى على القبر قصيدته التى أشار فيها إلى استمساكه بمبدئه وعقده العزم على الاستمرار فى مقاومة أعداء الدستور وخصوم الأمة وقد استهلها بقوله :

إلى الذاهب الباقى ذهاب مجدد ... وعند ثرى سعد مثاب ومسجد
إلى مرجع الاحرار فى الشرق كله ... إلى قبلة فيها الإمام موسد

ويشير إلى إقامته فى السجن قائلاً :

وكنت جنين السجن تسعة أشهر ... فها نذا فى ساحة الخلد أولد
ففى كل يوم يولد المرء ذو الحجى ... وفى كل يوم ذو الجهالة يلحد
وما أفقدت لى ظلمة السجن عزمة ... فى كل يوم ليل يغشاك مرتد
وما غيبتى ظلمةلا السجن عن ... من الرأى يتلو فرقداً منه فرقد
عدائى وصحبى لا اختلاف عليهم ... سيعهدنى كل كما كان يعهد

أما توفيق دياب فقد قال بعد خروجه من السجن مؤكداً مسيرة الجهاد :

« لقد عركت أصابعى أمس حين خروجى من السجن ، فوجدتها مازالت أقوى ما تكون على إرسال القلم حراً جريئا ، لا يخشى فيما يعتقده صالح بلاده ـــ أشد أنواع الألم .

وخبرت نبضى أمس بعد خروجى من السجن ، فوجدته مازال مطرداً قوياً كعهده طوال أيام الجهاد .

وتحسست قلبي أمس حين خروجي من السجن ، فوجدته مازال ثابتاً بين جوانحي مكينا ، ومازال سليم الإيمان متيناً ، لم تذهب الشهور التسعة التي قضيتها في غيابة السجن ، بمثقال ذرة من متين بنيانه ، أو سليم إيمانه ، وما كانت لتستطيع ولو تطاولت إلى تسع سنين .

إنما حططت على جسمي عشرين رطلاً من الحشو، لم تكن لصحتي بها حاجة ، فكانت هذه يداً بيضاء للسجن عندي . وأرجو أن لا يرد على ترف الحياة المنزلية ذلك العبء الذي خلصني منه شظف السجون .

وإنما أثار السجن آلاماً بدنية كانت كمينة ، فأولاني يداً بيضاء ، أخرى ، إذ نبهني إلى مضاعفة العناية بالعلاج .

أن ما كسبت من سجني يربو على ما خسرت أضعافاً كثيرة . أما خسارة السجين فهل يجهلها أحداً ؟ .. فقدان حريتي تسعة شهوراً وفي هذه الكلمة وحدها ما يغني عن الشرح والإسهاب .

لكن ما هو الخير الذي خلص لي من هذا البشر؟ وما وجوه النعمة التي استحالت إليها هذه النقمة ؟ هأنذا أعالج الجواب .

أحسست يوم نزعت ملابسي لارتدي ثياب السجون ـــ أحسست في تلك الساعة كأني نزعت كرامتي بيدي ، وأن الإعدام أهون على نفسي من هذا التمثيل برجل له من الأنفة ماليس لكثير من تلك الأشباح التي لا تحسن سوى أن تهوى بمصر إلى الحضيض .

في ذلك اليوم ، بل في ذلك الأسبوع كله ، عانيت أزمة نفسية أوشكت أن توردني موارد الحتوف وأني لفي هذه الحال ، إذا صوت خفي يناجيني من أعماق ضميري :

أيتها النفس الأمارة بالسوء، متى كانت الكرامة البشرية ثياباً ينزع أو ثياباً ترتدى؟ أنى أنا الروح المتعالى فوق المكاره والمحن. وأنك لأقرب إلى الله وأكرم عنده فى ثياب المحنة هذه منك فى الحلل الفاخرة. وليس فى وسع كائن من كان أن يغض من كرامتك، وإن كان فى وسعه أن يغض من ثيابك. إنما خلعت كساء من صوف لتسبغ عليك أمتك المفداة كساء من عطف واشفاق.

بهذه الكلمات الصادقة جعل ضميرى يناجينى كل صباح ومساء، حتى انشرحت لثياب السجن بعد انقباض، واسترحت إليها بعد امتعاض، لأنها استحالت فى عينى إلى رمز واضح من رموز التضحية بالتافه اليسير من طلاء الحياة».

ثم يطلق توفيق دياب عبارته المأثورة التى حفرها فى قلوب المصريين:

«إن الحرية فى مصر مازالت جنينا فى غيب القدر.

ومن الخير أن يعانى المصريون فى سبيلها كثيراً من الشدائد، حتى لا تهون عليهم، إذا تمحض عنها اليوم السعيد المنتظر».

ثم يرصد دياب تجربة السجن فى مقاله الشهير فى كتابه «اللمحات بعنوان «ماذا ضرنى سجنى وماذا افادنى». وانعكاس هذه التجربة على زوجته وأولاده فيقول:

«جنيت من سجنى هذه الثمرة: رجحان الجوهر على العرض واللباب على القشور فأصبحت لا أبالى ماذا ارتدى، ولا كيف أنام، وإنما أبالى كيف شعورى وتفكيرى وكيف بثات قلبى، وحرارة يقينى».

وزوجي وأبنائى ؟ ألم تفدهم هذه المحنة شيئاً ؟

لقد عكفت شريكة حياتى هذه الشهور التسعة حبيساً فى الدار، لم تغادرها إلا ثلاث ساعات زارت فيها السيدة أم المصريين ثلاث زيارات، لما والت عصمتها من الاشفاق والعطف، ولقرب الدار من الدار.

وابنائى اللذين قضوا صيفهم بعد عناء الدراسة وجهود الامتحان، راكدين بين الجدران لا يكادون يفكرون فى غير أبيهم السجين، حتى إذا أزفت ساعة نومهم التفوا حول أمهم، واتجهوا إلى الله بقلوبهم البريئة يضروعون.

أن أبنائى لم يعرفوا من الدهر غير ابتسامة، فكان حقاً عليهم أن يعرفوا عبوسه.

نشأوا بحمد الله أصحاء موفورين، لا هم لهم إلا المراوحة بين الدرس واللعب وكنت لا أكاد أخليهم أسوعاً من مشاهدة قطعة تمثيلية اختارها لهم، بعد أن أشهدها على المسرح أو الشاشة، فإذا أقبل الصيف، وفرغوا من أداء الامتحان قضوا أشهر العطلة مستمتعين بمياه البحر أو هواء الريف. عيشة لينة هنيئة لم يكدر صفوهم فيها حادث مذكور.

طالت مهادنة الزمان، فلابد من أمر يقع، لابد من أمر عنيف يربح البيت رجا ويطفر بأبنائى من غرة الأطفال إلى يقظة الراشدين. لابد لهذه العيون الساذجة أن تذرف الدموع، ولهذه النفوس الوادعة أن تتجرع الألم. وفوق كل شيء لابد لهؤلاء البنين من الدرس الأول فى التضحية.

يجب أن يصوموا عن اللعب واللهو البرىء تسعة شهور. ويجب أن يصوموا عن نزه الصيف حتى في ضواحى القاهرة، ومع ذلك يجب أن يكدوا أنفسهم ليحوزوا الامتحان، ارضاء لابيهم نزيل السجون. وإذن فليجتهد الاستاذ صلاح. حتى ينتقل من السنة الثانية إلى الثالثة الابتدائية، وليجتهد الاستاذ كامل، حتى يجوز امتحان الشهادة الابتدائية. ولتجتهد الآنسة عصمت لترقى إلى السنة الثانية من الدراسة الثانوية، والانستان عليه وإسعاد لترقيا إلى السنة الثالثة. وكان ما أرادوا —أم المصريين حفظها الله. تختلف إليهم فتتحفهم بافانين الحلوى، جزاء لهم على حسن بلائهم فى الدرس والتحصيل.

لكنهم تعلموا دروساً أخرى هى خير لهم، ولبلادهم، وأبقى. تعلموا درساً قيا فى الغيرية والإيثار، بما انصرفوا عن أنفسهم، وعن حاجاتهم ومطالبهم وبما توجهوا إلى أبيهم السجين.

وتعلموا درساً قيا فى ضبط النفس، بما اقلعوا عن ضروب اللعب والتسلية هذا الزمن الطويل.

وتعلموا درساً قيماً فى صدق الشعور بالواجب، بما أقبلوا على علومهم اقبالاً كفل لهم النجاح جميعاً —إنشاء الله— وذلك من غير حافز إلى الجد، سوى إحساسهم بأن العمل على ارضاء والدهم سجيناً، أوجب عليهم من العمل على ارضائه طليقاً.

ولكن الدرس الذى تعدل قيمته سجنى تسعة شهور، والدرس الذى تزول الجبال ولا يزول من نفوس أولئك الأطفال— علمهم أن أباهم إنما سجن فى سبيل عن عقيدته وعن صالح الوطن، وأن الذياد عن صالح الوطن، عمل واجب محمود، ولو أعقب المكاره.

وأدلة ذلك لديهم موفورة . إن اخوانهم في المدرسة قد ازدادوا اقبالاً عليهم وعطفاً ، منذ وقوع الواقعة ، بل هم يرون في أعين المعلمين والمعلمات لمعاً من هذا العطف قد يحاولون اخفاءها ، لأنهم موظفون ، حرام عليهم ابداء الشعور ، والسيدات المتفضلات بزيادة أمهم ، لا يوجهن إليها عبارات التعزية ، بل عبارات التهنئة ، ويغبطها على ما حل بزوجها من ذلك المكروه في سبيل العقيدة .

وزيارة الزائرين من وجوه الأمة واحرارها لجريدة الجهاد ، ومن وجوه الاقطار العربية وفرق الكشافة فيها – سبيل لا ينقطع – ابداء لعطفهم الكريم على الوالد السجين !

ثم يكشف لنا توفيق دياب حصاد الدروس المستفادة من تجربة سجنه فيقول :

لقد حلت المحنة وانجلت ، دون أن تزيدنا إلا غيرة على خير مصر ، ودؤوباً على نشدانه .

وأن فينا لقوة على احتمال محن أخرى أشد وأنكى ، إذا اقتضتها خدمة البلاد وأملتها العقيدة .

وما هذه النوازل سوى نعم مطوية في ظواهر نقم ، هي نعم من الوجهة العامة . فما نصرة الوطن المقهور ، تمرا نأكله ولا رحيقاً نشربه ، وإنما هي مكاره نلقاها مصابرين حتى تزول المكاره . وهي نعم من الناحية الخاصة ، لأنها امتحان للعزيمة ورياضة للنفس وشحذ لروح الكفاح ، ولو عاد الزمن ادراجه تسعة شهور ، وجعل إلى أن اختار وقوع هذه الكريهة ، أو أطراد العيش الهادىء بين جريدتي وداري لاخترت وقوع الكريهة ابتغاء تلك الثمرات » .

ثم ينتقد توفيق دياب القانون الذى تم بمقتضاه محاكمته مؤكداً أن احترام الصحفى هو بلاغة حضارة الأمم.

«لكن ذلك لا يعنى أن القانون الذى حوكمت على مقتضاه قانون تقره أو ترضاه بلاد متحضرة.

وليس فى الدنيا كلها بلد متحضر يحشر بين اللصوص والقتلة وهاتكى الأعراض والمتجرين بالمخدرات، رجلاً وقف حياته على الصالح العام، جريمته جريمة رأى يحشر بين هؤلاء، ويلبس ما يلبسون ويفترش ما يفترشون، لولا برجاء المرض فى حالتى الخاصة، ولولا أن الشخصية، إذا كانت محترمة بصفاتها الذاتية، تبعث الشعور باحترامها فيمن حولها —حتى داخل السجون.

لن تتم لنا أسباب الحضارة بحق حتى ترتقى فى بلادنا اللوائح والنظم، وحتى نعترف هيئات التشريع عندنا بحرمة المشتغلين بالحياة العامة من ساسة وصحفيين، وأن احتدمت ألسنتهم وأقلامهم فبلغت حرارة اللهب، وحتى تعاملهم الحكومات غير هذه المعاملة المزرية.

وإلى أن يتم ذلك، وإلى أن يصبح الصحفى الشريف فى عين الدولة وليس أقل شأناً ولا كرامة من القاضى الشريف، والوزير الشريف، وحتى ترتقى نظمنا، ونظرات الهيئات الرسمية إلى سواد الشعب، وإلى الخاصة من أفراده العاملين، ستظل بلادنا متخلفة، مهما يأخذ الآخذون عن حضارة أوروبا من بهرج لامع وطلاء براق».

ولكن ما هو موقف جريدة «الجهاد» ومدى متابعتها لاحداث سجن صاحبها ورئيس تحريرها توفيق دياب؟

ولقد تابعت جريدة «الجهاد» أخبار توفيق دياب خلال فترة سجنه وكانت تورد كشف كل يوم يبين حالته الصحية كما كانت تنشر يومياً اسماء كبار الشخصيات التى كانت تتردد على دار جريدة الجهاد للسؤال عن رئيس تحريرها ولقد اصدرت «الجهاد» بياناً شديد اللهجة يشجب سوء معاملة توفيق دباب داخل السجن وخرج مانشيت الجهاد يحمل هذه العناوين:

«ماذا يراد بصاحب الجهاد ــ الأستاذ توفيق دياب يعتزم الاضراب عن الطعام».

ولقد استنكرت الجريدة أن يعامل توفيق دياب معاملة القتلة والمجرمين وقطاع الطرق وهو الكاتب السياسى والأديب الرقيق الذى لم يكتب إلا لوجه الله والوطن.

ولقد تتابعت المقالات في الصحف والمجلات الزميلة للوقوف بجانب صاحب الجهاد فى محنته منها:

«اللطائف المصورة ــ الأهرام ــ كوكب الشرق ــ المقطم».

ونقلت الجهاد نصوص مقالات الصحف والمجلات على صفحاتها منها ما نشر فى اللطائف المصورة تحت عنوان:

«اسبوعيات دياب» حيث كتبت اللطائف المصورة تقول:

«أخشى أن يشعر القارىء «بان للأستاذ امتيازاً كل أسبوع ولكنى أقرر أنه يلاقى من إيلام النفس كل أسبوع ما يجعله يكره أن يأتى هذا اليوم إذ يؤمر بدخول الحمام يوماً فى الأسبوع ويكون هذا بمشيئة الشاويش التمورجي الذى يكلف السجين أن يحسر ملابسه عن

جسمه ويجرى الكشف عليه وهو عارى الجسم مكشوف العورة أمام المسجونين قبل الحمام خوفاً من أن يكون مريضاً بمرض جلدى ... » .

كما طالب كبار الكتاب فى مقالاتهم (عباس محمود العقاد وطه حسين ومحمد حسين هيكل وغيرهم) بضرورة التفريق بين معاملة الأستاذ توفيق دياب المفكر والسياسى والأديب وبين معاملة القتلة والمجرمين داخل السجون المصرية وضرورة الاسراع باصدار تشريع فى هذا الشأن .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل عقدت ندوة فى نادى الصحافة دعى اليها كبار الصحفيين وعلى رأسهم الكاتب الكبير محمد حسين هيكل لبحث أحوال توفيق دياب داخل سجنه وامتناعه عن الطعام .

وأصبحت قضية «توفيق دياب وسجنه» خلال تلك الأونة قضية عامة افردت لها الصحف والمجلات صدر صفحاتها وأصبحت حديث الرأى العام الذى أصبح يناصر ويؤيد توفيق دياب فى محنته وسجنه .

لقد كانت تجربة سجن توفيق دياب تجربة ثرية بكل المعانى وليست هناك أروع من عبارة مكرم عبيد التى توجت تجربة سجين الفكر والرأى توفيق دياب بقوله :

«ليس فى طوق النفس أن تتمثل فتستحضر الرجل والصديق والكاتب والخطيب والوطنى والمجاهد فى توفيق دياب فكل أولئك قد حبسوا مع شخصه بين جـــدران سجن لا ينفذ إليه نور ولا يشع منه نور! ولكنا رغم ذلك كله قانعون بما بقى لنا من توفيق دياب فقد بقى لنا الكثير بل بقى لنا الكل فى الكل إذا بقيت لنا نفسه ! » .

«كان الخلاف بين توفيق دياب وعباس محمود العقاد بمثابة الظلال الغامقة التى لا بد منها لكى تتكامل اللوحة الرائعة».

الباب الخامس
العقاد والجهاد وتوفيق دياب

بدأ عباس محمود العقاد الكتابة فى الجهاد منذ ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٣٢ وقد أرتبط التحاق العقاد بالكتابة فى «الجهاد» بالأزمة التى كان الوفد يمر بها فى خريف ١٩٣٢. وهى الأزمة التى نشبأت نتيجة لقبول مصطفى النحاس أستقالة محمد نجيب الغرابلى وأعتراض ثمانية من أعضاء الوفد على هذا القرار وأنضمام صحيفة «البلاغ» ـ كبرى صحف الوفد حتى ذلك الحين ـ إلى جانبهم الأمر الذى عرض الوفد لأخطر إنشقاق حدث فى صفوفة، منذ الأنشقاق الأول الذى تم فى عام ١٩٢١، وتمخض عنه تأليف حزب الاحرار الدستوريين.

كما أرتبطت فترة كتابة عباس محمود العقاد لجريدة الجهاد ببعض الأحداث الهامة وكان على رأسها السياسة الإنجليزية تجاه مصر وبدأ مفاوضات مستر هندرسن وزير الخارجية البريطانية مع الحكومة المصرية وكان موقف العقاد منها واضحا كما أرتبطت فترة كتابة العقاد للجهاد بفوز حزب الوفد الساحق فى الانتخابات وتأليف وزارة مصطفى باشا النحاس وان كان قد أستقال فى نفس العام لفشل المفاوضات مع هندرسن وهو ماتوقعة العقاد فى مقالاته.

وقد تولى إسماعيل صدقى رئاسة الوزراء بعد مصطفى النحاس وكانت فترة حكمه استبدادية ضيق فيها الخناق على الحريات بعد ما ألغى دستور ١٩٢٣ وأقام فيه دستورا فصله على الديكتاتورية وقد هاجمته الصحف الوفدية بمنتهى العنف وكشفت دورة فى تقييد الحريات العامة .

وقد ألحق مصطفى النحاس عباس محمود العقاد بجريدة الجهاد لكى يقف بقلمه الذى يستحيل فى المواقف السياسية كالنصل الحاد فى مواجهة الظلم والعسف والجبروت ولكى يقف فى مواجهة جريدة « البلاغ » والتى سبق أن كتب فيها العقاد ولكن أنشق عليها لتعارض آرائه مع آراء القائمين عليها .

والحقيقة أن عباس محمود العقاد دافع من خلال جريدة « الجهاد » عن ، زعامة الوفد فى مواجهة « البلاغ » المعبرة عن الجماعة المنشقة عن الوفد . ومن هنا فقد كتب العقاد مع بداية إلتحاقه للجهاد مجموعة مقالات تناولت مسألة الأزمة التى إنتهت بإنشقاق الأعضاء الثمانية عن الوفد بدأت بمقالته الشهيرة التى هاجم فيها بشدة محمد نجيب الغرابلى وإتهمة بمحاولة القضاء على الوفد وأيد فيها قرار النحاس باشا بفصل الغرابلى ويرد عليه محمد نجيب الغرابلى بمقالة فى الجهاد فى ٣٠ أكتوبر يتخذ فيها من قانون المطبوعات وسيلة لتنفيذ حجج العقاد ويرد عليه العقاد فى اليوم التالى بمقالة شديد كما تبدو من عنوانها « أصحاب الرئيس وسخف الغرابلى باشا » .

هذا وقد أكد عباس محمود العقاد « فى حديث الصباح » وهى المقالة الأفتتاحية التى كان يكتبها أساسا ــ محمد توفيق دياب وفى

بعض الأحيان محمود عزمى أو عباس محمود العقاد.

ولقد أراد العقاد أن يرد لاسماعيل صدقى الصاع صاعين فلم ينس العقاد مطلقا انه دخل عالم السدود والقيود وتعرض للسجن على أيدى حكومة إسماعيل صدقى الديكتاتورية فكتب مقالة فى الجهاد فى بداية شهر نوفمبر عام ١٩٣٢ بعنوان «المراوغة مع الأصدقاء فكيف بالخصوم ؟ !» .

ندد فيها بعلاقة إسماعيل صدقى والإنجليز حيث كتب فى مقالته : —

« صدقى باشا لا يأمن الإنجليز ولا يتفاهم معهم على نية صريحة فى أمر الحاضر، ومستقبلة ، ولا يدرى ما هم صانعين به من قريب أو بعيد » .

هذه حقيقة لا ريب فيها عن العلاقة بين صدقى باشا والإنجليز يشعر بها صدقى باشا قيل غيرة ، لانها تؤلمة وتخيب رجاعة ، ففيها من قوة الحضور فى الذهن والمثول أمام النظر، فى كل شىء يؤلم ويخيب الرجاء.

صدقى باشا على ريب شديد من الإنجليز، وصدقى باشا مع هذا قد كان أولى الناس ان يأمنهم ويستريح إليهم لو كان للمستعمرين أمان ، وكيف وهو وزير مصرى أفاد الإنجليز من المال والمأرب والسياسة ، فوق ما أفادهم وزير ممن وزرائهم المعدودين ؟ فلا مكدونالد ولا سنواين ولا بلدوين ولا أحد من زملائهم يستطيع ان يزعم لنفسه أو لقوته أنه أضاف إلى ثروتهم ومصالحهم المباشرة مثل ما أضافة إلى تلك الثروة وزيرنا المصرى الخطير إلى ما تحت قدميه فلا يحس الأرض ثابته

مكينه تحت قدميه وينشد امنيته الكبرى عند السياسة فلا يصيب عندها جوابا غير المراوغه والتسويف.

ثمانية وعشرون شهرا في أنتظار المعاهدة ولا معاهدة ولا مفاوضة، بل لا زيارة للعاصمة البريطانية يشيع عنها الانصار هنا ما يشعون، بل لا مقالة سياسية بين الوزير للمصرى ورجل من رجال الإنجليز المسئولين ولو في ناحية من نواحى القارة الأوربية، وكل ما ظفر به صاحبنا بعد المحاولَة والإلحاف أن يجلس مع وزير الخارجية البريطانية جلسة خاصه في جنيف كما يجتمع أى رجلين فى قهوة من القهوات، ثم أسفرت هذه الجلسة القهوية عن ثناء الوزير البريطانى على سياسة صدقى باشا المالية كما قال صاحبنا في خطابة الاخير، وعاد صاحبنا فظن أنه قد ظفر بشىء كبير، أو أن هناك إنسانا فى مصر لا يستطيع، أن يذهب اليوم إلى جسيف فيلقى فيها وزيراً بريطانياً يسمع منه مثل هذا الكلام في معرض المجاملة وازجاء الفراغ.

«لا. بل يحق لنا ان نقول ان ثناء الوزير البريطانى على سياسة صدقى باشا المالية أنما هى من ضرب التقاضى والاستزادة وليست ضربا من التحية والمجاملة وازجاء الفراغ.

إذ أى وزير بريطانى لا يثنى على السياسة التى تكسبهم جبل الأولياء وصفقات المقاولات والتوريدات، ومكاسب الأفراد والشركات، وربح الملايين من قناطير القطن التى تباع فى أبان المواسم، وربح زيوت الوقود التى يخسر المصرى بضعه قروش فى كل صفيحة منها فرق ما بين الواردات البريطانية والواردات الروسية وبربح الفرق بين عملة الورق والذهب، وربح الفوائد التى نقصت واحداً

ونصفاً فى المائة على الأستاذ الإنجليزية ، وربح ما وراء ذلك من المنافع التى لا تدخل فى حساب ولا يجهلها الوزراء البريطانيون .

أى رجل من رجال انجلترا المسئولين لا يثنى على سياسة مالية تفيدهم كل هذه الفوائد وتجلب لهم كل هذه الأموال ، ان من الخيانة العظمى ان لا يثنى السيرجون سيمون على مثل هذه السياسة أو يستزيدها جهد الطاقة وما كان لصاحب الدولة أن ينتظر الخيانة العظمى من السيرجون سيمون .

فإذا كان هذا قيمة ما خرج به صاحب الدولة من ثناء الجلسة القهرية فى جينف فقد خرج بغير طائل ، بل خرج مدينا لجليسة الأريب مطالبا بالمزيد ومضاعفة الجهود !!

ثم كان التصريح الأخير فى البرلمان الإنجليزى فماذا جنى منه صاحب الدولة أو ماذا يجنى منه بعد الآن ؟

لا شىء ، أو أقل من لا شىء .

فهل فاوضوة ؟ لا .. لم يفاوضوة !

هل وعدوه المفاوضه فى وقت معلوم أو فى موعد يسهل تقديرة والإنفاق عليه ؟

« لا . لم يعدوه ولم يقولوا الا ان المفاوضات غير مستحيلة فى الوقت المناسب ثم لم تخلص نيتهم حتى بهذا الوعد الهزيل الضئيل فسرعان ما نطقوا به حتى أوعزوا إلى صحفهم ان تفسده وتمزجه بالمنغصات والمعقبات ، فقالت المورنينج بوست :

« ان الناقد النزية يرى ان على تصريح وزارة الخارجية صبغة البيانات الرسمية لخلوه مما يقيد قائلة ، فهو لا يشير إلى التحفظات

والضمانات التى يمكن ان تطالبها الحكومة البريطانية قبل الشروع الجدى فى المفاوضة ».

أرايت يا دولة الباشا ؟

انك إذن غير موعود بشيء وان السكوت كان خيرا لك على الأقل من ذلك التصريح الهزيل الضئيل.

أعرفت الآن يا دولة الباشا « شغل الحواة » البارعين الذى يتقنه كل الاتقان جون بول صديقك الحميم.

ــ أتريد المفاوضة هكذا يا صديقى ؟

أحريص أنت كل هذا الحرص على المفاوضة يا نور عينى ؟

أذن خذ: هاك المفاوضة برمتها .. أفتح يدك .. أطبقها جيدا لكيلا تفر منها المفاوضة .. المفاوضة فى يدك الآن فافرح يا صدقى .. أفرح يا نور عينى .. وأرقد وأنت مستريح ..

وهكذا قال لك جون بول يا صاحب الدولة وهو صديقك الحميم فافتح يدك فماذا ترى فيها الآن ؟ ؟

يا للعجب .. لا شيء .. لا شيء على الأطلاق .. لا مفاوضة ولا وعد بالمفاوضة ولا امكان المفاوضة متروكا بغير تحفظات ولا منغصات ولا معقبات وذلك فليكن شغل الحواة البارعين ..

* * *

« ولقد فرح صاحب الدولة وانصارة لان وكيل الخارجية قال فى البرلمان الإنجليزى ما معناه أنهم يعترضون على الوزارة الصدقية فى شئون العلاقات بينها وبين الحكومة البريطانية .. فرح صاحب الدولة وفرح

أنصاره بتلك الكلمة التى «لا طلعت ولا نزلت» فدبت إلى قلوبنا الغيرة الشديدة من حسن الحظ الذى يلقاة جون بول وسوء الحظ الذى نلقاة» نحن عند هؤلاء الوزاريين القانعين الطيبين.

ها نحن أولا نقول لهم ان الإنجليز يعطفون عليهم ويرضون عنهم ولا نكتفى بانهم يحتملونهم ولا يعترضون على سياستهم فى الشئون التى بينهم، ها نحن أولاء نقول لهم اليوم ان «الحياد البريطانى» أن هو الأحياد مزيف وان الوزاريين يعملون فى مصر كل ما يريده الانجليز المحايدون.

فإذا كانوا يطربون ويرتعون للكلمة الصغيرة التى قالها الوكيل البريطانى فلماذا نجود عليهم بأضعاف أضعافها فلا يطربون ولا يرقصون!

«أطربوا وأرقصوا يا معشر الوزاريين القانعين الطيبين، ثم افتحوا أيدكم آخر الأمر فإنها على كل حال تخرج بيضاء.. ولكن لا تقول بيضاء من غير سوء، والحمد لله.

ومن ناحية أخرى فقد قام العقاد فى مقالاته بتمجيد وتعظيم زعماء الوفد وعلى رأسهم مصطفى النحاس باشا فان تأييدة من وجهه نظرة العقاد صمام أمن ضد أى عدوان وضد أية دسيسة أو حملات مغرضة وأن تأييدة فى حد ذاته هو تأييد للقضية المصرية الوطنية فى خطوة من خطواتها نحو التحرر من المستعمر الإنجليزى فالوفد على حد تعبير العقاد فى أحدى مقالاته فى الجهاد هو «مذهب الفطرة فى السياسة المصرية» ولقد قام العقاد أيضا بتأييد «مكرم عبيد» ويؤكد على صداقته بدولة الرئيس وان هذه الصداقة مبعثها الثقة المتبادلة بينهما

وندد بشدة على من يحاولون الحقد فان الحقد يملىء عليهم مايزعمون وان هدفهم الأساسى من وراء ذلك هو التفرقة والوقيعة ومحاولة ضرب الوفد فى أغلى أركانه وهو الثقة الشعبية فى زعمائه.

ولقد وقف العقاد موقفا وطنيا ضد المستعمر الإنجليزى وكشف عن الاعيب المستعمر وشهر بزعمائه وندد بسياسته فلقد عينت حكومة العمال البريطانية «سير برسى لورين» مندوبا مصريا لها فى مصر خلفا للورد جورج لويد الذى تم عزله فى ١٥ مارس عام ١٩٢٩ وقد ذكر الدكتور محمد حسين هيكل فى مؤلفه الهام «مذكرات فى السياسة المصرية» «الجزء الأول» ان سير برسى لورين ذكر لعدلى باشا يكن ان الحكومة البريطانية مستعدة إذا تألفت وزارة قومية فى مصر برئاسة رجل كعدلى باشا ان تعقد مع مصر المعاهدة التى انتهت إليها مفاوضات سنة ١٩٣٠ وان تشير باعادة دستور الأمة إليها.

ولقد ترددت شائعات فى صيف عام ١٩٣٢ بان الحكومة الإنجليزية تعقد فى نيتها تغيير السياسة الإنجليزية فى مصر عن طريق نقل سير برسى لورين سفيرا لبلاده فى باريس أو انقره ولقد وصف العقاد هذه الشائعات بانها «خديعة إنجليزية لا طائل منها». وان السياسة الإنجليزية لن تتغير فى مصر مهما كانت الأسباب أو الدوافع وأن الهدف الأساسى من وراء هذه الشائعات ــ بعد ان يستبد الغضب بالشعب المصرى ــ هو المماطلة والتسويف وحتى بعد تعيين سير مايلز لمبسون خلف لبرسى لورين ظل عباس محمود العقاد على موقفه لم يتنازل عنه أو يلين بل أفصح عن رأية صراحة فى ان الإنجليز لن يغيروا من سياستهم إلا إذا كان الهدف وراء ذلك هو مصلحتهم الاستعمارية.

فقد كتب العقاد فى الصفحة الأولى فى الجهاد فى المقالة الافتتاحية جديث الصباح فى ٧ نوفبر عام ١٩٣٢ تحت عنوان : ماذا وراء السير برسى لورين ؟ ! «أشاعة فى طيها شرك ! ! ». مقالة هى فى الواقع كشف حساب سياسى مع المستعمر الإنجليزى وكشف الاعيبة ومواقفه السياسية بالوقائع والبراهين.

وقد كتب أيضا مقالة بعنوان «حيلة قديمة مضى أوانها ماذا وراء السير برسى لورين ؟ ! «يقول فيها :

ولما ظهر الخلاف الأخير فى الوفد المصرى كتبت فيه الصحف الاستعمارية والصحف الوزاريةوأسرعت إلى ذكر التطرف والاعتدال على عادتها فى مثل هذه المسائل. وهى بطبيعة الحال تنصر المعتدلين وتخذل المتطرفين ان كان لها نصر وخذلان غير النصر المعكوس أو الخذلان المعكوس.

ولسنا نتعرض هنا لصوابها أو خطئها فيما ذهبت إليه فذلك شأن لا محل للكلام فيه الآن. وإنما نستعرض هذه الحيلة الرثة البالية التى لا يقطع عنها المستعمرون وأشباههم مع ما يتبين لهم من خطئها وسوء ما فيها فى كل يوم. فقد كان الاحتيال بأسم التطرف والاعتدال نافعا أو مرجو النفع يوم كان الزعماء هم كل شىء يدخل فى الحسابات وكانت الأمم تبعا مهملا بين زعمائها تتقلب بينهم حيث يتقلبون. فاما فى القضية المصرية حيث لا مكانة لزعيم الا بمقدار ما تبوئه الأمة من مقام الثقة والولاء فمن السخف أن يعول أحد على حيلة التطرف والاعتدال بعدما رثت ايما رثاثه وابتذلت ايما ابتذال فكل من يسميه المستعمرون معتدلا فعنى ذلك عند الجميع انه يقبل ما يراه المستعمرون ،

وكل من يسمونه متطرفا فمعنى ذلك عند الجميع انه لا يقبل الا ماتريده الأمة بغير نقص ولا هوادة. وما دام المرجع إلى الأمة فالمهم إذن هو ماتريده الأمة بغير نقص ولا هوادة. وما دام المرجع إلى الأمة فالمهم هو الجانب الذى تكون معه أو يكون معها لا الجانب الذى ينعتونه هنا وهناك بنعت التطرف أو نعت الاعتدال، وتلك حقيقة واضحة قد آن تفهم وتذكر بعد أن طال الأمد على إهمالها وكان من عواقبها السيئة ما كان فى كل بلد عالج فيه المستعمرون تقريبا أول تمييزا بين المتطرفين والمعتدلين.

«ان المعتدلين ــ ونعنى الذين يسميهم المستعمرون بالمعتدلين لم يقودوا قط أمة فى العصر الحديث ولن يقودوا أمة أبدا ما دام للأمم حساب فى توجيه الأمور. وسبب ذلك بسيط لا يحتاج إلى أنعام طويل ولا لجاج كثير سببه ان المعتدلين يحصرون أنفسهم فى المصالح الوقتية القريبة ولو كانت من المصالح العامة القومية، والأمم لا تستوعبها المصالح الوقتية القريبة ولا تلبث ان تنقضى فيها هذه المصالح بانقضاء وقتها حتى يزول ما كان لها من خطر وما كان لدعاتها من نفوذ، فمن يمشى مع المعتدلين لا يمشى معهم إلا خطوة واحدة حتى ينقطع بينهما الطريق. ثم يعود الأمر إلى المتطرفين حين لا تجدى مساومات الاعتدال ولا خطواته القصار.

قال مصطفى كمال فى مذكراته: «وكانوا يقولون للأمة من جهة وللحكومة الاستانة من جهة أخرى لا تعترفوا بمصطفى كمال ولا تثقوا به لان الحلفاء لم يشتدوا على تركيا الا من جراء فعله، كانوا يقولون ذلك ويزعمون انه إذا قضى عليه نالت البلاد عند الدول الأجنبية كل صداقة وهوادة».

قالوه ذلك للترك فهل يدرى القارىء من الذين قالوه ؟ ! أنهم هم هم الإنجليز الذين كانوا يحتلون العاصمة التركية فى ذلك الحين .

قالوه للترك كما قالوه للمصرين عن سعد زغلول وكما يقولونه الآن عن مصطفى النحاس .

وقالوه للترك كما قالوه للهند عن غاندى ورجال المؤتمر الوطنى وكما قالوه ثم انفضت كل تلك الأقاويل ولم تسفر الا عن شيء واحد هو الثابت المستقر الآن وبعد الآن . فقد نظر المستعمرون إلى معتدليهم الذين اعتمدوا عليهم فإذا هم قد ذابوا ممن تحت أيديهم وإذا بتركيا والهند وايرلندا ومصر ولا زعامة عليها إلا لمصطفى كمال وغاندى ودى فاليرا ومصطفى النحاس ؟

ولا يزالون بعد هذا يقولون : المعتدلون المتطرفون . ويحاولون عندنا ان يستغفلوا المصريين حين يزعمون لهم أنهم يبغون أستقلال مصر ولا يشترطون كذلك إلا ان يهدموا مصطفى النحاس ! ! .

« لقد كانت للمستعمرين عبرة عن الهند أكبر من عبرتهم فى مشكلة ايرلندا الأخيرة .. فهذا المؤتمر الوطنى الذى يستولى اليوم على قيادة الهند ويقيم القيامة على الإنجليز من الذى أنشأه ولفقه يوم ظهر ملفقا مرقعا قبل سبع وأربعين سنة ؟

« هل أنشأه الهنود كما قد يتبادر إلى أذهان بعض الناس ؟ كلا . لم ينشئه الهنود وأنما أنشأه المستعمرون فى عهد رجال من كبار أساطينهم المعروفين بيننا وهو اللورد دوفرين . وظن هذا اللورد انه خلق الهيئة التى يستولى بها على قيادة الهند ويقضى بها على نزعات التطرف والعداء للدولة البريطانية فما هى إلا فترة من الزمن حتى تغلب

المتطرفون على المؤتمر أمامهم فاشفق المعتدلون ان يحاورهم فانفصلوا ثم عادوا فالتأموا ثم عادوا فأنفصلوا مرة أخرى وألفوا : «أتحادهم الوطنى الحر» بمعزل عن المؤتمر ورجاله. ولكن الهند ظلت تعرف المؤتمر المتطرف ولا تعرف «الأتحاد الحر» وهى لا تدين بالزعامة إلا لتلك الهيئة التى تحمل راية العصيان المدنى وتشن الغارة على الإنجليز كما تشنها على أنصارهم ــ «المعتدلين» وكل خطة تنكرها تلك الهيئة لا تجدى الحكومة البريطانية فى سياسة الهند ولا تلبث ان تدخل فى خبر كان.

«تلك عبرة بالغة وفى تركيا وأيرلندا ومصر عبر من قبيلها، ولكن ما أكثر العبر فى تاريخ الأستعمار والأعتدال وأقل المعتبرين!

«ان الأمر فى الحقيقة ظاهر بطبيعته كما أسلفنا، فالفئة التى يسميها المستعمرون بالمعتدلين لا تمثل الأمم ولا تقودها فى قضاياها الوطنية لأنها تنظر إلى النفع القريب الذى سرعان ما يتقلب ويطويه النسيان ثم يؤول الأمر إلى المصالح الدائمة والأمال الخالدة وهى ميدان لا يحسن المعتدلون التقدم فيه.

«هذا من جهة».

«ومن جهة أخرى يفشل المعتدلون فى قيادة الأمم لسبب آخر يرجع إلى مزاجهم وطبيعة تكوينهم ولا حيلة لأحد فى تبديله وأصلاحه فالمعتدل بطبيعته رجل ينفر من النضال ولا يعرض نفسه للخطر. فإذا مشت الأمة فى طريق فليس هو بالرجل الذى يصمد لها ليصدها عن تلك الطريق. بل أقرب إلى مزاجه ان يتبعها ويمشى فى أثرها لا ان يهاجمها ويتمرد عليها، فإذا ساعدته القوة الأجنبية فاجترأ على مناواة

قوية فهو إذن عدو ظاهر لن يصلح لتمثيل قومه ولن يستمع له أحد إذا تكلم بلسانهم. ومن هنا تنتهى سياسة التفرق بين التطرف والأعتدال بالفشل ولاتفيد إلا فى أثبات سوء النية والأ يغال فى الحذر والعداء».

«والذى نعتقده أننا قادمون على عام فاصل فى القضية المصرية تجمع فيه الأمة كل تجاربها وعظاتها فتستفيد بقدر مايحضرها من اليقظة والصلابة وشجاعة اليقين. ونعتقد كذلك ان الإنجليز سيدخلون فى تجربة جديدة من تجاربهم العديدة. وربما كانت طليعة الخطة المنوية مانشرته «الديلى أكسبريس» عن مستقبل السير برسى لورين بعد ان أذاعت خبر سفره إلى القاهرة فهى تتوقع ان يتخلى السير برسى عن منصبه هنا لينقل إلى باريس أو واشنطن. وترى لذلك أسبابا كثيرة منها ان السفارة البريطانية فى باريس ستخلو قريبا من سفير، وان هناك مفاوضات منتظرة بين باريس والقاهرة فى شأن قناة السويس.. إلى آخر ما روته تلك الأسباب».

«فماذا فى هذه الاشاعة؟ وماذا تخفى وراءها من الخطط والمناورات؟ هل سينقل السير برسى لورين حقا أو باق هنا إلى نهاية العام؟ ليكن من حقيقة ذلك مايكون؟ وليبق فى مصر أو ينقل إلى حيث تشاء حكومته أو يشاء. فهذه الأشاعة لن تصلح لتحرير المصريين وحملهم على الأنتظار شهرا بعد شهر حتى ينتقل السير برسى إلى وظيفته الجديدة ويخلفه المندوب الذى يناط به تغير السياسة البريطانية!! فربما كانت الأشاعة مسبوكة لغرض مثل هذا يساعد على المراوغة والتأجيل والتعليق والتأويل: يعود السير برسى والناس ينتظرون

نقله ولا ينتظرون تغييرا على يديه .. وينقضى الشهر بعد الشهر فى هذا الأنتظار حتى ينتصف العام. وعند ذلك يقال ان العادة لم تجر بنقل السفراء فى أواسط الأعوام فلننتظر أيضا إلى الأجازة الصيفية وما بعد الأجازة الصيفية.. وهكذا ينصرم العام كله فى غير طائل وينتقل السير برسى لورين أولا ينتقل حد سواء، لن ينقاد المصريون بعد اليوم لأساليب التخدير والتغرير، فلنتلق الاشاعات على حذر ويقظة، ولا نستبعد على خصومنا اية نية وأى تدبير».

عباس محمود العقاد

ويبدو من المقالة السابقة حرص عباس محمود العقاد على تأكيد ان أشاعة نقل سير برسى لن تصلح لتحرير المصريين.

ولقد واجه عباس محمود العقاد فى مقالاته فى جريدة الجهاد استبداد حكومة إسماعيل صدقى وكشف عما يسمى «بقضية حوادث البدارى» وهى تتعلق بالأستبداد وأعتداء البوليس على الأهالى بعنف والتى بسببها أستقال عبدالفتاح يحيى أحتجاجا من منصب وكيل حزب الشعب.

ولقد شن العقاد حملة يومية على حكومة صدقى باشا وحوادث البدارى والتى أستمرت على صفحات الجهاد فى الفترة ما بين «١٩ ديسمبر ــ ٣٠ ديسمبر ١٩٣٢».

وقد ركز العقاد فى هذه المقالات التى كانت بمثابة حملة صحفية على فوضى الأدارة المصرية وأن ما حدث من جرائم وأعتداء على الشعب المصرى من البوليس هو فى الحقيقة أبشع فظائع القرون الوسطى وعودة

إلى شريعة الغاب وان الأدارة التى يؤيدها الأستعمار لا تكون إلا على هذا المثال ثم أوحى العقاد فى مقالاته بضرورة الضرب بقوة على من تسول له نفسه الأعتداء على هذا الشعب وطالب بضرورة تشديد العقوبة على مرتكبى هذه الحوادث.

ولقد ربط العقاد بين هذه الحوادث والأستعمار الإنجليزى فقد كتب تحت هذا المعنى من خلال مقالة نشرها فى الصفحة الأولى من جريدة «الجهاد» بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٣٢ تحت عنوان: «حادثة البدارى وألف حادثة مثلها لا تمنع المستعمرون ان يفاوضوا».

كما هاجم العقاد الصحف الإنجليزية التى كانت تصف السياسة الوفدية وحكوماتها بسوء الادارة وقد هاجم العقاد استقالة على ماهر وزير العدل والحقانية وعبدالفتاح يحيى وزير الخارجية على آثر خلاف بينهما وبين إسماعيل صدقى حتى لا يحصلا على عطف الرأى العام ووصف أستقاليتهما. بأنها مناورة سياسية بالأتفاق صدقى بل حمل كثيراً على دور على ماهر مندوبه وبموافقة، قد أشترك ثلاث مرات فى تعطيل الدستور.

فكان الوزير المصرى الوحيد فى هذه «المزيه» النادرة وهو صاحب التبعة الأولى فى جميع القوانين الاستثنائية التى سنتها وزارة الحقانية، وهو وحده حامل التبعة فى حركات التنقل الدائمة بين رجال القضاء مما لم يعهد قط فى أيام وزير من الوزراء، وهو فيما عدا ذلك أحد المؤسسين للفئة المدعوه بحزب الأتحاد، وأحد المديرين لقضية الوثائق، وأحد الذين شايعوا صدقى باشا فى جميع أعماله ومنها حادث أخطاب،

وقد كان أسبق الوزراء إلى تقيد الحريات وأسبقهم إلى الظهور كذلك بمظهر الرجل الغيور على الحريات.

ويرى الأستاذ الدكتور راسم الجمال ان أعادة تشكيل الوزارة الصدقية فى ٤ يناير ١٩٣٣:

« وكانت اعادة تشكيل الوزارة الصدقية فى ٤ يناير ١٩٣٣ ــ كما سبق القول ــ فى رأى العقاد، مجرد عملية « ترقيع ممزق »، ساعدت على أحداثها المصارف الأجنبية المستفيدة من بقاء الوضع القائم، « فان لم يكن هذا عاملا كافيا فالمليونان اللذان سيدفعان إلى الحبشة بايعاز من الإنجليز، فان لم يكن هذا وذاك » فمقاولات « خزان جبل الاولياء والمعونة للشركات البريطانية ما ظهر منها وما سيظهر فى زمن قريب، وكل أولئك صفقة لا يأس بها إذا هى دخلت فى الحساب ».

وأستغل العقاد مرض إسماعيل صدقى لمطالبته بالأستقالة: « ففى بقائه حيث هو قسوة عليه وقسوة على البلاد، وفى خروجه من المنصب رحمة به ورحمة كذلك بالبلاد ».وكان يقصد بأستقالة صدقى، « أستقالة السياسة التى جرت عليها الوزارة الصدقية لا أستقالة الوزراء وحدها إذا قد تحقق الآن ان السياسة التى سار عليها صدقى باشا لن تقوى على الدوام والأستمرار». وظل العقاد يتساءل فى مقالاته عن سبب أستمرار الوزارة فى الحكم. رغم توافر كافة الأسباب التى من شأنها أن تدفعها إلى الأستقالة. ولم ير سبباً ذلك إلا رغبة السياسة الإنجليزية فى بقائها وأستمرارها، أو رغبتها فى بقائها ريثما تنظر فى تلفيق وزارة جديدة لا تريح الأمة ولا الأمة تريحها، « إذ قد أصبح حراما على مصر فى عهد المحتلين ان تتولاها الوزارة التى تريح فيها وترتاح ».

ولم يتوقف العقاد عن تشهيره بمساوىء الوزارة الصدقية الذى أعتبره كتسجيل لطوارىء الطبيعية «التى لا تسمح ما يقول قائل ولا ما ينصح به ناصح ، ولا نعرف نقدا أصعب على الصحافة من هذا النقد الذى لا حاجة إليه ، لان الناس فى غنى أظهار خطأ قد تعب وسئم من فرط الظهور» . إلى ان جاء شهر سبتمبر ١٩٣٣ ، وبدأت تظهر بوادر الأزمة التى أنتهت بأستقالة الوزارة الصدقية ولعل الوزارة النسمية كانت بداية الخلاف بين عباس محمود العقاد والجهاد والوفد وذلك على أثر أصرار العقاد على نشر مقال له فى جريدة الأهرام مقترحا نية تعيين أمين لطفى وكيلا لوزارة المعارف والتى تعرف الآن بوزارة التربية والتعليم وحدثت على أثر ذلك مشادة كلامية بين توفيق دياب والعقاد غضب على أثرها العقاد وأصر بعناده المعروف على نشر المقالة فى الأهرام ضاربا برأى توفيق دياب بل ومصطفى النحاس عرض الحائط . وأضطر مع ذلك مصطفى النحاس ان يتدخل لرأب أول صدع بين توفيق دياب والعقاد فقام بزيارة جريدة الجهاد ونجح فى تصفية النفوس ولو إلى حين فلم يستمر هذا الود أكثر من ثلاثة أسابيع والغريب ان عباس محمود العقاد فى هذا اللقاء أقسم أمام النحاس وتوفيق دياب وجموع الحاضرين بانه لن يبرح الجهاد مهما كانت الأسباب وقال بالحرف الواحد : «ولا أرانى فى حاجة إلى التوكيد لدولتكم بأنكم والبلاد معكم لن ترونا أبدا إلا فى مكان الجهاد الذى ينبغى ان تكون فيه ، نعم لا حاجة بى إلى التوكيد فى هذا المعنى ، لان من المعانى ما تؤيده الحقائق دون الأقوال» .

ورغم ذلك فقد حنث العقاد بيمينه وأنتقل من العمل بجريدة

«الجهاد» إلى روزاليوسف مقابل زيادة فى مرتبه قدرها عشرة جنيهات !.

وكان مرتب العقاد فى الجهاد سبعين جنيها فأصبح ثمانين جنيها فى روزاليوسف.

والطريف ان مرتب العقاد كان يدفع نصفه توفيق دياب ونصفه الأخر الوفد وأستمر ذلك بعض الوقت ثم أصبح توفيق دياب يدفع مرتب العقاد كاملا.

ولكن كيف أنفصل العقاد عن الجهاد قيل ان العقاد أدعى المرض وانه مصاب بوعكة صحية ويحتاج إلى الراحة بأمر الطبيب المعالج ولزم فراشه لمدة شهر كامل ولم يعد إلى الجهاد وأتجه بعدها مباشرة إلى روزاليوسف خلال هذه الفترة تجرى مفاوضات بين روزاليوسف والعقاد للعمل بروزاليوسف.

لقد بدأ الأستاذ توفيق دياب حملة الهجوم على عباس محمود العقاد بمقالة نشرها فى الجهاد فى ٢٤ سبتمبر ١٩٣٥ يحكى فيه قصة التحاق العقاد بالجهاد وجاء فيه :ـــ

«فلما خرج العقاد من السجن كانت عقيدتنا هى التى نشرت له ما نشر وما نظم فى تلطف وعطف شديد عرضت عليه مائة جنيه فى الشهر.. ويعلم الله كم كان هذا العرض فادحا لو قبله الأستاذ لا تقل ميزانية الجريدة وأنما أردت به التضحية لكاتب مهما يكن أسباب سجنه فقد كان أحد كتاب الوطن.

«وشكرنى العقاد وطلب إلى تأجيل جوابه يومين أو ثلاثة رأى فى خلالها ان يتعاقد مع جريدة أخرى هى جريدة مصر».

وهذا الصراع والهجوم بين توفيق دياب والعقاد هو صراع صحافة الثلاثينات الحزبية وقد قيل الكثير من هذا الصراع فيرى البعض ومنهم الأستاذين الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى والدكتور عبدالعزيز شرف أنها المعادلة الصعبة فى الصحافة العربية الحزبية فى ذلك الوقت :

هذه هى المعادلة الصعبة التى كان على كل صحفى مصرى مجاهد أن يحلها فى عمله بالصحافة السياسية خلال عهد الأحزاب ، وقد خرج العقاد من سجنه فى عام ١٩٣١ ويعرض عليه صاحب الجهاد ان يعمل بصحيفته . فيقبل العقاد وتسوء المعاملة المالية ، لان أصحاب الصحف يريدون الضياع والقصور ويبخلون على الصحيفة بما يفى نفقاتها . وتنتهى المسألة بأنتقال العقاد إلى صحيفة أخرى . فماذا يسوء صاحب الجهاد من وراء ذلك وفى الواقع أيا كان تقدير هذه الحملة من الطرفين ، إلا أنها كشفت عن حقيقة الصحافة من واجهتها الخلفية .

ويعنى بذلك بمواجهة الصحافة الخلفية مقومات الصحيفة المادية التى تعتمد عليها فى القيام بتكليفها . وصحيفة الجهاد التى تتحدث بأسم الوفد تحظى برضاء سكرتيره مكرم عبيد صاحب الكلمة العليا فى الوفد ، وهنا نجد ان أساس المعركة التى دارت بين العقاد فى « روزاليوسف اليومية » وبين صاحب « الجهاد » تكمن فى العلاقة التى بين مكرم عبيد وصاحب الجهاد الذى يعطى العقاد مرتبه على دفعات ويبالغ عندما يزعم انه كان يعطيه ، ثمانين جنيها مشاهرة والوثائق التى نشرها العقاد فى « روزاليوسف » تثبت مدى صدق دعوى العقاد . وتكشف عن العناء الذى كانت تكبده الصحف الوطنية .

ولقد نشرت الجهاد كلمة بأمضاء «وليم بطرس الدوينى» أدعى فيها ان السيدة روزاليوسف تتقاضى أموالا من أحمد عبود باشا وقد كذبت السيدة روزاليوسف هذه الواقعة فى مذكراتها التى نشرتها بعد ذلك .

وفى اليوم التالى كتب محمود عزمى مقالة بعنوان «وليم الكذاب» أثارت غضب مكرم عبيد الذى حمل أسم «وليم» قبل ثورة ١٩١٩ وثارت الدوائر الوفدية علىٰ أهانة سكرتير الوفد والتعريض به وتكذيبه من وجهة نظرهم ولقد عرض محمود عزمى يومها الأستقالة لينهى الأزمة التى استفحلت ودعت حزب الوفد إلى فصل الصحيفة اليومية ثم تضامن الدكتور عزمى مع العقاد على الدفاع عن روزاليوسف ومن هنا أصدر الوفد بيانه التاريخى بان هذه الجريدة لا تشمل الوفد فى شىء وليس لها أية صلة بالحزب وقد كشف عباس محمود العقاد فى مقالة الذى نشر فى روزاليوسف عن حقيقة ما حدث حيث كتب فى مقالة :

لا يزال الأستاذ مكرم عبيد يتهالك بكل ما عنده من حيلة وطمع ودسيسة على شىء واحد، وهو ان يوقع فى أذهان الإنجليز انه هو القابض على ناصية الوفد والمسيطر على ارادة رئيسه وأعضائه من ورائه . فإذا حسبوا فلاضير عليهم بعد ذلك ان يهملوا حساب كل إنسان وفى مقدمتهم الرئيس .

يحرص الحرص كله على هذه الأمنية ولا يتورع فى سبيلها ان يجازف بأكبر المصالح القومية كما يجازف بأصغر الأمور. ومساعية الخفية فى أن يروى منها الكثير لمن يعملون الكثير وأظهرها وأخطرها فى الزمن الأخير تصرفه العجيب فى مسألة الدستور قبل أجتماع الوزارة (يقصد

وزارة توفيق نسيم) فى شارع الهرم. ذلك الأجتماع الذى وصفته الصحف يومئذ بالأجتماع الخطير لما سينبنى عليه من مستقبل السياسة الوزارية، وقد ينبنى عليه تحول فى خطة الوفد وفى خطة الإنجليز. والقراء يذكرون ان ذلك الأجتماع أنما كان معقودا لافضاء الوزراء إلى أعضاء الوفد بما لديها من معلومات وحقائق عن المسألة الدستورية. وكان من الجائز ان يعدل الإنجليز عن بعض عنادهم (إذا أحسوا ان البلاد ستنقلب على الوزارة أصرارا منها على طلب الدستور. وكان من الجائز كذلك ان تضاعف الوزارة جهودها إذا أحست هذه العقبة المشكوك فيها، فإذا لم يكن هذا ولا ذلك جائزا على فرض من الفروض فالواجب على كل حال ان لا يعلن رأى الوفد قبل حصول الأجتماع وسماع ما يدور فيه والا كان أنعقاده عبثا لا معنى له وفضولا لا خير فيه.

لكن كيف يعبر الأستاذ مكرم عبيد عن أعتقاد الإنجليز للأعضاء الأخرين فى الوفد رأيا يحسب له حساب؟ كيف يترك عند الإنجليز ذرة من الشك فى قبضة وهو على ناصية الحال وسيطرته هو على جميع الأعضاء وتسخيره هو من ورائهم لجميع البلاد؟

ذلك مستحيل.. والفرصة سانحة لمناورة يثبت فيها من جديد انه هو وحده «كل شىء ولا شىء غيره يصح ان ينظروا إليه»، فجازف بالمستقبل الدستورى كله وبسمعة الوفد علانية وبكل أمل فى النتيجة المرقوبة. وقام فى جلسة الجمعية العمومية للمحامين السابقة لأجتماع الهرم مباشرة يعلن أقتراحا يقول فيه المحامين المجتمعين الآن «يعربون عن أملهم القوى فى ان تواصل الوزارة النسيمية السعى لأعادة دستور

الأمة الصادر فى سنة ١٩٢٣ إليها حتى تحيا البلاد حياة الدستورية التى ترتضيها » .

سكرتير الوفد يعلن فى نقابة المحامين على الملا أجمع نتيجة الأجتماع الذى سينعقد بعد يوم . .

يعلن تأييد الوزارة وطلب الوفد منها ان تبقى فى المناصب حتى تعيد الدستور، ويلمح للإنجليز من خلف الرؤوس تلميحا هو التصريح بعينه قائلا : «أرايتم من هو صاحب الرأى فى الوفد وفى البلاد ؟ أتصدقون بعد اليوم ان الأعضاء الموقرين إلى مواعيد الاجتماعات ويتناقشون هناك فى جد ورصانه يملكون أو يملك رئيسهم ان ينقضوا شيئا مما يريده قبل ذلك مكرم عبيد » .

ولقد فضح بفعلته الوفد كله ، وعبث بالمسألة الدستورية على هواه ، وأستراح إلى ما صنع ، لانه يرى المأرب الذى يعنيه فوق جميع المآرب .

وهو أقناع الإنجليز بالأتجاه إليه وحده وقلة المبالاة بأحد من الناس وغيره كائنا من كان .

* * *

« ولابد للأستاذ مكرم عبيد من السيطرة على الصحافة الوفدية بغير شرك ولا منازع حتى يتسنى له السيطرة على الرأى العام وأقناع الإنجليز بقدرته على توجيه السياسة العامة حيث يشاء .

وهو يستفيد من ذلك فائدة أخرى لا تقل عن الفائدة الأولى فى نظره وهى الاعلان عن حركاته وسكناته وقضاياه ومساعيه ، والتمهيد

للأضرار بالناس عن طريق التشهير أو الظهور بهم من طريق التحبيب والتبشير.

ولهذا لا يطيق هذا الرجل صحيفة واحدة وفدية تحيا فى البلاد مالم تكن طوع يديه ورهينة أمره فى كل كلمة وأشارة. ولهذا تولى حماية «الجهاد» كما تولى لسبب غير ذلك السبب، ونعنى الحادث المشهور بين صاحبه وبين الدكتور ماهر والحادث الذى لا يعرفه القليلون قبل ذلك بين صاحبه والأستاذ النقراشى.

فلا ينبغى ان يعلم أحد من الصحفيين ولا ان يعلم الإنجليز خاصة ان أحدا من أعضاء الوفد يهم الصحفيين رضاه وغضبه ما داموا فى حماية الأستاذ.. الرئيس الجليل».

سيقول المأجورون والاذناب كثيرا عن سبب القرار الأخير الذى حفز الوفد إلى النفخ فى النفير العام والهرولة بالقطار السريع من الإسكندرية إلى القاهرة وأنه يجتمع ويتباحث ويعلن بعد الأجتماع والبحث ان «صحيفة روزاليوسف لا تمثل الوقد ولا صلة لها به»..

سيقول المأجورون والأذناب كثيرا ويجدون من يقول، لان السادة الذين يخدمونهم يشملون فى وصف واحد الدولة البريطانية والوزارة النسيمية والأستاذ.. الرئيس الجليل مكرم عبيد.

سيقول المأجورون والأذناب ولكننا نسرد لهم الحقائق فيعملون ان المأجورين مأجورون وأن الأذناب أذناب وأن صحيفة روزاليوسف لم ترض الوفد لأنها لم ترض الأستاذ مكرم عبيد، وأنها ما كانت لترضى مكرم عبيد إلا بحالة واحدة دون سواها.. وهى إلا تظهر بتاتا فى عالم الوجود، وإلا تحيا لتكون لكتابها حرية يقولون بها خلاف ما يمليه

عليهم ، وتكون حياتها على اطلال «الجهاد دليلا يفهم منه الإنجليز ويفهم منه الصحفيون ان الأستاذ الرئيس الجليل » لا يحير ولا يجيب .

* * *

« فقبل ان تظهر صحيفة « روزاليوسف » فكر بضعة عشر عضوا من الوفد والهيئة الوفدية فى الاكتتاب لأنشاء صحيفة عن الوفد وتريحه من سمعة المرتزقة بالصحافة ، فكروا فى ذلك أثر حادث المؤتمر وقرروا الأكتتاب بعشرة ألاف جنيه وخاطبوا النحاس باشا أولا فقبل وبدأ عليه السرور ثم عادوا إليه فماذا كان ؟

كان ان الأستاذ .. « الرئيس الجليل » أدخل فى روع النحاس باشا ان المسألة من بدايتها إلى نهايتها مكيدة من بعض منافسيه الطامحين إلى الرئاسة .. بدأوها بحادث المؤتمر وشفعوها بالأكتتاب ، وسيشفعونها غدا بالدعاية لرئيس غير النحاس والأشراف على الرأى العام من غير طريق الزعامة ..

« فصدق النحاس باشا لانه يصدق ان مكرما لا ينافسه ولا يتطلع إلى الرئاسة الوفدية ولا إلى الرئاسة الوزارية ، ولكن الأخرين قد ينافسون ولما جاء رسول المكتتبين يخاطبه فى التفصيلات إذا به يتهجم ويتبرم ويصيح به « مادامت عندكم فلوس فلماذا لا تتبرعون بها لخزانة الوفد ؟ » . وعلى ذلك أسدل الستار.

وأتفق ان شاعت الأخبار بقرب ظهور هذه الصحيفة على أثر ما تقدم فسرعان ما تناول صاحبنا إذنى النحاس باشا وقال له : « أرأيت أنها الدسيسة القديمة تبرز فى ثوب جديد .. انه الأصرار بعينه .. انه تبييت النيه على الجريمة .. والعقاد الذى كان سيكتب فى

الصحيفة المطلوبة هو الذى سيكتب فى الصحيفة الجديدة.. ومن لك بضمان العقاد ان يقول ما تريد كما تريد؟».

وحوربت الصحيفة قبل ظهورها بطريق مباشر وغير مباشر، فقبل ان يظهر العدد الأول منها أوعـز الأستاذ «الرئيس الجليل» إلى صاحب العزة على سالم بك ان يتولى سياسة الجهاد تحصينا له فى وجه هذه الصحيفة التى لم تزل فى عالم الغيب.

وكان ذلك كله خلال رحلة الصعيد. فأرسلنا مندوبا خاصا لنا يوافينا بأخبار الرحلة عن كثب فقوبل أسوأ أستقبال، وأبى مكرم ان يراجع معه الخطب التى يلقيها النحاس باشا.. وهى على حسب العرف لا ترسل ولا تنشر إلا إذا عرضت على السكرتير.. أما مندوب الجهاد فكان يرسل الخطب بمراجعة أو بغير مراجعة ولا تثريب عليه.. والغرض من هذه المناورة المكشوفة ان يفهم الناس ان «الجهاد» وصاحبه مستقيل يومئذ من الهيئة الوفدية ــ هو صحيفة الوفد المرعية دون الصحيفة الجديدة.. وإذا عجزت صحيفتنا عن نشر الخطب بعد هذه المعاكسات قال النحاس باشا: «أرأيت؟.. هاهم أولاء يضربون عن نشر خطبك أستخفافا وتمهيدا لما كانت تمهد له الصحيفة المطلوبة».

وتجاوزت هذه المناورة فى التحيز الواضح فأرسلوا جواب النحاس باشا إلى إمام اليمن ردا على تهنئته بالمؤتمر الوطنى إلى الجهاد وحجبوه عن هذه الصحيفة عامين.

«ثم عاد النحاس باشا إلى القاهرة وأستقبلناه فى بيت الأمة مرات فهل مع أحد من حضرات القراء انه فاة بكلمة ترحيب واحدة

بهذه الصحيفة قبل سبعة شهور من خلق العلل التى يتعللون بها الآن ؟
هل زارها النحاس باشا كما يزور الملاعب والمراقص وعلى الكسار ؟
هل زار العقاد فى عمله الجديد كما يزور « الوردة البيضاء » ست مرات أو سبعا فى القاهرة والإسكندرية وحيثما أنتقلت بين مسارح القاهرة ؟ »

الجواب عند القراء .

ولقد قيل الكثير وخاصة من « روزاليوسف اليومية » من ان قرار فصل العقاد جاء مطلبا إنجليزيا أوضحته صحيفة « التايمز » الإنجليزية وأقرت « روزاليوسف » ان هذا هو سر الغضب الكبير على الصحيفة والعقاد وقد علق العقاد على ذلك بقوله :

« برئت ألف مرة من الوفدية ان كانت هذه هى الوفدية » ! !

ثم طعن العقاد مصطفى النحاس طعنة نجلاء بقوله : « ان قوة النحاس باشا المستعارة من الأمة أصبحت لازمة للإنجليز فى أخضاع المصريين وما رأيناها لازمة للمصريين فى بلوغ شىء من الإنجليز » . ثم أتهم النحاس بالتهاون والاستسلام للسياسة الإنجليزية طمعا فى الحكم .

ومن الغريب والطريف ان من يتابع جريدة الجهاد قبل ذلك بشهور قليلة وفى نفس العام فى ٩ يناير سنة ١٩٣٥ فى العدد (١٢٠٤) سيجد قصيدة لعباس محمود العقاد يمجد فيها مصطفى النحاس تحت عنوان : بين عهدين لأمير الشعراء الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد !!

يقول العقاد فى هذه القصيدة :

حسنتم الصبر والعقبى لمن صبرا   نادى البشير فقولوا اليوم وائتمروا

تلك السنون التى ذقتهم مرارتها ... هدا جشاها خطاب الفرس والتمر
مرت وفى كل مصرى لها أثر ... إلا اليقين فيما فيه لها أثر
سيهدم الطود من يبغيه معتديا ... وليس يهدم من أركانكم حجر
أمانة تلك فى أعناقكم عظمت ... وبالأمانة فليعظم من أقتدروا
وفى «أمنيتكم» الهادى وشيعته ... نصر لذى موثق بالحق ينتصر
وفى أسمه «المصطفى» معنى زعمامته ... معنى من الخير والتخيير مختصر
كفى بذلك عنوانا على وطن ... يدين بالشقة الكبرى ويفتكر
تباركوا حوله وأدعوا بدعوته ... وأستبشروا ومروا بالحق وائتمروا

عباس محمود العقاد

هذا هو العقاد على حقيقته ولعل أبلغ رد على ذلك هو ما نشر بعد ذلك بسنوات وعلى وجه التحديد فى الجهاد فى ٢٦ يناير ١٩٣٨ فى العدد (٢٢٥٤) تحت عنوان : «العقاد بين يومه وأمسه» بقلم صليب الفهماوى حيث يخاطب العقاد قائلا :

«بعيدا عن دخان السياسة وفى هدأة من الضمير أناجيك ولا أريد ان أستل حسا ما وأقطعك ولا أضيىء سرابا وأخدعك ولكنه الأمل فيك قد خاب» .

ان الخلاف بين توفيق دياب وعباس محمود العقاد هو خلاف فى الرأى أولا وأخيراً ولكن كل منهما قيمة مستقلة كبيرة صحفيا وأدبيا وفكريا .

ولقد كان الخلاف بين توفيق دياب وعباس العقاد بمثابة الظلال الغامقة التى لابد لكى تتكامل اللوحة الرائعة .

الباب السادس

الفصل الأول

الجهاد والشئون العربية

وكانت الجهاد ملتقى للعرب

أهتمت صحيفة « الجهاد » أهتماما كبيراً بالشئون العربية والإسلامية منذ الأعداد الأولى لها ومتابعة ما يجرى فيها من أحداث وتطورات كما فتحت صدر صفحاتها لكبار العرب مع الحرص على نشر البحوث والدراسات المختلفة عن الشخصيات العربية والإسلامية البارزة التى تناولت تراجم لحياتهم وأعمالهم التى قاموا بها .

وقد أتبعت « الجهاد » أسلوبا جديدا فى ذلك الوقت وهو أستضافة وتكريم ضيوف البلاد العربية « دار الجهاد » وأجراء الأحاديث الصحفية معهم .

كما أفردت (الجهاد) أبوابا خاصة بالشئون العربية منها (الشئون الشرقية) و (وأنباء شرقية) تابعت فيها أهم أخبار الدول العربية الشقيقة ومتابعة أخبارية لما سبق نشرة وتحليلا فى أضيق النطاق لأهم الأحداث العربية .

وكانت الجريدة ملتقى للعرب حقيقة ولكن الصورة أبلغ دليل على ذلك فهناك كثير من الصور لوفود الأقطار العربية الشقيقة داخل دار الجهاد فمن يتابع الجهاد سوف يلفت نظرة صور الأشقاء العرب فهذه صورة على سبيل المثال يرى فيها :

« حفل غذاء فى دار الجهاد أقامها توفيق دياب تكريما لكبار زعماء العراق وفلسطين وسوريا حيث يرى فى صدر المائدة السيد أمين الحسينى وعن يمينه مدحت يكن باشا حافظ عفيفى باشا وحمد الباسل » .

وهذه صورة أخرى كتب تحتها :

« زعماء مراكش بعد تناول الغذاء فى دار صاحب الجهاد وقد طلبوا منه التعرف على مصطفى النحاس باشا فأجاب الدعوة وحضر الغذاء » .

وإذا كانت هناك حكمة صينية قديمة تقول « الصورة تساوى ألف كلمة » فان هذه الصورة أبلغ دليل على أهتمام الجهاد بالشئون العربية حيث يظهر محافظ مكة ووكيل مالية المملكة السعودية فى مكتب صاحب الجهاد بعد أن البساة كسوة سعودية للملكية مهداة إليه بأسم البقاع المطهرة عرفانا بمجهودة فى جمع تسع ألاف جنية لفقراء المدينة ووعدته وزارة نسيم باشا للمساهمة فى المعونة فارسلت قمحا للحجاز بمبلغ ٣٠ ألف جنية .

كما أهتمت بالزعامات فى الدول الإسلامية ومنها متابعتها الدقيقة لنضال الزعيم الهندى « المهاتما غاندى » فى كفاحه الوطنى وقدمت الجهاد تغطية صحيفة لفترة أعتقال غاندى وسجنه وأمتناعه عن الطعام احتجاجا على أستعمار بلاده .

كما أهتمت « الجهاد » بأبناء الزعماء العرب وزعماء الدول الإسلامية ومنهم الزعيم الليبى الكبير عمر المختار ، فقد تابعت باستفاضة كل أخبار عمر المختار عقب أعتقاله وحتى أعدامه فى أعدادها الصادرة من ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣١ وحتى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣١ وهى الأعداد الأولى للصحيفة مما يؤكد أهتمامها منذ بداية صدورها ، .

كما فتحت الجريدة صفحاتها لكبار الكتاب والأدباء والشعراء العرب ومنهم على سبيل المثال :

الشاعر السودانى الكبير اليتجانى يوسف بشير الذى توفى فى ريعان شبابة ويعد من رواد الشعر السودانى وكذلك الشاعر السودانى الكبير عثمان هاشم وشكيب ارسلان وبشارة الخورى . والقائمة طويلة لا تنتهى فى هذا المجال .

كما كان الصالون الأدبى لصحيفة «الجهاد» ملتقى كبار الزعماء والأدباء العرب وعلى رأسهم : بورقيبة والأطرش ومحمد على الظاهر من تونس وأمين الحسينى وهاشم الا تاسى من سوريا وغيرهم .

ولقد كان من أبرز المقالات التى كتبها توفيق دياب دفاعا عن العروبة هو مقالة الشهير الذى نشر فى «الجهاد» بتاريخ ١٩ أكتوبر عام ١٩٣١ تحت عنوان «جريدة صدقى باشا ومصرع الزعيم عمر مختار» حيث يدافع فيه عن عمر المختار الذى استباح صدقى باشا فى مقالة له إعدامه بدعوى تنفيذ القوانين فى ليبيا ويدافع توفيق دياب من خلال مقالة المشار إليه عمر المختار وينفذ بين قضايا مقالته صدقى باشا بعد عرض فقرات من مقاله الأخير.

ويقول توفيق دياب فى مقالته :

«لقد جرح صدقى باشا شعور العالم الإسلامى والأمم العربيه جرحا بالغا فى غير دافع آخر إلى هذا العمل الجارح .

والآن تفضل فاقرأ لبعض فقرات من مقال صدقى باشا : ـــ

«أما ان العالم الإسلامى جزع لمقتل عمر المختار فذلك ما شك فيه ـــ (نحن هنا متفقون مع لسان صدقى باشا) . لكن علاقة المماليك بعضها

لا تتأثر بما يجرى فى داخلية أحداهما أو مستعمراتها أو أملاكها ــ (صامتين يا مسلمين !) ــ هو مجاهد فى نظر قومه ومن يحسون بأحساسه ــ (أما لسان حال صدقى باشا فيحسن أحساسا آخر) ــ لكنه حوكم محاكمة تستند إلى قانون البلاد التى يتبعها ثم نفذت فيه ارادة الله ويراه ذلك القانون ــ (هل من تبرير لشنق عمر المختار أبلغ من هذا التبرير، خصوصا وهو صادر عن لسان حزب مصرى لا حزب فاشييستى إيطالى ؟) ــ ترى أفلو كان مصريا أكان يمكن أن يكون أعدامه سببا لقطع العلاقات بين مصر وإيطاليا أو توترها ؟ (لم أفهم . ولكن منذ أن قال بقطع العلاقات أو توترها وكل الذى قلناه أن لا يسعى صدقى باشا ليالى وأياما ويجتاز الحدود المصرية ليقوم بهذه المظاهرة فى غير ضرورة ما جنه ! ؟) ــ ان الذين يخرجون على الأنظمة القائمة مهما كان نبل مقصدهم وشرف الغاية التى تحركهم أنما يخاطرون بحياتهم تحت مسئولياتهم وهم يقدرون هذه العاقبة ويحبسون حسابها قبل النزول إليها وخوض غمارها ، وما يعدون حتى استشهادهم تضحية ولا بطولة وأنما جزية يدفعونها للبلاد التى وهبوا حياتهم لها (وإذن فلا تحزنوا يا أمم العربية فقد كان موت عمر المختار جزية ، لا بطولة ولا تضحية ! ولا تحزنوا لأن الشهيد خرج على الأنظمة الإيطالية القائمة فى طرابلس فكان جزاؤه الشنق مهما كان نبل مقصده وشرف غايته ــ لا تعجبوا يا أمم العربية فهذه فاشيستية حزب الشعب الذى يرأس صدقى باشا تثير عواصفها عليكم وعلينا كما يثير الطليان عواصفها على الطرابلسيين ! !) ــ ان صدقى باشا كان أمهر من أن لا يرد التحية للطليان بأحسن منها لانه لا يمت بعلاقة ما للعجزه (مساكين نحن العجزه الذين تأثرنا لشنق ذلك العاجز الشهيد) ــ الذين ينساقون وراء العاطفة الكاذبة (مسكينة عواطفنا الكاذبة نحن العرب والمسلمين) لا لأن هذا أحساسهم ولكن ليحركوا بها السذج والدهماء .. ألخ ألخ ألخ !

ثم يقول لسان حال صدقى باشا بعد ذلك أن سعادة سفير أفغانستان المسلم دعا إلى الشاى وزير إيطاليا المفوض منذ يومين أى بعد مصرع عمر المختار!

ان قلم توفيق دياب كان بمثابة النصل الحاد دافعا عن العرب و أيمانا برسالة المناضلين منهم .

«لا أمل إذن فى مجلس الأمن حتى يأتى عدل ولا فى هيئة الأمم حتى إذا تمخضت عن كلمة حق يلفظها اللسان فإنهم يقولون إن عدلوا ولا يتبعون الثواب بالعمل».

توفيق دياب

محاضرة اذاعية فى ٤/٨/١٩٤٨!

الفصل الثانى
الجهاد ومشكلة فلسطين
إهتمام مبكر
للجهاد بالمشكلة الفلسطينية

تتحدد أهداف الصهيونية بإنشاء وطن قومي لليهود وقد حددت فلسطين على أنها هذا الوطن اعتباراً من مؤتمر (بال) الأول سنة ١٨٩٧ ففي خطاب الافتتاح قال تيودور هرزل :

«إننا هنا لنضع حجر الأساس في بناء البيت الذى سوف يأوى الأمة اليهودية» . ثم اقترح برنامجاً من ثلاث نقاط :

أولاً : تشجيع القيام بحركة هجرة منظمة واسعة النطاق إلى فلسطين .

ثانياً : الحصول على اعتراف دولى بشرعية هذا التوطن فى فلسطين .

ثالثاً : إنشاء منظمة دائمة لضم صنوف يهود العالم أجمع وراء القضية الصهيونية .

وقد نجحت الصهيونية فى إقامة كيان أجنبى فى قلب الوطن العربى فى فلسطين بعد أن طردت غالبية سكانها العرب منها كما نجحت فى أن تضفى من الناحية القانونية على هذا الفعل طابع المشروعية بحصولها على اعتراف غالبية الدول به واقراره من الأمم المتحدة .

ويحسب لجريدة «الجهاد» اهتمامها المبكر بمشكلة فلسطين وما يدور فيها من كفاح ضد النفوذ الصهيونى المتغلغل والنفوذ الانجليزى القائم فى ذلك الوقت .

وقد أخذ الأهتمام يتزايد بشكل ملحوظ مع تطور الأحداث فيها عام ١٩٣٦ ومن ذلك ما نشرته خلال شهر مايو من ذلك العام فقد نشرت بالمانشيت فى ١٦ مايو سنة ١٩٣٦ (تفاقم الحالة فى فلسطين. تشيلان

وعشرون جريحاً منهم ثلاثة فى حالة خطرة). ثم تناولت تطور الحالة تحت العناوين التالية (الشقيقة فلسطين فى مأساتها) (فلسطين الحائرة الدامية بين العرب واليهود والانجليز. كلمة هادئة وسط العاصفة) (الشقيقة فلسطين فى مأساتها) (أنقذوا الشقيقة فلسطين من المجاعة الجائحة) (امتداد ثورة فلسطين إلى عمان وشرقى الأردن. المظاهرات فى أنحاء البلاد ــ تعطيل جريدة فلسطين) (تفاقم الاضطرابات فى فلسطين البحارة العرب يهاجمون باخرة يهودية ــ مصادمات دموية فى نابلس وغيرها من المدن. مهاجمة الدبابات وتعطيلها وقتل جنودها)، (خطر الصهيونية على فلسطين) (الحالة الرهيبة فى فلسطين الاضطرابات تتحول إلى ثورة مسلحة ــ العصابات تهاجم الجيش لإنقاذ المعتقلين ــ الدماء تسيل فى جميع أنحاء فلسطين) وعلى يسار هذا التحقيق نشرت (حوادث الشقيقة فلسطين مصورة).

فقد كتبت الجهاد فى ٢٢ مايو سنة ١٩٣٦ فى صدر صفحتها الأولى تطلب من الحكومة الانجليزية إنصاف الشعب الفلسطينى تحت عنوان:

(امتداد ثورة فلسطين إلى عمان وشرق الأردن ــ المظاهرات فى أنحاء البلاد ــ تعطيل جريدة فلسطين).

فى هذا الوقت العصيب وفى هذه الأونة التى تتطلب من الانجليز أعمق التفكير وأدق التبصر لإنصاف شعب صمم على أخذ حقه بالطرق التى توصله إليه ترى من السلطة الانكليزية المستعمرة إصراراً على سياستها الجائرة وتجاهلاً لمطالب شعب ناصرها فى الحرب العالمية ونصرها لا لشىء إلا لتحقيق استقلاله والفوز بحريته ولكنها تضايقه

الآن فلا تلقى منه إلا ثباتاً على حقه ومضيا فى حركته حتى يتم له ما يريد .

ثم تكشف الجهاد ألاعيب اليهود لتهديد البحاره العرب فى ميناء يافا تحت عنوان :

(مناورات لتهديد البحارة العرب) .

لم يترك اليهود وسيلة إلا تذرعوا بها للقضاء على حركة الأحزاب فقد زجوا مراراً عدة إلى الحكومة وألحقوا عليها وجوب اتخاذ تدابير صارمه لوقف هذه الحركة وإذا كان للأحزاب روعته ومفعوله العظيم فى اليهود وعلى الأخص فى الأوساط التجارية فقد كان لا يصاد مرفأ يافا أمام البواخر التى تقل بضائع لليهود أكبر الأثر فيهم لذا كان لزاماً عليهم أن يفكروا فى القضاء على حركة أحزاب البحاره العرب فى يافا من وجدوا إلا وسيلة خيل إليهم أنها قد تكون فاجعة وهى تهديد البحاره ورسو البواخر فى تل أبيب ولكنهم خابوا فى تخيلاتهم وكان أن اهتمت البلاد كلها بهذا الأمر واحتياج الرأى العام فى البلاد وعقدت الاجتماعات الكبيرة كما اهتمت به اللجنة العليا وقد علمت أن سماحة رئيس اللجنة العليا قد أوضح للمندوب السامى خطورة الموقف .

ولقد تابعت «الجهاد» تفاقم الحالة فى فلسطين «وكتبت تحت هذا العنوان فى ١٦ مايو سنة ١٩٣٦ تقول :

(قتيلان وعشرون جريحاً منهم ثلاثة فى حالة خطرة ــ الجنود بمدافعهم الرشاشة يقاومون المتظاهرون ــ اليوم الحادى والثلاثون للأحزاب ــ الأحكام الدينية فى يافا والقدس ــ المتظاهرون يحدثون حريقاً كبيراً فى يافا) .

(يافا فى ١٥ مايو ــ لمراسل الجهاد) ــ على أثر البيان الوطنى الذى أذاعته اليوم اللجنة العليا ودعت عرب فلسطين إلى الامتناع عن دفع الضرائب الحكومية تنفيذاً لقرارات مؤتمر اللجنة القومية اتخذت الحكومة أشد الاحتياطيات وأرسلت الجنود فى كل مكان مزودين بالمدافع الرشاشة والمصفحات الحربية وكانت الاحيتاطيات أشدها فى مدن حيفا ويافا والقدس فأصبحنا وفلسطين شبه شىء بميدان قتال.

(الاصطدام مع البوليس) ــ قتيلان وعشرون جريحاً ولم يكد المصلون يخرجون من مسجد يافا الكبير عقب أداء فريضة الجمعة حتى ألفوا مظاهرة كبرى اشترك فيها آلاف من الجماهير على اختلاف طبقاتهم وأخذوا يهتفون هتافات وطنية قوية ويرددون هتافات عدائية بسقوط الانتداب واتجه قسم كبير منهم إلى شارع جلال باشا ولقد اعترضتهم قوة كبيرة من الجند المسلح فرقتهم بالقوة ووقع اصطدام عنيف بين المتظاهرين وقع أثره قتيلان وعشرون جريحاً ثلاثة منهم فى حالة خطرة وقد علمت أن بين القتيلين مصرى لم أستطع أن أعرف اسمه.

(العصيان المدنى والامتناع عن دفع الضرائب فى طولكرم ــ إلقاء القنابل على الجيش البريطانى والبوليس ــ الهجوم على القطارات ــ قطع أسلاك ــ التليفون وقضبان السكه الحديديه).

(فى عكا ونابلس وحيفا ووادى حنين ــ جرح قائد البوليس ــ اشعال النيران فى ميناء حيفا ــ احراق سيارة بركابها فى وادى حنين ــ نسف الكبارى فى الطريق بين يافا وطولكرم.

(بدء العصيان المدنى).

(وقف المفاوضات بين العرب والمندوب السامى).

لم يستطع زعماء الأحزاب العربية أن يتفاهموا مع المندوب السامى فقد وقفت المباحثات وأعلن العرب الامتناع عن دفع الضرائب والعصيان المدنى وينتظر وقوع اضطرابات.

ثم تواصل «الجهاد» تتبع الاضطرابات فى فلسطين فى صدر الصفحة الخامسة فى ٢٤ مايو ١٩٣٦ تحت العناوين الآتية:

(تفاقم الاضطرابات فى فلسطين ـ مصادمات بين الأهالى والجند ـ قتل بوليس عربى ـ الأمير عبدالله يقدم مذكرة جديدة إلى المندوب السامى).

(وقعت اليوم مصادمات بين الأهالى والجنود فى القدس ويافا وحيفا ونابلس وبئر سبع وغزه وأصيب كثيرون بالجراح).

(العرب يقابلون البوليس الانجليزى بالرصاص) وألقيت قنبله فى (بيارة) برتقال لليهود بالقرب من زونا وعندما ذهب البوليس الانجليزى إلى مكان الحادث قوبل بإطلاق الرصاص من مجهولين كانوا مختبئين بين الأشجار.

(قتل بوليس عربى).

وقتل أحد رجال البوليس العربى بالقرب من مستعمرة تل مرد اليهودية ويغلب على الظن أن الذى أطلق عليه الرصاص يهودى.

(نفى ثلاثة من شبان العرب).

اعتقل البوليس ثلاثة من شبان العرب هم فخرى بك النشاشيبى وأكرم أفندى الخالدى ويوسف أفندى حموده فنفى الاثنان الأولان إلى القدس والثالث إلى خان يونس وصدرت إليهم الأوامر من البوليس بأن لا يغادروا منفاهم وإلا اعتقلوا ثانية وأودعوا السجن.

(تعديل قرار منع التجول ــ يخالفون قانون منع التجول فيقتلون ــ استخدام الكلاب البوليسية فى البحث ــ يهودى على رؤساء بلدية القدس).

(مرض الدكتور الخالدى رئيس بلدية القدس فجأة فحل محله الادون أوستر ــ نائب رئيس البلدية وهو يهودى).

وقد لعبت الصورة دوراً كبيراً فى ابراز الاضطرابات فى فلسطين وتعنت السلطات العسكرية ضد الفلسطينيين فقد خرجت الجهاد فى ٢٧ مايو سنة ١٩٣٦ وعلــى صدر صفحاتها الأولى (صورة فريدة عن حوادث الاضطرابات فى فلسطين) وكتبت تحت الصور (منظر إحدى المظاهرات فى يافا) ــ العمال الذين عقدوا ــ اجتماعا بمسجد المنشية بيافا فأغلقت السلطة العسكرية عليهم الباب والصورة تمثلهم داخل المسجد ــ الجنود البريطانيون وقد ربطو فى ميدان المنشية لمنع الماره ــ الحواجز والبراميل الممتلئة بالرمل وقد وضعت فى عرض الطريق بين يافا وتل أبيب لحجز السيارات وتفتيشها).

وقد وصفت «الجهاد» الحالة الرهيبة التى وصلت إليها فلسطين تحت هذه العناوين:

(الحالة الرهيبة فى فلسطين ــ الاضطرابات تتحول إلى ثورة مسلحة ــ العصابات تهاجم الجيش لإنقاذ المعتقلين ــ الدمار يشمل جميع أنحاء فلسطين).

ثم استكملت الجريدة فى اليوم التالى نشر التفاصيل تحت هذه العناوين التى تدل من فحواها عن الحالة الرهيبة حقيقة فى فلسطين فى تلك الفترة.

(الحالة الرهيبة فى فلسطين — امتداد الثورة وانتشار العصابات فى كل مكان — هجوم الثائرين على معسكرات الجند — وقوع مصادمات عنيفة أمس — مهاجمة الحدائق اليهودية واحتراق النار فيها — القتلى والجرحى من القوات والعصابات).

ولم تكتفى الجهاد بنشر الأخبار والتحقيقات عن مشكلة فلسطين بل نشرت العديد من المقالات على صفحاتها والتى تبين فداحة الجرم الذى ارتكب فى حق الشقيقة فلسطين وجاءت هذه المقالات قوية متتابعة فى الفترة من ٢٨ مايو حتى ٣٠ منه.

(فلسطين فى محنتها أشد القضايا الشرقية تعقيداً — فلسطين ثائرة فماذا يكون المصير — فلسطين فى محنتها).

وعلى سبيل المثال يقول الأستاذ نِسيم صيبعه فى مقالته «فلسطين فى محنتها» والتى نشرت بتاريخ ٢٩ مايو ١٩٣٦.

(فى ظل الانتداب البريطانى تسير فلسطين فى محنتها كما سار منذ ألفى سنة رسول السلام الناصرى حاملاً صليبه طالباً من ربه يعبر عنه هذه الكأس وقد تشبهت جمعية الأمم ببيلاطس العظمى فنفضت يديها من دم هذا الصديق!).

ثم يندد الكاتب بصك الانتداب الذى فرضه اليهود فرضاً فى فلسطين فيقول:

«لنفرض جدلاً أن العربى الفلسطينى قاصر كما أراده صك الانتداب تماماً فهل يظن العدو أن هذا القاصر لايدرك بداهة أن إصدار أربعة آلاف وخمسمائة عائلة يهودية تحشر فى فلسطين الضيقة

حشراً فى مثل هذه الظروف الحرجة ليس فيه شىء من الكياسه السياسية أو العاطفة الإنسانية ! » .

وتطلق « الجهاد » صيحتها فى ٢٨ مايو سنة ١٩٣٦ فتقول : (أيها المصريون الكرام ــ المسجد الأقصى فى خطر فهبوا لإنقاذه) . بعد مرور ثمانية عشر عاماً على وجود الانجليز فى فلسطين دون أن يحتفظ للعرب شيئاً مما يصيببون إليه بل بالعكس حرموهم من التمتع بحقوقهم وحرياتهم ومضوا فى تقتيلهم واجلائهم عن وطنهم ــ أيها المصريون .. ماذا تنتظرون ــ المسجد الأقصى فى خطر فهبوا لإنقاذه . .

ولقد شاركت الجهاد فى الدعوة إلى إنقاذ فلسطين بإقامة الندوات وإلقاء الخطب فلقد عقد فى مكتب الجهاد بالاسكندرية بتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٩٣٦ ندوة عن فلسطين بعنوان (فلسطين الشهيدة الثائرة) .

وقد كتب مدير مكتب الجهاد بالاسكندرية مقاله فى اليوم التالى للندوه يقول فيها : « أن فلسطين توشك أن تموت من القهر والجوع « تلك عبارة الاستاذ الكبير صاحب الجهاد وقد ختم بها كلمته البليغة » انقذوا فلسطين ــ فيها من الشعور مايكاد القارىء يلمسه بيديه وعينيه ومن الحكمة ماينطق باصغريه وأكبريه وإذا كانت العاصمة الأولى فى كلمة الأستاذ تستثير العواطف من مكانها فإن العاصمة الثانية جديرة بأن تشترك فى ذلك بأن تشعرك فى ذلك الشعور وتلك العاطفة » .

ثم كتب محمد توفيق دياب يستنكر سفر عمال مصريين لمرافقة الجيش البريطانى إلى فلسطين بتاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٣٦ تحت عنوان : (عمل منكر لا يجوز ــ خدمة مصريون يرافقون الجيش البريطانى إلى الشقيقة فلسطين) حيث كتب يقول : ذلك الأمر الذى حدث فى

غيبة صاحب الدولة وزير الداخلية ورئيس الوزارة مصطفى النحاس باشا هو أن مائتين أو أكثر من الخدمة المصريين رافقوا القوة البريطانية التى سافرت فى الأيام الأخيرة من مصر إلى فلسطين كطهاة أو سعاة أو ما يشبه ذلك من الخدمات التى يقولون أنها شخصية.

ولم أسمع هذا النبأ العجيب إلا أمس. فقد تفضل وفد من شباب فلسطين وأخواتها من الأمم العربية بزيارة الجهاد مهنئين ومعربين عن شكواهم المرة فى وقت معاً.

قالوا ولم أكن لأصدق ما قالوا لولا أنهم من أفاضل الشباب العربى المهذب ـ قالوا أن فوجين من العمال المصريين سافروا إلى فلسطين ليعاونوا الجيش البريطانى ويسهلوا له إذلال إخواننا المجاهدين. وقالوا إن عدد أولئك العمال المصريين المسخرين لشهوة الكسب الدنىء قد بلغ ستمائة. وأشار الزائرون إلى أن صحفاً مصرية أذاعت النبأ المنكود فلم تكذبه السلطات المحلية المتصلة بسفر المصريين الى خارج الديار.

ثم يستنكر دياب سفر العمال المصريين واصفاً إياهم بالنذالة والسقوط لقداسة الرابطة العربية:

ونحن نستنكر مرافقة مصريين للجيش البريطانى إلى فلسطين مهما يكن العدد الذى يبلغونه والطبقة التى ينتمون إليها أو نوع الخدمة التى يؤدونها للجيش البريطانى جماعة أو للضباط البريطانيين أفراداً وسواء اتسموا باسم العمال أو بإسم (خدمة خصوصيين).

نستنكر هذا العمل بكل قوة ونصف المقدمين عليه من الخدم أو من العمال بالنذالة والسقوط ونحمد الله أن تكون الكثرة العظمى من أهل طبقتهم بين المصريين أكرم على أنفسهم وأصون لمرؤتهم وافهم لقداسة

الرابطة العربية من هذا النفر الأحمق المرذول أو المضلل المأفون.

ثم يندد دياب بموقف الحكومة البريطانية التى أقدمت على مثل هذا الجرم فى أعقاب معاهدة ١٩٣٦ :

ونقول هذا القول مجاهرين به مؤكدين إياه ولم يكد يجف المداد الذى وقعت به معاهدة الصداقة والحلف بين مصر وبريطانيا العظمى.

ونقول هذا القول ونحن من أشد المصريين إخلاصاً للمعاهدة وإيماناً بنفعها للبلدين على السواء.

ونقول هذا القول ناصحين به لا للناحية المصرية وحدها ولكن الناحية البريطانية أيضاً.

ذلك أن الحكومة البريطانية فى لندن والجيش البريطانى فى مصر وكل هيئة بريطانية يهمها نجاح المعاهدة على أفضل الوجوه واسلمها ـ يجب أن يفطنوا إلى عزة الروابط العربية فى كل نفس عربية وفى كل قطر عربى، فلا يحاولوا أن يحرصوا المصريين بعمل يثير سخط أبناء فلسطين فى جحيمها الحاضر على أبناء النيل.

والحقيقة أن توفيق دياب له علاقة طيبة بالفلسطينيين وقد زار فلسطين فى يونيو ١٩٣٤ وقد استقبله عند زيارته لبلدة بيسان ٦٠٠ فارس عند مدخل البلدة وقد نشرت مجلة اللطائف المصورة فى عددها الصادر فى ٢٣ يوليو ١٩٣٤ صور لهذا الاستقبال الحافل فقد أوقف أهالى فلسطين القطار الذى كان يستقله توفيق دياب وحملوه على الأعناق.

وكانت الجهاد قد نشرت قبل ذلك مجموعة كبيرة من التحقيقات

الصحفية المزودة بالصور منذ أول يولية وحتى ٩ يوليو ١٩٣٤ «عن زيارة محمد توفيق دياب إلى فلسطين».

فقد أضافت هذه التحقيقات في وصف هذه الزيارة والاستقبالات والاحتفالات التى أقيمت فى المدن الفلسطينية المختلفة التى زارها صاحب «الجهاد»، تكريماً له واحتفالاً به. ولقد نجحت الصور الكثيرة التى نشرت مصاحبة لهذه التحقيقات فى تسجيل تفاصيل تلك الزيارة تسجيلاً حياً. بحيث استطاعت أن تكمل الوصف المقروء، لكى تجعل القارىء يتعايش معايشة كاملة بذهنه وببصره مع هذه الزيارة. من ذلك أنها نشرت فى عدد أول يوليو سنة ١٩٣٤، صورتين كبيرتين ومتساويتين فى الحجم. على أسفل جانبى الصفحة الأولى تمثله الأولى وهو «يحيط به فريق من قادة الرأى بالقطر الشقيق فلسطين وفرقة كشافة النادى الرياضى الإسلامى بيافا» وتمثله الثانية وهو «على مائدة الفطور بقصر آل الغصين صبيحة يوم وصوله إلى فلسطين. وحوله عدد من الشخصيات الكبرى ومنها الأستاذ سامى السراج والاستاذ حبيب جاماتى» وفى عدد آخر خصصت الصفحة الأخيرة المصورة لنشر ١٢ صورة عن رحلته تلك تحت مانشيت (فى ضيافة العشائر العربية بفلسطين ـــ صور تذكارية لزيارة صاحب الجهاد لبيسان فى ٢٨ يونية سنة ١٩٣٤.

مثال آخر مانشرته فى ٢٠ مارس سنة ١٩٣٦، عن زيارة بعض زعماء الأقطار العربية لدار الجهاد. فقد نشرت فى صدر الصفحة الأولى أربع صور على عرض ثلاثة أعمدة وطولهم تحت عنوان (صور مأدبة الجهاد لزعماء الأقطار العربية). وتضم الصورة الأولى «سماحة أمين أفندى الحسينى ورئيس المجلس الإسلامى الأعلى بفلسطين وعن يساره

سعادة حافظ عفيفى باشا فعبد القادر بك الكيلانى القائم بأعمال المفوضية العراقية فالزعيم السورى الدكتور عبد الرحمن شهبندر وسعادة حمد الباسل بك ومدحت يكن باشا » وصورة ـ (الاستاذ الشريقى مفتش المعارف بشرق الأردن يخطب .. « وصورة » .. وحضرات المدعوين يسمعون « صورة رابعة لجانب من الحفل » .

ولم تتوقف المواكبة لمشكلة فلسطين بتوقف « الجهاد » بل تابع توفيق دياب المشكلة من خلال أحاديثه الاذاعية فى عام ١٩٤٨ وتحت عنوان « الدول الكبار والصغار » فى ١٩٤٨/٧/١٤ بث من خلال ميكرفون الإذاعة المصرية مساعدات الرئيس الأمريكى ترومان لإسرائيل مقابل شراء أصوات اليهود فى الانتخابات مما أضاع كرامة الولايات المتحدة فيقول :

« ثبت اليوم فى مجلس الأمن أن أصوات الناخبين اليهود قد أضاعت كرامة الولايات المتحدة » .

وثبت اليوم فى مجلس الأمن أن الدولار الفعال فى مشروع مارشال قد أضاع استقلال دورة كبيرة زعمت أنها صديقة ـ أو على الأقل ـ أنها حليفة للعرب .

وثبت اليوم فى مجلس الأمن أن الكونت برنادوت لم يكن ولن يكون وسيطاً محايداً بين العرب واليهود فى فلسطين .

أما أن أصوات الناخبين اليهود قد أضاعت كرامة الولايات المتحدة فذلك أمر قام عليه الدليل تلو الدليل منذ وفاة الرئيس روزفلت ومنذ ورث كرسيه خليفته ترومان فدفعه تهالكه على بقائه فى منصبه مدة أخرى إلى شراء أصوات اليهود بصورة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ بثمن

فظيع هو محاربة الحق جهرة بكل سلاح ومناصرة البغى جهرة بكل سلاح وإسخاط العرب أجمعين والمسلمين أجمعين وكل إنسان يرعى حرمات الإنسانية ومبادىء الأخلاق فى شرق أو غرب.

ثم يكشف من خلال «محاضرة» إذاعية «فى ١٩٤٨/٨/٤» بعنوان:

«حماة الصهيونية سيندمون» ما حدث فى مدينة «حيفا» من الاستيلاء على معامل تكرير البترول.

لعلكم قرأتم أو سمعتم أن العصابات الصهيونية قد استولت فى مدينة حيفا على أربعين ألفاً من أطنان البترول وعلى معامل التكرير. وهذا البترول قد خلفته وراءها دولة الانتداب ريثما يجاب مطلبها الذى تقدمت به إلى وسيط مجلس الأمن وهو أن يجعل مدينة حيفا مدينة مفتوحة لأن للعالم فيها مصلحة هى مصب البترول الآتى من العراق.

لكن الدولة المزعومة ما كاد يحلو لها الجو فى حيفا حتى انقضت على ذلك البترول فاستولت عليه وعلى معامل التكرير ففتحتها عنوة.

وهكذا استحوزت بين يوم وليلة على أربعين ألف طن من الوقود السائل تموِّن به مصانعها وتزيد من قدرتها على العدوان.

حدث هذا بعد أن اتخذ مجلس الأمن قراره الأخير بوقف القتال ومن شروطه أن لا يأتى أحد الطرفين عملاً فى فلسطين من شأنه أن يزيد قدرته الحربية مادامت الهدنة قائمة أو ما دام القتال موقوفاً.

ثم ينتقد محمد توفيق دياب ما يحدث فى جلسات مجلس الأمن من مناقشات ومنازعات لا جدوى منها فى حل المشكلة الفلسطينية من خلال مقالته «هيئة الأمم هل فيها غناء؟» فيقول:

هذه دورة أخرى تنقضى من عمر هيئة الأمم المتحدة دون أن يستطيع مجلس الأمن أو اللجنة السياسية فى تلك المنظمة العالمية ــ الاهتداء إلى حل رشيد لقضية فلسطين، أو تنفيذ قرار واحد أصدره مجلس الأمن للعرب واليهود على السواء ناخزمه العرب، وازدراه اليهود.

عام آخر ينقضى تكثر فيه بجلسات بخاصة بهذه القضية البديهية البينة ويشتد فيه العراك أكثر ما يستند، بين الأهواء المتضاربة والغايات المتنافرة والحق يرتفع صوته على ألسنة الوفود من العرب وألسنة القلة من أنصار الحق بين الدول ولكنه صوت محجوب عن أسماع أصمها ضجيج الشهواء.. ؟

ثم يخلص محمد توفيق دياب حل المشكلة الفلسطينية من هيئة الأمم المتحدة فى عبارة واحدة وحدة العرب فيقول :

«لا أمل إذن فى مجلس الأمن حتى يأتى عدل، ولا فى هيئة الأمم حتى إذا تمخضت عن كلمة حق يلفظها اللسان فإنهم يقولون إن عدلوا، ولا يبتعون الثواب بالعمل.

وذلك أما لعجز غير مقصود ــ أو التفاخر القادر لغرض معلوم أو غير معلوم.

سيداتى وسادتى: لا نجاة للعرب إلا برجولة العرب؟ وحدة العرب ذلك ما نرجو وذلك ما نرتقب».

ولقد تابع توفيق دياب تطور المشكلة الفلسطينية بعد ذلك على صفحات جريدة «الأخبار» فى مقالته (والأمة العربية تغلى حفيظتها) فى ١٧ ديسمبر ١٩٥٥ والتى يصف فيها إسرائيل بأنها طراز وضيع من العصابات الغادرة حيث يقول :

«ما كادت الأمة المصرية الأصيلة تسمع أو تقرأ هذا الإنذار الموجه إلى أرباب إسرائيل وصانيعيها من الدول الكبرى ـــ حتى اشتعلت فى نفوس أبناء مصر من كل طائفة ومن كل غنى وفقير وكل طالب وصانع وكل تاجر وزارع .. نار مؤججة من الحمية والحفيظة والغيرة: هل هانت علينا ديارنا وأهلونا وأعراضنا المصونة ودماؤنا المحفوظة فأصبحنا فرائس تأكلها الذئاب والكلاب وأصبحنا مستضعفين يجرؤ على انتهاء حرماتنا واهدار دمائنا .. طراز وضيع من العصابات الغادرة سماها الرئيس السابق ترومان «اسرائيل» قبل أن يلدها واعترف بها دولة بعد ولادتها بساعة واحدة.

ثم يصف اسرائيل وميلادها بأنه الميلاد التعس والمستر ترومان هذا ـــ الذى جعل من نفسه قابلة تلقت خروج هذا المولود التاعس من رحم الشيطان. مستر ترومان هذا تسعفه أعصابه المضطربة أو جرأته المخزية على أن يكون دون غيره هو الذى يتنبأ ـــ منذ شهرين تقريباً: بأن التوتر القائم فى الشرق الأوسط بين مصر واسرائيل قد يتسبب عنه اشعال الحرب العالمية الثالثة.

ثم يتوقع توفيق دياب بالعواقب بالوخيمة التى سيترتب عليها استمرار وجود اسرائيل فى فلسطين الممثلة المحتلة بأنها يمكن أن تتسبب فى حرب عالمية ثالثة فيقول:

«يا سبحان خالق العجائب من الناس والأحداث ..

مستر ترومان يتلهف على ميلاد ولده هذا كتلهف العقيم رزق غلاماً بعد اليأس والقنوط ..

وبعد سبع سنين أو ثمان من عمر هذا الطفل الذى غداه أبوه من

مال السحت والحرام وبعد أن نشأه أسوأ تنشئة ورباه أحط تربية. يجيء الولد البار بعد ذلك فيبشر الدنيا وما أنكدها من بشرى ــ بأن مسلك هذا «الابليس» الصغير قد يسبب حرباً عالمية ذرية لا تبقى ولا تذر..

ثم يشير توفيق دياب فى مقالته إلى «السلام» كصمام أمن ضد نشوب حرب عالمية ثالثة فى الشرق الأوسط:

«والآن ها نحن أولاد نذكر نبوءة مستر ترومان..»

ان بن «ترومان أو ابن» ترومان المسمى اسرائيل لا يكاد يهجع يوماً دون أن يتعدى بالموانع والدبابات ومئات الجنود أو ألوفها على موقع ما على حدود مصر أو حدود سوريا أو حدود الأردن. ومصر على رغم هذا العدوان «المدبر المتكرر» تحاول جهدها أن لا تثيرها حرب محدودة أو حرباً شاملة.

١ ــ لأن مصر الثورة تريد السلام لمصر والعالم كله.

٢ ــ ولأن مصر الثورة توافق الرئيس ترومان ــ فيما أظن ــ على أحتمال نشوب الحرب العالمية الثالثة بسبب أى حرب فى الشرق الأوسط بين العرب وهذه الشقية المتجنية اسرائيل.

ولم يتوقف قلم الكاتب الكبير محمد توفيق دياب عن مهاجمة الصهيونية واسرائيل فلقد واصل هجومه من خلال جريدة الجمهورية بتاريخ ٦ فبراير ١٩٥٦.

رداً على البيان الثلاثى الذى صدر فى واشنطن عام ١٩٥٦ تحت عنوان: «ايزنهاور وإيدن أخطاهما التوفيق بقلم محمد توفيق دياب».

وقد وجه توفيق دياب إلى ايزنهاور وإيدن التهم المنسوب إليهما:

«بأى حق يأتمران خارج الأمم المتحدة» ..! «وما معنى اعتمادهما على القانون الدولى!». و«كيف تقوم علاقات ودية بين قتلة وقتلى»!.. و«ولولا صفقة الأسلحة لما استمر سلام!».

ثم يواصل توفيق دياب هجومه على الصهيونية من خلال مقالته بجريدة الجمهورية بتاريخ ٢ مارس ١٩٥٦ تحت عنوان:

«جريدة نيويورك تميز الصهيونية تحرض الاستعمار على الكتلة العربية»!! والتى كتب يقول فيها:

«هل هناك سم أنقع من هذا السم الذى دسته فى هذا المقال للعرب كاهنة الصهيونية العالمية.. جريدة التايمز هل هناك أخبث أو افتك من حمة هذا العقرب... لولا أن القوة العربية العقيدة لا يؤثر فيها سم العقارب..! ولولا أن الدول الغربية.. وبخاصة أمريكا وبريطانيا وفرنسا احتجت.. أو لعلها قد احتجت أكثر تحرزاً وحذراً من مخاطر الاندفاع فى مغامرات صهيونية جديدة... أو فى خدمات استعمارية وخيمة العواقب فى الشرق والغرب على السواء..

وأكبر الظن أن يكون كاتب مقال النيويورك أو نافث سمومة فيه على الأقل هو أبا إيبان سفير إسرائيلهم فى واشنطن وكبير ممثليها فى الأمم المتحدة.

وذلك لما هو معهود فيه من الثعبانية الصهيونية والكفاية الممتازة المتفانية فى تمجيد اسرائيل».

وهكذا يلعب توفيق دياب دوراً خطيراً فى توعية الرأى العام وإيقاظ الضمير الوطنى فى مواجهة ألاعيب الصهيونية. أن دور

«الجهاد» وتوفيق دياب لاينكر فى الاهتمام المبكر بمشكلة فلسطين المثلة ومناصرة تفشيها العادلة أمام العالم.

الباب السابع
أسلوب توفيق دياب السياسى

ما هى أول مقالة كتبها الكاتب الكبير توفيق دياب فى حياته ؟!

لقد أجاب توفيق دياب بنفسه على هذا السؤال من خلال مقالته فى مجلة الأثنين بتاريخ ٧ أغسطس ١٩٥٠ والتى تحمل عنوان «أول ما كتبت» وفيها يقول :

«كان أول ما كتبت للصحف مقالاً نشرته لى جريدة «العلم» فى عهد المغفور له الشيخ المجاهد عبدالعزيز جاويش كان عنوانه : «لماذا تحجبون المرأة» وكان حملة عنيفة على المستمسكين بالحجاب بعد أن استفاضت دعوة المرحوم قاسم بك أمين إلى السفور بسنين» .

وذات يوم دخل فى لندن صديق حميم من طلاب الطب المصريين هو الدكتور الدرديرى رحمة الله وبيده نسخة من مجلة «ليز أيست» ذات المكانة الملحوظة فى بريطانيا فناولنى إياها فى تهلل وبشر... لقد قرأ فيها ترجمة كاملة للمقال جعلوا عنوانها «من دلائل النصر» :

ونوهوا فيها بالمقال وكاتبة ! .

شجعنى ذلك على أن أبعث بمقالات أسبوعية إلى «الجريدة» وعلى رأسها استاذنا الجليل لطفى السيد «بك» .

كانت سلسلة من خمس عشرة حلقة عنوانها «المدينتان» وازنت فيها بين بعض عاداتنا وبعض عادات الغرب. وتفضل استاذنا الجليل أو قلم التحرير بنشرها افتتاحيات فى صدر الجريدة كل أيام السبت طيلة الأسابيع الخمسة عشر. كان ذلك وأنا طالب بجامعة لندن ألحق بتوقيعى هذه الصفة المتواضعة فياله كان من تشجيع لكاتب مبتدىء مازال فى عهد الطلب..

كان سخاء كريماً من أساتذة جيلنا نحن شيوخ اليوم!. وسيزداد القارىء يقينا بهذه الفضيلة فى أساتذة جيلنا حين يقرأ القصة التالية:

لما عدت إلى الوطن قبيل الحرب العالمية الأولى بأيام مررت برجلات صحافتنا لاتعرف إليهم واحظى بمعرفتهم.

فلما استقبلنى الاستاذ الكبير الشيخ المحترم خليل ثابت بك بلطفة المعهود وشرعت أقدم له شخص بادرنى بقوله:

لا حاجة بك إلى ذلك فأنا أعرفك وإن لم تكن تعرفنى!

فأدهشنى قوله لكنه أضاف موضحاً:

«ألا تذكر مقالك الذى كتبته فى موضوع الحجاب منذ سنوات؟!».

«أنا الذى ترجمته إلى الانجليزية وبعثت بها إلى مجلة النيرايست».

أليس إذن من واجبى أن أعترف بأمثال هذا الفضل لاساتذة الصحافة الأولين!.

رحم الله الراحلين منهم وأطال حياة الباقين!

ولقد تميز أسلوب محمد توفيق دياب السياسى بالقوة والسهولة والسلاسة والفصاحة والكياسة سواء فى مقالاته أو مانشتيات جريدة

الجهاد.. وكان أسلوبه أدبى بليغ فى أغلب ما كتب من مقالات سياسية وقد ساهم هذا الأسلوب السياسى البليغ فى الدفاع عن القضايا الوطنية وكذلك الصراعات الحزبية والمعارك الشخصية.

وعلى سبيل المثال فى القضايا ما كتبه فى ٢٧ مايو ١٩٣٧ فى العدد (٢٠٤١) تحت عناوين:

«مصر أمست عضواً فى عصبة الأمم بإجماع الأصوات ـ ممثلو ٤٩ أمة يستقبلون مصر بالترحاب العميق والتصفيق الطويل ـ أمس توج استقلال مصر التام فى عصبة الأمم ـ وفى الغد يتوج ملكها فى البرلمان ـ بمناسبة عيد مصر بعصبة الأمم أمس ـ تحيات حارة للرئيس الجليل وللوفد الرسمي وللوفد المصرى ولذكرى سعد ـ ولأم المصريين ومثل مصر ساهم فى تحرير الوطن بقلم المخلص للحق أبدا محمد توفيق دياب.

ولقد كتب يومها الاستاذ توفيق دياب أروع ما كتب فى حياته:

أنت حر مستقل فكيف لا أكون؟! وكيف أظل عبداً أو تابعاً رغم أنف الدنيا وقد انعقد اجماعها على أننى حر وأننى مستقل! أنى أصدق إجماع الدنيا كلها وأكذب كل ريبة تخالجنى أو تفسد على شعور الحرية والاستقلال وأنت حرة يا مصر فاهنئى واهنئى يا مصر فأنت مستقلة كاملة الاستقلال بشهادة الدنيا مجمعة!.

ثم تابع توفيق دياب بأسلوبه المعروف فى اختيار العناوين دخول مصر عصبة الأمم فى عناوين الصفحة الأولى فى اليوم التالى (٢٨ مايو ١٩٣٧ العدد ٢٠٤٢):

دخول مصر فى عصبة الأمم حادث دولى جليل وتتويج عالمى مجيد

لاستقلال مصر التام يعود عليها بأعظم المنافع الأدبية والمادية.

وعند وجوب احترام الدستور المصرى واستقلال مصر خرجت الجهاد فى أول يونية ١٩٣٥ فى العدد (١٣٥٤) بالعناوين الآتية:

(الشرف السياسى البريطانى فى كفة الميزان - أو السياسة البريطانية بين الأقوال والأفعال - إجماع زعماء الأحزاب البريطانية فى مجلس النواب فى سنة ١٩٢٨ على وجوب احترام الدستور المصرى - نصوص تصريحاتهم بالانجليزية وترجمتها العربية - قرارات خطيرة للجمعية العمومية للمحامين - النص البريطانى السياسية فى كفة الميزان - ماذا قال مستر مكدونالد وسير أوستن شمبرلن فى سنة ١٩٢٨ بمجلس النواب البريطانى عن حكم مصر الذاتى والدستور المصرى المناقشات البرلمانية فى مجلس النواب البريطانى بتاريخ ١٠ مايو سنة ١٩٢٨ والترجمة العربية للنص الانجليزى).

ثم تابع بقوة عناوين هذه المسألة حتى يوم ٨ يونيو (العدد ١٣٥٣) حيث خرجت الجهاد بالعناوين الآتية:

(ألاعيب ومداورات تشين الدبلوماسية تجنى على سمعة الشعب البريطانى). وقد كتب محمد توفيق دياب ينتقد السياسة البريطانية فى عهدها الجديد فى ٣ يناير عام ١٩٣٦ فى العدد (١٥٤٧).

«لو احترم البريطانيون مشروع هندرسن - النحاس» وهو اعتراف بحقوق مصر الطبيعية فى أدنى حدودها المقبولة كما احترموا مشروع بلفور وعملوا على تنفيذه وهو عدوان صارخ على حقوق فلسطين لحلت القضية المصرية بين عشية وضحاها أو بين يوم ويوم.

ولو حسنت نية المتطرفين البريطانيين لاعترفوا بالحقائق الملموسة التى لاينكرها إلا مكابر ذلك أن السنوات الست التى مضت منذ قطع مفاوضات النحاس ـ هندرسن كانت أسوأ السنين فى تاريخ الصلات بين بريطانيا ومصر منذ عهد ثورة سنة ١٩١٩ إلى أن صدر دستور مصر منذ أسابيع.

ويرسم الكاتب الكبير توفيق دياب صورة دقيقة من خلال عناوينه للجهاد لأضخم اجتماع وطنى فى تاريخ مصر السياسى فى الثلاثينات فى ٩ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٤).

«أضخم اجتماع وطنى فى تاريخ مصر السياسى ـ المؤتمر الوطنى العام للوفد المصرى وصف متصل للجلستين الرائعتين أمس ـ النص الكامل للخطبة الخالدة التى ألقاها الرئيس الجليل فى افتتاح المؤتمر ـ قصيدة عبقرية لأمير الشعراء الاستاذ المصرى ـ الجلسة الأولى ـ وصف الاجتماع ـ خطبة خالدة للرئيس الجليل ـ خطبة جلسة الصباح ـ روعة النظام وعظمة الاجتماع لمندوب الجهاد الخاص.. ـ ملحق الجهاد الخاص بأعمال المؤتمر الوطنى العام».

ثم تابع بعد ذلك فى اليوم التالى مباشرة فى ١٠ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٥) (أعظم توفيق ونجاح يتجليان فى المؤتمر الوطنى العام ـ الخطبة التاريخية الفياضة التى أبدعها المجاهد الكبير الأستاذ مكرم ـ باقى تقارير لجان المؤتمر كاملة ـ القرارات الهامة التى اتخذها المؤتمر بالإجماع ـ الكلمة الفريدة التى اختتم بها الرئيس المؤتمر ـ (جهاد) أمس واليوم سجل كامل لأعمال المؤتمر الكلمة الختامية لدول الرئيس الجليل ـ قرارات المؤتمر ـ اليوم الثانى للمؤتمر الوطنى العام لمندوب الجهاد الخاص.

واختتم توفيق دياب فى ١١ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٦) أعمال المؤتمر كاملة فخرجت الجهاد بالعناوين الآتية : (الوفود الحاشدة فى بيت الأمة والنادى السعدى لتحية الزعيم الأمين وأم المصريين ـــ عرفات الوطنية المصرية أو المؤتمر الوفدى بقلم الاستاذ العقاد ـــ صفقات للوم باشا وشئون العمد والشياخات ـــ مقابلات بشأن المشاكل الكبرى التى تعالجها الوزارة ـــ تطور جديد فى الخلاف القائم بين إيطاليا والحبشة).

ولقد رصد توفيق دياب بأسلوب الصحفى استقالة الوزارة النسيمية وتأليف الوزارة الماهرية فى ٣١ يناير ١٩٣٦ العدد (١٥٧٥) :

(وتألق استقالة الوزارة النسيمية وتأليف الوزارة الماهرية ـــ حديث مستفيض لدولة ماهر باشا مع الجهاد ـــ تعيين المفاوضين الرسميين بمرسوم يصدر اليوم ـــ أسماء المفاوضين ـــ بدل المفاوضات يوم ١٥ فبراير ـــ خطبتان للرئيس الجليل المجاهد الكبير فى بيت الأمة مساء أمس).

وكان قد قام بتغطية صحفية للأوضاع السياسية التى سبقت هذه الاستقالة فى ٢٣ يناير ١٩٣٦ فى العدد ١٥٦٧ (قبول استقالة الوزارة النسيمية ـــ جلالة الملك يطلب إلى الرئيس الجليل تأليف وزارة ائتلافية ـــ دولته يعتذر ويقترح اشراك المعارضة فى المفاوضات ـــ ارضاء للرغبة الملكية ـــ اجتماع الوفد المصرى أمس واستئنافه مساء اليوم.

قبول استقالة الوزارة النسيمية ـــ تكليفها بتسيير الأعمال حتى تؤلف الوزارة القادمة ـــ الجبهة الوطنية فى الحضرة الملكية أدق التفاصيل لما دار فى المقابلتين يطلب إلى دولة الرئيس تأليف وزارة ائتلافية ـــ دولته يعتذر ويقترح اشراك المعارضة فى المفاوضات ارضاء للرغبة

الملكية ــ اجتماع الوفد المصرى واستئناف الاجتماع مساء اليوم.

وكذلك فى العدد (١٥٥٤) بتاريخ ١٠ يناير ١٩٣٦.

(الجمعية العمومية للمحامين اليوم ــ اعتزامهم إعادة انتخاب الاستاذ مكرم نقيباً ــ اعتداء إيطالى جديد على التعبئة المصرية ــ الحكومة المصرية تقدم احتجاجها على الاعتداء الأول غداً ــ انتصار جديد للأحباش).

وقد عالج توفيق دياب وجريدته الجهاد قضية الاعتداء على حياة مصطفى النحاس باشا وكانت الجهاد أفضل الصحف تغطية لهذا الحادث.. فقد خرجت الجهاد فى ٣ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٣١) وعناوينها الرئيسية تقول:

(ماذا يراد بقضية الاعتداء على حياة رفعة النحاس باشا ؟!

مغزى الغاء ندب النائب العام ــ ونقل رئيس محكمة مصر الابتدائية وزير كان محامياً عن أحمد حسين يفوه بتصريح خطير لا يتفق واحترام العدالة ــ الدستور يحتم اجراء الانتخابات العامة ــ يوم ٣ ابريل وعند البرلمان الجديد يوم ١٣ منه).

وتحت عنوان «لماذا؟!» كتب توفيق دياب يقول:

(ماندرى ولا يدرى أحد كيف تسبغ الوزارة لنفسها إلغاء انتداب حضرة صاحب السعادة النائب العام محمود سامى باشا وهو اتفق له الاشراف على تحقيق تلك الجناية الفظيعة التى اهتز لها العالم العربى كله ولا نقول مصر وحدها بل تلك الجناية التى وقعت حتى فى البلاد الغربية موقع الدهشة والعجب لأنها جاءت عدواناً على حياة رجل يعرف الناس جميعاً مبلغ خدماته لوطنه طيلة العمر.

وقد كتب محمد توفيق دياب فى اليوم التالى (الثلاثاء ٤ يناير ١٩٣٨ العدد ٢٢٣٢) تحت عنوان (نهاية):

«نهاية وضحية تلك التى اختتم بها حياته السياسية حضره الدكتور أحمد ماهر عضو الوفد المصرى سابقاً ورئيس مجلس النواب سابقاً كذلك إذا كان إجماع الكثرة الكبرى من أعضاء المجلس على النداء بسقوط رياسته فى جلسة أمس كافياً لإسقاطه من مكان الرياسة وإن لم يأخذ هذا الإجراء شكله القانونى بعد.. نهاية وخيمة هى المصير المحتوم لمسلك وخيم وطوية أو خم فقد كان أحمد ماهر أحمد القلائل الذى احتضنهم الوفد بمسعى النحاس على عهد سعد).

ولقد خرجت (الجهاد) فى نفس العدد وعنوانها الرئيسى:

(نهاية الدكتور ماهر ــ ثورة على حقوق مجلس النواب وثورة المجلس لحقوقه ــ مجلس الشيوخ يتمتع بحق التعليق على تأليف الوزارة ودستورية التأجيل ــ خلاف بين الوزارة هل تؤجل الانتخابات أو تجرى فى موعدها الدستورى ــ الوفد يفصل الدكتور ماهر وقد طفح الكيل ــ يوم فذ فى تاريخ حياتنا البرلمانية ــ مشاهدة خالدة فى مجلس النواب ــ كلمات خالدة فى مجلس الشيوخ بقلم محمد توفيق دياب).

ولقد دافع توفيق دياب بقلمه ــ عن الوفد فى كل مواقفه فقد كتب فى ١٦ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٤٤):

«ولو أن النحاس كان ممن يوثرون المنصب والجاه والمال على حقوق مصر ودستورها لخضع واشترى الراحة والدعة والمنصب والجاه بقبوله أحكام مصر فى حقوقها إلى لجنة طالما ذاقت مصر على أيدى الكثرة من رجالها مر العذاب وطالما حرمت على أيديهم نعمة الدستور

لكن النحاس أبى وأثر ماهو فيه اليوم من مجد الجهاد وشقائه على منصب يظلله التهاون فى الحق ــ أى يظلله العار ــ والعاقبة للصابرين » .

وقد خرجت جريدة الجهاد فى نفس اليوم بالعناوين الآتية :

(سفر الرئيس الجليل إلى بورسعيد ــ وداع رائع بالمحطة ــ استقبال حماسي فى بنها ــ على ماهر باشا يعترف اعترافاً خطيراً ــ (ماهر باشا يعترف واعترافه خطير) بقلم محمد توفيق دياب .

ثم واصل دورة فى الدفاع عن الوفد والانتخابات المزورة فى ٣٠ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٥٨) .

(طلائع لانتخاباتهـم الحرة !! ــ تلفيق الدوائر الانتخابية لمصلحة المرشحين الوزاريين ــ حيرة الوزارة وجنودها الماهريين والنقراشيين ــ التآهب لاصطياد أصوات الناخبين مشروع تخفيض الضرائب العقارية هو مشروع انتخابى لا مشروع اقتصادى .

ثم دفاعه عن الوفد واضطهاده فى ٢٠ فبراير ١٩٣٨ العدد (٢٧٧)

(اضطهاد الوفديين فى أنحاء القطر المختلفة يعيد إلى مصر لعهد البغيض ــ مظالم يرتكبها البوليس ورجال الإدارة) .

وإذا كان توفيق دياب قد جند قلمه للدفاع عن القضايا الوطنية وحزب الوفد .. فإنه أيضاً قد استطاع أن يتغلب بقلمه الحاد واللاذع على جريدة البلاغ فى المعركة الشهيرة بين الجهاد والبلاغ فى يونيو ١٩٣٥ .. فقد خرجت الجهاد فى ٢٠ يونيو سنة ١٩٣٥ العدد (١٣٦٥) وعنوانها الرئيسى : (أكرموا ولى العهد من مثل هذا الدفاع وبقلم صاحب الجهاد) .

(أهم قرارات مجلس الوزراء في جلسة أمس ــ اقتراح فى كتاب مفتوح من صاحب انجد البيل سليمان دواد إلى سعادة وزير الزراعة) .

وقد كتب محمد توفيق دياب مقالة عنيفة عنوانها :
(اكرموا ولى العهد عن هذا الدفاع المزرى) قال فيها :
« عزيز علينا نحن المصريين أن تكذب صحفاً مثل ما كتبته أمس زميلتنا البلاغ فى شأن سمو الأمير فاروق تحت عنوان :
(سمو الأمير فاروق هل يسافر أو لا يسافر) .
« على هذا النحو الصارخ من نسيان مقام سمو الأمير بل مقام القصر نفسه كتيب البلاغ ما كتبت على غير هدى ولا كياسة . والأمة التى تحترم نفسها ــ والصحف ألسنة الأمم ــ لا تنادى على ملاء إلا شهاد بأن ولى عهدها متهم أو كان متهماً ببغض دولة كذا أو أمة كيت وبان هذه التهمة إنما قامت على وشاية وبأن الوشاة هم اساتذة الأمير وخدمة وأن فلاناً الذى أسند إليه أشراب ولى العهد هذه الروح برىء من هذه الوشاية ! » .

ولقد هاجم محمد توفيق دياب جريدة البلاغ بمقالة أكثر عنفاً فى ٢١ يونيو ١٩٣٥ العدد ١٣٦٦. تحت عنوان (بدائها ترمينا جريدة البلاغ حيث كتب يقول :

« كل ما تكتبه جريدة البلاغ وأن يمكن غفلاً من الامضاء محسوب على صاحبه ليس يعفيه من تبعاته قارىء أو زميل .

ولقد تناول البلاغ أمس الأول صاحب السمو الملكى الأمير فاروق وهو يسافر إلى انجلترا أو لا يسافر بكلام رأيناه ومازلنا نراه غير لائق

بمقام الأمير ولا بحرمة القصر».

أو هكذا شاء لصاحب البلاغ ومكره وساء له ورعه وشاءت له تفواه وأن يتردى بنفسه و بجريدته إلى هذا الدرك المفوت الذى يعافه الشرفاء عامة والشرفاء من حملة الاقلام وأصحاب الصحف المطهرة خاصة.

ثم تابع هجومه فى الأيام التالية فى ٢٢ يونية سنة ١٩٣٥ العدد (١٣٦٧):

(الوفد المصرى يجتمع مساء يوم الاثنين ـ على الصفحتين التالية والخامسة اقرأ لصاحب الجهاد (نستميح القراء عفوهم الكريم ـ لمحات لابد منها من تاريخ صاحب الجهاد ـ كلمات صريحة إلى صاحب البلاغ وفى اليوم التالى مباشرة ٢٣ يوليو (رداً على مفتريات صاحب البلاغ).

استقال بتهمة التحريض على الثورة ـ أيام التحقيق الثلاثة ـ ظروفنا فى الاستقالين ـ تاريخ جريدة اليوم ـ استئناف الحياة النيابية ـ ابتداء العهد الصدقى ـ تاريخ قريب يعرفه المصريون ـ حادث شخصى لا صلة له بالمبدأ ولا صله له بالعيش).

وقد استعان محمد توفيق دياب باليمين المغلظة وكذلك استعان بأية المباهلة للدفاع عن نفسه والهجوم على صاحب البلاغ.

فقد أوضح محمد توفيق دياب لقرائه وأقسم باليمين المغلظة وكانت أول بادرة فى الصحافة المصرية وقتها حيث كتب يقول تحت عنوان (اليمين المغلظة):

أقسم أنا محمد توفيق دياب صاحب جريدة الجهاد يمين البينونة

الكبرى على صدق الأقوال التى تلى هذا القسم وهى صادرة بمين وموقعة بإمضائى كتبتها بيدى قبل إرسالها إلى المطبعة.

أما الاستعانة بأية قرانية وهى (أية المباهلة) فقد أوضحها محمد توفيق دياب بقوله:

«خاصم قول من أهل الكتاب فى نجران رسول الله عليه الصلاة والسلام فى أمر ذى بال وكانوا يحاجونه بالقول الملفق والدعوى الباطلة فلا يجد الرسول سبيلاً إلى أفحامهم لما كانت عليه القوم من لجاجة فى غير دليل واصرار بغير برهان فأنزل الله تعالى على رسوله (أية المباهلة) وهى قوله تعالى:

«فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا نوع أبناءنا وأبناءكم ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين».

ولو كنا فى صدر الإسلام وفى أيام الرسول لدعونا صاحب البلاغ وأهله وأعدائه إلى المباهلة».

وفى الأيام التالية قاد توفيق ذياب حملة مكثفة على صاحب البلاغ ويبدو هذا من عناوين الصحيفة على التوالى.. ففى يوم ٢٤ يونيو ١٩٣٥:

(ختام رودنا على صاحب البلاغ إلا أن يريد منا مزيداً
ــ مكانة الجهاد فى نفوس القراء ــ تهنئة خالصة لصاحب البلاغ.
ــ عتاب آخر الأمة دعوتنا ــ موقفنا من الوزارة.
ــ مسلك صاحب البلاغ حيال الأبراشى باشا ــ نشكر لصاحب البلاغ إتاحة هذه الفرصة).

ثم يطلب توفيق دياب فى ٢٥ يونيو ١٩٣٥ من صاحب البلاغ أن يقسم فى مواجهته :

(سحقاً لمفتريات صاحب البلاغ ـ منتهى ما يستطيعه صاحب الجهاد إلى الأمة المصرية وأمم العروبة والإسلام ـ قسمنا العظيم) :

(أية المباهلة ـ اليمين المغلظة ـ فهل يقسم صاحب البلاغ) .

ثم يكشف توفيق دياب فى ٢٦ يونيو ١٩٣٥ كل ألاعيب صاحب البلاغ :

(حكم التأديب ـ يمحو اسم عبدالقادر أفندى حمزه من جدول المحامين ـ محكمة استئناف مصر الأهلية) مجلس تأديب المحامين ـ وقائع الدعوى ـ أسباب الحكم ـ القضية الثانية ـ الحكم فى القضيتين) .

إن اسلوب توفيق دياب سواء كرئيس تحرير أو كاتب سياسى مدافعاً عن القضايا الوطنية أو عن سياسة الوفد أو فى معاركه الشخصية كان أسلوباً قوياً فى غير عنف قادراً فى غير صخب خلاقاً فى غير إدعاء وهو أسلوب وقف بصاحبه على أعلى درجات المكانة الصحفية وقد ساهم هذا الأسلوب أيضاً مساهمة فعالة فى أن يرد على خصومه السياسيين والصحفيين فى هجومهم عليه وأن يرد لهم الصاع صاعين !

«نحن أشعة منك فأهدنا إلى نورك نور السموات والأرض.. أنت وجودى، أنت معبودى، أنت المحبة والرحمة، أنت الهداية والنور».

من دعاء

توفيق دياب

الباب الثامن
توفيق دياب متصوفاً

كان توفيق دياب مؤمنا تغلب عليه النزعة الصوفية المتأملة التى تحسها فى عباراته كاتبا وخطيبا كرجع الصدى وكانت هذه الظاهرة من أخص ملامح شخصيته ولها فى حياته أثر كبير.

كان توفيق دياب من الباحثين عن الحقيقة.. الذين ينشدون الوصول إلى المرافىء الدافئة.. كان متصوفا.. وكان التصوف هو النبع الصافى الذى أرتوت منه روحه.. هو بر الأمان الذى وصل إليه.. هو الواحة التى شعر تحت ظلالها بجلال الإيمان.. وقوة اليقين.

ولعل أبلغ تعريف للصوفية هو تعريف أبو الصوفية الشيخ الإمام الغزالى «ماذا يقول القائل فى طريقة أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى»..

«ومفتاحها الجارى منها مجرى التحرم فى الصلاة استغراق القلب بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلية فى الله تعالى، وهو أقواها بالإضافة إلى ما تحت الأختيار»..

وقال أحد العلماء عن الشيخ الإمام الغزالى:

ـ «رأيت الغزالى رضى الله عنه فى البرية، وعليه مرقعة وبيده

عكاز.. وركوة فقلت له يا: إمام اليس التدريس أفضل من هذا؟
فنظر إلى شرزا وقال:
لما بزغ بدر السعادة في تلك
الارادة وظهرت شموس الوصـــل
تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل
وعدت إلى مصحوب أول منزل
ونادتنى الأشواق مهلا فهذه
منازل من تهوى رويدك فأنزل

فالتصوف فكر وعمل ودراسة وسلوك وهذه هى أهم معالمة الأساسية.

وإذا كان هناك اختلاف بين الصوفيين، فهو أختلاف يدور حول فكرتين:

هل سبيل الوصول إلى الله يأتى عن طريق الدراسة والبحث، أم أن الوصول يأتى عن طريق الزهد والتقشف..

وحول هذا التساؤل.. كان الأختلاف بين المذاهب الصوفية المختلفة.. والتصوف الإسلامى بدأ فى نشأته بسيطا.. فن المسلمين من كاد يصوم نهاره ويقوم ليله، ويجاهد نفسه بالزهد والتقشف كما فعل عبدالله بن عمر، وبلال ابن أبى رباح، وسلمان الفارسى.. ولكن هؤلاء جميعا يمكن أن نطلق عليهم كلمة زهاد..

ولم تطلق كلمة الصوفية على جماعة محددة إلا فى القرن الثانى الهجرى.. عندما ترأس أبو الحسن البصرى متصوفة البصرة، وإبراهيم بن آدهم متصوفة بلخ.. كما ذاع فى هذه الفترة تصوف رابعة العدوية التى زهدت فى الدنيا حبا فى الله.. والتى ذاعت كلماتها..

ــ «والله ما عبدتك خوفا من نارك ، ولا طمعا فى جنتك ولكن حبا فى ذاتك» .. ولم يكد يأتى القرن الثالث الهجرى حتى أنتشرت المذاهب الصوفية .. فنرى البسطامى الذى نادى بفكرة الفناء فى الله ..

ونرى الحلاج الذى قال بامكان الاتحاد مع الله .. أى يندمج فى الذات العليا .. أن يصبح جزاء من الحقيقة الكبرى .. ولقد مات الحلاج قتيلا بعد سلسلة طويلة من التعذيب عندما قال ان الله يمكن أن يحل فى جسم فرد من عباده ..

ولقد أتجه بعد المتصوفين إلى الأبحاث الفلسفية ليقوم مذهبهم على أساس فلسفى .. فكان من هو أقرب من الفلسفة كمحيى الدين بن عربى القائل من كلماته الشهيرة جدا :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى
إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى
وقد صار قلبى قابلا كل صورة
فمرعى لغزلان ، ودير لرهبان
وبيت لاوثان وكعبة طائف
وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبة فالحب دينى وإيمانى

كما نرى تصوف عمر السهر وردى أقرب إلى الفلسفة أيضا منه إلى التصوف ولكن كل هؤلاء كان أثرهم فى التصوف خافتا إذا قورن بما قدمه أبو حامد الغزالى فى هذا الميدان .. لان الغزالى ترك بصماته على القرون التى تلته جميعا حتى يومنا هذا ..

لقد جاء الغزالى ليقول أن هناك عالمين..

عالم الظاهر..

وعالم الباطن..

وإذا كنا ندرك عالم الظاهر بالحواس.. فأننا بالتيقن والإلهام ندرك عالم الظاهر بالحواس.. فأننا بالتيقن والإلهام ندرك عالم الباطن.. ولكن هذا الفيض لايتم عن طريق أتحاد أو حلول.. ولكن بمثابة كشف روحى يحدث فى اليقظة أو فى المنام للمقربين إلى الله.. أى أن أبواب المعرفة تفتح نوافذها للعابد لدرجة لا يستطيع أن يصل إليها العالم بعلمه.. وكان منهج الغزالى هو الشك.. وبذلك سبق فلاسفة العصر الحديث.. من أمثال رينه «ديكارت» فى فرنسا، «ودافيد هيوم» فى انجلترا.. وان أختفت النتيجة.. وهو يوضح ذلك بقوله..

«من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال»..

وإذا كانت الصوفية ملمحا من ملامح شخصية توفيق دياب فلنا ان نتساءل: كيف بدأت قصة الصوفية معه؟..

عندما ذهب إلى لندن للدراسة.. كان من الممكن أن يلهو كأى شاب.. يخرج من بيئته إلى بيئة أخرى مغايرة فى كل شىء فى العادات والتقاليد والقيم.. وكان يمكن له ان ينطلق على طبيعته، ولكنه يسلك طريقا آخر.. حتى هذا الطريق الآخر لعبت الصدفة فيه دورا كبيرا.. فقد كانت معه فى الجامعة فتاة جميلة.. كان شباب الجامعة يتهافتون عليها كل منهم يود ان يصادقها.. واستطاع توفيق دياب أن يأخذ منها موعدا.. وبينما هو فى الطريق إليها.. لفت نظره

لافتة لجمعية صوفية ترأسها الإنجليزية ــأنا بيزانتــ وسألها عن التصوف .. أهدت له كتابا ما كاد يقرأه حتى غير طريق حياته تماما .. آمن بالصوفية .. وأنضم إلى تلك الجمعية التى كان من بين أعضائها كريشنا مينون .

وقد ذهب بعدها لملاقاة فتاته ... ولكن نظرته إلى الحياة تغيرت .. أخذ يحدثها عن الأخوة والصداقة .. ومنذ ذلك اليوم أصبحت الصوفية ملازمة له كظله وظل عضوا فى جمعية التصوف العالمى الذى أصبح مقرها الهند .. مؤمنا بتلك الفلسفة إلى آخر لحظة من حياته ..

وهذه الفلسفة يمكن أن نلخصها فى ان الإنسان بالمجاهدة يستطيع ان يصل إلى الذات العليا .. ان يندمج فيها .. كما إنها تؤمن بوحدة الوجود .. و.بذلك فكل شيء مقدس .. الحيوان .. والنبات والجماد .. وان الأرواح تتناسخ .. وتظل الأرواح هائمة تنتقل من الإنسان إلى الحيوان والطيور.. إلى ان تتطهر فتتجسد فى شخص نبى أو عظيم كغاندى .

هذه الحقيقة عبر عنها الشاعر (أكبر) بقوله :

هناك يا أخى عالم لا تحده الحدود .

وهناك (كائن) لا أسم له . ولا يوصف بوصف .

ولا يعلم عنه شيئا إلا من يستطيع ان يصل إلى سمائه .

انه لعالم مختلف عن كل ما يسمع ويقال .

هناك لا ترى صورة ولا جسدا ولا طولا ولا عرضا .

فكيف لى ان أنبئك من هو؟

انه ليستحيل أن تعبر عنه بالتقاط الشفاه ..

ويستحيل ان يكتب وصفه على ورقا .
ان الأمر هنا كالأخرس الذى يذوق طعاما حلوا .
فكيف يصف لك حلاوته ..» .
وهكذا عاد كاتبنا ونفسه مليئة بهذا المعنى الصوفى ..
ماذا كان تصرفه ..

أقام في قريته على شاطىء إحدى الترع سريرا .. يجلس هناك طويلا متأملا فى الكون تاركا نفسه تهيم فى عالم ما وراء الطبيعة .

ولكن صوفيته لم تبعده عن تيار الحياة المتدفق .. لم تلهه عن القضايا الوطنية والسياسية .. كان التصوف بالنسبة إليه نظرة إلى الحياة ..

والأديان كلها وسيلة وليست غاية .. وكان كثيرا ما يداعب الأدباء .. لقد أرسل مرة مع عبد الحى دياب غطاءى رأس (بيرية) وكتب يقول للعقاد هذه قلنسوة وأختها تتنافسان فى شرف الالتقاء بالرأس العظيم .

وكان رد العقاد على هذه الهدية شعرا :
على الرأس تحمل تلك الهدية .
ونذكر فى كل نجوى خفية .
وحسبى واحدة منهما .
فأعظم بثنتين من أريحيه .
إذا ما أحتوى الرأس أحداهما .
فهديها صاحب العبقرية .

ولقد عبر توفيق دياب عن الصوفية فى مقالته «الملأ الأعلى» التى نشرها فى (مجلة الهلال) ويقول فيها :

«لكنى أذهب مذهب الشعراء حين أتجه بروحي إلى الملأ الأعلى ــ مذهب الشعراء المتسامين عن الفى فلا «يتبعهم الفأوون» ــ ذلك بأن إيمانى إيمان شعور وإلهام ــ قبله إيمان رواية تروى أو برهان يقام. فلا ملئت الأرض ملاحده، وكانوا أعظم الناس علما بنواميس الطبيعة فيما يزعمون، ثم ملأوا الفجاج إنكارا وجحودا لما وراء المادة التى يعرفونها وما فوق الحياة التى يحيونها، لسخر منهم جميعا إيمانى العميق المطمئن ــ بأن وراء علمهم، وفوق علمهم، مجهولات مقدسة عظمى هى بمثابة بحر خضم، لا يبلغون ولا يعرفون من عبابه سوى رشاش وقطرات أو بمثابة شمس وهاجه. ومازالت محجبة عن الناس حتى الخواص، إلا شعاعة هنا، وشعاعه هناك.

وحين أقول ان إيمانى مصدره الاوثق شعورى وإلهامى وإنى أنحو فى عرضه ووصفه منحى الشعراء السامين ــ لا أريد بالشعور وبالشعر أخيلة مطلقة من قيود الحقيقة، وأوهاما مضطربة عشواء، كما يهذى المريض أو السكران وإنما أريد ذلك الشعور المكين فى قرارة النفس اليقظى وان نام البدن، وأريد ذلك الشعر الصادق، الذى يتعالى من الشعور كما يتعالى البخار العطر من الماء العطر. كلاهما شيء واحد، من أصل واحد، وان أختلفت المظاهر والأشكال.

ويعترف محمد توفيق دياب بانه حاول ان يتلمس طقوس التصوف بالعزلة عن الناس والزهد عن متاع الدنيا وترك أكل اللحوم والاكتفاء بأغذية النبات. فيقول فى مقالته (الملأ الأعلى):

أرادت لى مطالعاتى للإمام الغزالى وفلسفته الصوفية فى القلب والروح، ومطالعاتى للفلسفة الهندية وغيرها من الألهيات، أن أترك

أكل اللحوم واجتزىء بأغذية النبات وأن أنطوى على نفسى. وعلى تلمس النور من ربى سنوات، أكثرها قضيته طالبا فى الغرب، وبعضها قضيته فى عزلة عن الناس فى ريفنا العزيز.

أقمت سريرا فى بعض الحقول بعيدا عن القرية بعض الشيىء.. وجعلت إلى جانبه منضده عليها كتب قيمة شرقية وغربية، بينها كتاب الأستاذ/ «وليم جيمز» (ألوان من التجاريب الدينية) وهو من أعظم التواليف فيما أخذت نفسى به إذ ذاك فكنت لا أفكر إلا فى الملأ الأعلى يقظا، ولا أكاد أحلم إلا به نائما. وما أعجب ما أحسست وألذة فى تلك الليالى والأيام. أحسست إنى جزء لا يتجزأ من الكون كله، وأن لى أخا فى كل نجم وكل كوكب إذا جن الليل، وأخوة فى الشجر والنبات وفى الطير والحيوان، إذا أضاء النهار. تألف عجيب فى نبض الحياة، حياتى وحياة كل موجود سواى. حتى لقد أنطلق لسانى بقصيدة طويلة لم أعد أذكر منها إلا مطلعها:

شمس السماء مضيئة بفؤادى
وبياض نفسى نور كل سواد
ونجوم ليلى والكواكب لمعا
حبات قلبى أغريت بسهاد

ويروى توفيق دياب قصة يؤكد فيها على شفافية التصوف التى كانت تلازمه فيقول:

أحسست (أحساس وجدان) معنى وحدة الوجود، مهما يقل فيها القائلون أو ينع على مذهبها الناعون.

وفى ذات ليلة رأيت فيما يرى النائم حلما مزعجا، رأيت خادما فى

بيتنا بالقرية واقفة ببابه ترسل صوتها منتحبة باكية. وأقبلت أسألها ما بك يا فلانه. قالت: سيدتى سيدتى تحتضر.

ولم يكن عهدى بالسيدة أنها مريضة. فدخلت، وإذا الحجرة عن يسارى يقف ببابها —فلان وفلان من أعضاء الأسرة مشفقين. ثم أدخل فأجد السيدة على فراشها قاربت الرحيل. وإلى جانبها طبيبا لمركز فلان. وسيدات من الأخوات والقريبات فتفتح المودعة عينيها فإذا رأتنى تمتمت بدعوات طيبات. ثم تغيب. وبينما نحن فى ذلك إذا صيحات من الحجرة المقابلة فأقصد إليها فإذا شقيقة السيدة المحتضرة قد أغمى عليها من وقع مصابها فى أختها، فتحملها إلى دارها ضارعين إلى الله أن يجنبنا موت شقيقتين فى ساعة واحدة.

كان ذلك حلم حالم —سوى أننى بعد يومين دعيت من عزلتى فى الحقل إلى بيتنا فى القرية. وإذا الصائحة النائحة، هى الصائحة النائحة بأسمها وعينها. وإذا القريبان الواقفان بباب الغرفة هما فلان وفلان، وإذا المشهد كله هو المشهد، كأنما صورة بالآلة الفتوغرافية مصور. السيدة المحتضرة، والطبيب بعينه، والسيدات بأعينهن. وإذا الصحية المرسلة من الغرفة المقابلة. وإذا الشقيقة التى صرعتها الغشية وإذا بنا نحملها ونضرع إلى الله أن ينجينا من مأتم مزدوج.

فما هذا؟ كيف يفسره العلم؟ أهى مشاغل النهار تخالط أحلامنا بالليل؟ لم أعلم قط أن بهذه السيدة مرضا أو شيئا يشبه المرض. انه غيب محض وغيب تحقق فى الواقع المشهود كما رأته عين النائم، كأنها آلة مصورة لم تفتها صغيرة ولا كبيرة من جملة أو تفصيل.

تفسير ذلك إنما هو صلتنا بالملاء الأعلى.

ولقد تجلى التصوف فى خطب محمد توفيق دياب ومحاضراته فيقول فى محاضرة عنوانها «بأى ميزان نزن الحياة» ألقاها فى يناير سنة ١٩٣١ وفيها تضيىء إلى جانب أصالته الأدبية والفكرية نزعته الصوفية العميقة :

ذلك السر الغامض، الذى يبدأ بالميلاد وينتهى بالوفاة، ذلك السر الغامض الذى تسميه الحياة، ونرى أنفسنا فى غماره متدافعين إلى الإمام أو متراجعين إلى الوراء.

ذلك البحر الخضم، الذى تلقينا بين أمواجه يوم نولد قوة خفية، حتى إذا سبحنا فيه شوطا قصر أو طال، نزعتنا منه تلك القوة الخفية حين يحل الأجل.

هذه المعركة التى نساق إليها غير مختارين، ونفصل عنها غير مختارين، هذه الحياة ما هى؟ وما غايتها؟ ولماذا نموت؟

ليت أحدا يستطيع الجواب عن هذا السؤال فى كلمة أو كلمات. إذن لاستراح الفلاسفة وأصحاب المذاهب المختلفة فى كنه الحياة. فقديما كان، وإلى اليوم وما زال هذا السر الرهيب موضوع البحث الملح ومثار الجدل العنيف بين العلماء والمفكرين.

وليس عجبا أن يفكر الفلاسفة فى مرمى الحياة، وإنما العجب ان لا يفكر فى مرمى الحياة جمع الناس نولد أجنة وندرج أطفالا، وننشأ صبية ونراهق فتيانا، ونستوى رجالا، ونبلغ الكهولة، وتدركنا الشيخوخة ان قدر لنا أن نعمر. ثم ماذا؟ ثم تجف الشجرة وتذوى الأزاهير ويتساقط الورق، وما هو إلا نفس أخير نلفظه فإذا نحن رفات وذلك دون أن نفكر يوما لماذا ولدنا، ولماذا حيينا، ولماذا نموت. ودون

ان نفكر من أين جئنا وإلى أين نعود . وهل جئنا من عدمٍ لنعود إلى عدم ، أم جئنا من وجود لنعود إلى وجود ؟

ستظل من نوافذ الغرفة لترى على أى حديقة تشرف .

ستفتح الباب ، فان كان موصدا عالجته حتى ينفتح أو يتحطم .

فإذا خرجت من الغرفة جعلت تنظر يمنة ويسرة فى ذهول وحيرة ، ثم جعلت تطوف بأرجاء الدارمسائلاً نفسك : أين أنا ؟ وما هذه الدار ؟ ولمن ؟ وفى أية مدينة ؟ ولن يهدأ لك بال أو يستقر لك حال حتى تلقاك سيدة هى أشبه ما تكون بالمرضات ، فتنبئك بأن هذه الدار ــ عافاك الله ــ مستشفى ، وأن أغماءة طارئة غشيتك ، فخاف عليك والدك ، فأسرع بك إليه ، حتى إذا بشر الطبيب أباك بأن الأمر هين لا خطر فيه ، آثر لك الإقامة هنا أياما ، إلى أن تستعيد صحتك فترجع إلى دارك سليما معافى .

حينئذ تدرك حقيقة المكان ، ومن جاء بك إليه ، وما السبب .

فإذا عرفت أن الغاية هى أستشفاؤك مما بك ، لم يزدك علما بهذه الغاية إلا أخذ بأسبابها وإستيفاء لشرائطها ، حتى يتم لك منها ما أراده والدك وما أصبحت تريده لنفسك .

هذا شأننا من الدهشة والتساؤل إذا طرحت بنا الطوائح إلى مكان نجهله .. فما بالنا تبعثنا إلى هذه الدنيا قوة خفية ، على غير قصد منا ولا أختيار ثم تتوفانا مستضعفين على غير قصد منا ولا أختيار ــ نظهر ونختفى على ظهر هذا المحيط الهائل ، كالفقاقيع تتفتح وتنفجر فى مثل لمح البصر ــ دون أن يأخذنا دهش يدعونا إلى الحيرة والتساؤل والتفكير ؟

لماذا بعثتنا القوة الخفية القديرة الجبارة إلى هذه الدنيا ؟

ألنقضى فى هنائها أو عنائها ، فى صحتها أو فى مرضها ، فى غناها أو فقرها ، فى عدلها أو ظلمها ، فى إخائها أو لددها ، فى رفقها أو جفائها ، أو فى مزيج من هذا كله ستين أو سبعين عاما إذا طال بنا العمر؟ وما ستون أو سبعون عاما فى أمتداد الأزل الذى لا أول له ، وفى أمتداد الأبد الذى لا نهاية له؟ ان العلماء ليحصون السنين التى سلختها الإنسانية على هذا الكوكب بالملايين لا بالألوف ، ويقدرون لها البقاء فيه ملايين أخرى تربو على الأحصاء.

فما أنا وما أنت ، وما نصيبى وما نصيبى فى هذا السرمد الذى تحار فيه الألباب ؟ ذرة ضئيلة من جبل أشم ، قطره هينة من محيط مترام .

ان التاريخ المدون أو المكتوب لا يعدو ستة آلاف من السنين ، وهى التى شغلت أقلام المؤرخين ، وهى التى ظهرت فيها حضارات واختفت حضارات ، وأرتفعت أمم وأنحطت أمم .

وهى التى وقع فيها من المظالم والحروب ، وطغى فيها من الرق والأستعباد ، وتقلب فيها من العقائد والأديان ، وأختلف فيها من طرائق الخير والشر ، وتعاقب فيها على الجماعات والأفراد من السعادة والشقاء ، وأظلم فيها من الضلالات والجهالات ، وأضاء فيها من المعارف والعلوم ــ ما تضيق عن الاحاطة به مئات الألوف من المجلدات ومئات الألوف من العقول وهذا كله تراث ستة آلاف من السنين .

وما هى من ماضى الإنسانية المجهولة ومن تاريخها غير المكتوب ، وما هى من مستقبل الإنسانية الذى لا تترامى إلى حدوده عين الخيال ــ إلا بمثابة الدقيقة والواحدة من ألوف الأعوام .

إذن أليس من الغرور أن أتكلم عن حياتك وحياتى وعن ميزان حياتك وميزان حياتى؟ وما حياتك وما حياتى إذا قستها بهذا المقياس المخيف؟

إنك لو نظرت إليها بالمكرسكوب لعز على المكرسكوب أن يكشفها لمن ينظر إليها من أفق الأزل القديم وأبد الخالد.

ألا تصدق؟ إذن ألا تعلم أن كوكبك هذا الذى عاش فيه أجدادك من البشر ملايين السنين، وسيعيش فيه أحفادك ملايين أخرى لا يحصيها العد، ان لم يصطدم به جرم سماوى آخر فإذا أرضك هباء فى مثل قصف الرعد أو خطف البصر؟ ألا تعلم أن هذه الأرض بماضيها الزاخر ومستقبلها المظلم الباهر إنما هى شظية تطايرت من الشمس كما تتطاير الشرارة من التنور الهائل المستعر، فجالت شرارتك فى الفضاء. حتى أخذت مدارها من نظامنا الشمس واستحالت حصاة (مستقلة ذات سيادة).

أنا وأنت وهى وهو وهم وهن آحاد فى عداد ملايين الأمة المصرية. والأمة المصرية أحدى العشرات الكثيرة من أمم هذا العصر، وأمم هذا العصر حلقة قصيرة من سلسلة ترجع إلى ماض لا يدرك الخيال مبتداه، وتمتد إلى مستقبل لا يدرك الخيال منهاه على هذه الأرض. وهذه الأرض شظية كانت ملتهبة تناثرت من الشمس فدارت من نظام الكون حيث تدور.

فماذا عسى تكون حياتى وماذا عسى تكون حياتك؟ لا سيما وأنت تعلم أن نظامنا الشمس ليس إلا واحدا من نظم كثيرة تماثله، لو أطلنا التفكير فى كنهها وفى تلك القوة الخفية التى تسخرها لقضينا

أعوامنا الستين أو السبعين فى التفكير دون أن تزداد فى تفهمها إلا ذهولا وحيرة .

ثم نكتشف النظرة الصوفية الزاهدة التى يكشف بها محمد توفيق دياب عن ذاته المتصوفة وعن الهدف من الحياة التى تجرى فى هذا الكون الكبير فيقول :

هل تحتملون منى كلمة جريئة ؟ إذن تفضلوا فأسمعوها .

إذا كانت الحياة هى الأعوام السنون أو السبعون التى نعيشها فى هده الدنيا ، من غير أن نكون مرتبطين قبل قدومنا بقوة هى التى بعثتنا لحكمة ، ومن غير أن نكون مرتبطين بعد رحيلنا بقوة هى التى استدعتنا إليها لحكمة ، إذا كانت الحياة مصدرها العدم ومصيرها العدم ، إذا كان مولدنا فى هذه الأرض مصادفة لم تقصدها قوة مريدة مدبرة ، وكان موتنا مجرد أنتهاء لهذه المصادفة ، إذا كان وجودنا مجرد نتيجة آلية . عضوية لمجرد تفاعلات آلية عضوية ، وكان زوالنا نتيجة مادية لأسباب مادية لا أقل ولا أكثر.

إذا كانت أيامنا فى هذه الدنيا برزخا تاعسا بين بلقعين : بلقع الماضى قبل أن نولد ، وبلقع المستقبل بعد أن نموت .

إذا كنا فى هذه الدنيا مجرد أحلام زائلة وأشباح حائلة .

إذا كنا كل هذا العناء وهذا الكدح وهذه الألام وهذه الأمراض وهذه الخطوب التى نشاهدها أو نحتملها أو نكافحها فى سبيل الإنسانية .

إذا كانت كل هذه الحضارات وهذه العلوم وهذه الفنون وهذه الأداب التى تسمو إليها الأمم جيلا بعد جيل .

إذا كانت هذه الشرور كلها وهذه الخيرات كلها ليس وراءها إلا مطلب واحد ــ هو أن يعيش كل فرد من الناس خمسين أو ستين عاما محدودة بحدين : عدم مطلق منذ الأزل ، مطلق إلى الأبد ، ماعدا هذه الأعوام الخمسين أو الستين

إذا كان الأمر كذلك ، فما أحق الأحياء الذين يؤمنون بهذاالعدم من قبل ومن بعد ثم يعيشون ان الأنتحار أولى بهم وأجدر، أما أنا فلو كنت منهم لانتحرت .

ان هذه الأعوام الستين التى يعيشها المرء فى هذه الدنيا لاتساوى فى ذاتها عضة الفقر ولا ذلة الحاجة عاما واحداً .

أنها فى ذاتها لاتساوى برحاء المرض الممض نصف عام. إنها فى ذاتها لاتساوى أحتمال الظالمين ، ولا جبروت المتجبرين .

ان المرء ليصادف فى هذه الأعوام الستين أو السبعين من ضروب الأذى ما لا يحتمله إلا لشعور واحد ، هو ان الحياة سر قديم خالد ــ لا حياة الجماعة فحسب ، بل حياة كل فرد من أفرادها كبر أو صغر، جل فى نفوس الناس أو هان .

إذا سألت بعض علماء المادة الذين يرون حياة الفرد مسبوقة بعدم منتهية إلى عدم ، إذا سألتهم : لماذا يعيشون ؟ قالوا : نعيش طوعا لغريزتين : غريزة الحرص على بقائنا ، وغريزة الحرص على بقاء النوع .

أما حرصنا على بقاء أنفسنا فواضح حتى فى الطفل يتجنب السقوط من عل ويتجنب النار اللاذعة والحفرة العميقة .

أما حرصنا على بقاء النوع فواضح فى الأم تسهر على ذراريها ،

والأب يعول أبناءه، حتى ولو كانت الأم حيوانا أعجم.

ونحن نفهم هذا التعلل بقوة الغريزة من غير السادة العلماء. على أختلافها قد يجعلها المعلم الأعظم مظاهر أخرى لقدرته وصورا جديدة لأرادته.

لكن ذلك القبس الذى هو نفحه من روحه، جلت روحه وعلت من الأرضين والشموس والأقمار، وذلك القبس الذى يصلكم به صلة أزلية خالدة تنفصم، ذلك القبس هو سر الوجود.

فبأى ميزان تزن الحياة. أبميزان الطعام والشراب والفقر والغنى والدور والقصور والبذخ والمناعم والوظائف والمناصب؟

نحن لا نحتقر الطيبات من الرزق ولا نبغض إليكم كسب المال وإنفاقه فى سبيله الخيرة.

بل نحض على ذلك، ففيه حفز للهمم وعود على النفس وذوى القربى وأهل الخصاصة بالمتاع الحلال.

ولكن الأمر كل الأمر الذى أريد أن أذكر نفسى به وأذكركم، هو أن كل مرافق الحياة من متاجر ومزارع وصناعات، ومن مطاعم ومشارب ومساكن، هى أدوات ووسائل لابد منها. ولكنها ليست غايات.

أذكر نفسى بهذه الحقيقة الأولية وأذكر بها حضراتكم لا غضا من الوسائل ولا صرفا لكم عن أتخاذ الأدوات، ولكن لأنك لو أحصيت فى زماننا هذا أولئك الأيقاظ الذين لم تصرفهم وسائل الحياة عن غاية الحياة لالفيتهم نزرا يسيرا لا يبلغ عددهم فيما أحسب واحدا فى كل ألف.

أولئك يزنون الحياة عامة ، ويزنون حياتهم خاصة ، بما تحوى جيوبهم من مال لا بما تحوى نفوسهم من خصال ، وبما يغلون من مناصب ، لا بما يخدمون من مبادىء .

وتتجلى النزعة الصوفية لدى محمد توفيق دياب حين يقول ان ملهم كل ذى موهبة أو كل صاحب أختراع أو مكتشف سرا من أسرار الطبيعة هو ذلك القبس المستمد من قوة الله سبحانه وتعالى فيقول :

فى هذه المدرسة الربانية الكبرى تلاميذ مختلفة درجاتهم . فمنهم المبرز ومنهم المتخلف . فلا تعجبوا إذن لبعد ما بين الناس من تفاوت فى الأخلاق والعزائم والعرفان .

لكن حين يعلم الناس أنهم هاهنا تلاميذ ، وأنهم لم يرسلوا إلى الحياة لعبا ولهوا ، وان معلمهم هو ينبوع النور والعرفان والفضائل فى كل قلب مضىء ورأس عامر بالعلم ، ونفس خفاقه بالشعر أو ببدائع الفن الجميل . حين يعلم كل ذى موهبة ، وكل ذى فضيلة ، وكل صاحب أختراع ، وكل مستكشف لسر من أسرار الطبيعة ، ان ملهمة ومرشده هو ذلك القبس المستمد من قوة الله ، حينئذ يبطل الغرور حياء من الله ، وتتضاعف الهمم مرضاة للمعلم الأعظم ، ويكون ميزان حياتك هو مبلغ محاكاتك لصفات المصدر لكل عظيمة من عظائم الصفات .

ويقول فى محاضرة عنوانها «ثروتنا الخلقية» :

قاتل الله الأنانية . فهى تغل يد الغنى فى أغاثة الملهوف إذا نزلت به النكبات ومزقته النوائب هى التى تمزق الجماعة أحزابا والأحزاب شيعا . والشيعة آحادا متحاسدين . هى التى تجعل المناصب مغانم

وتجعل المغانم قسمة بين المحظوظين. هى التى تجعل الكبير مزهوا بطرا. وتجعل الصغير حاسدا ضجرا. قاتل الله الأنانية فهى التى تكاد تحمل كل مصرى على ان ينسى المصرى فى وقت محنته. حتى لنخشى أن ينسى الجميع هذا الوطن ان حلت به الكارثة.

وقال فى محاضرة أخرى يذكر الفلاحين فى سنة ١٩٤١.:

« هم وسطاء الله بين أرضه وبين المرزوقين الطاعمين من خيراته. أفليس لوسيط الخير الألهى أن يعيش من خبز الله.

ويخاطب توفيق دياب يوم الجهاد:

يوم ١٣ نوفبر ١٩١٨ وفيه أيضا نزعة إنسانية صوفية قال « لك الخلود والتقديس إيها اليوم الساطع بين غيوم السنين. لقد جئت نفحة علوية من عند الله. كى تعلم اللاصقين بالأرض منا كيف يطمحون إلى السماء بالعقول والقلوب والهمم كم وددنا أيها اليوم الأغر لو دمت فينا سرمدا، لا لنجاهد خصيمه الامس وحليفة اليوم، ولكن لنجاهد فى طوايانا شرور أنفسنا ولا لنريق دما زكيا. أو نزهق روحا عالية ولكن لنريق بيننا كل شهوة خبيثة وكل مفسده فاشية.

ويقول فى بحث عنوانه علمتنى الحياة « يقول » علمتنى الحياة أن ازن النجاح بوسائله لا بثمراته وأننى لأرى الفقير الكريم فاحتفى به حفاوتى بالنفس الفاضلة. وأرى الغنى الذى كسب ماله عن طريق يأباها الضمير فأزوى عنه وجهى أو قلبى كما ازويه عن كومة من الذهب المسروق.

وعلمتنى الحياة أن أزن الناس بما تحتوى أنفسهم. لا بما تحتوى خزائنهم. وعلمتنى الحياة أن أتحسس فى الناس معادن النفوس.

وعلمتنى الحياة أن أقيس أصحاب المراتب لا بسعة النفوذ، ولكن بسعة الأفق وعلو الهمة والتسامى عن الصغائر وعلمتنى الحياة ان الناس ضيفوا رحاب الحب حتى ضاقت بهم رحاب السعادة.

ولا شك ان محمد توفيق دياب كان متصوفا ليس فقط فيما يكتب أو يلقى من خطب أو محاضرات بل كان متصوفا فى أدق تصرفات حياته الشخصية وليس أدل على ذلك من رسائله إلى زوجته والتى يقول فيها :

«والآن أستحلفكم بالله وشرفى وشرفكم إلا تغمضوا عيونكم فى الليل إلا وتكون آخر فكرة لكم قبل الاستغراق فى النوم.. فكرة نبيلة طاهرة لا حقد فيها على أحد.. وكرها لأحد ولكنها خير وطيبة وكرم نفس، وطرد سريع لكل خاطر سيىء. أو هاجس وضيع ويكون آخر ماتقولون.. أياك نعبد وأياك نستعين.. أهدنا الصراط المستقيم.. صراط الذين أنعمت عليهم. ثم تنامون على بركة الله أياما. فلا ينقضى سوى أيام حتى تكون أحلامكم وادعة صافية.. وحتى تشعرون أنكم فى رعاية الله وبين يديه فى المنام واليقظة.

والآن أوجه كلامى إليك ياحبيبتى مشفقا عليك من أن تظنى أننى بهذا الأتجاه سأزهد فى أعمال الدينا وواجباتها، كلا وألف كلا، بل هذا سيزيدنى قوة على قوة ويضاعف من رغبتى فى أرضاء رغباتكم العزيزة.. كما أنى سأعرج معك ويدى فى يدك إلى آخر هذه الحياة وفى الحياة التالية مانستطيعه من معارج الطريق تدريجيا، مرحلة بعد مرحلة، دون أجهاد ولا مفاجأة، بل تنموا ان شاء الله معا نموا طبيعيا تدريجيا لطيفا، بحيث نستقبل الحياة الأتية ان شاء الله ونحن على أتم

أستعداد لأمتحان النقاء الكامل والتحرر الحقيقى من جميع ما نريد أن نتحرر منه من دوافع الطبائع فى تركيبها الجثمانى وفى رغائبها الأرضية فلا أنا أتركك ولا أنت تسبقيننى، بل نكون فى هذا قريبين لا يفترقان..

إلى هذه النزعة الصوفية التى أرتاح لها وسعد بها وعثر على سكينته فيها رد محمد توفيق دياب على صديقه عميد الأدب العربى د. طه حسين وهو يستقبله عضوا بالمجمع اللغوى حين عرض الدكتور طه حسين لموضوع التصوف فرد عليه توفيق دياب قائلا :

«أننى حقا ذقت حلاوة التصوف، ونعمت بنعمته وسموت بسموه عن غرائز الأثرة وسلطان الشهوة.. ليتنى أستطعت الأحتفاظ بهذا السمو فى العواطف والمشاعر والأفكار بقية الحياة، إذن لظللت قريبا من ربى، يقبلنى كل ساعة وفى كل لحظة، فى اليقظة والمنام، ولكننى وأسفاه قد أجتاحتنى جوانح الدنيا وجرفتنى جوارف التيار على أن أمرا واحدا بقى لى أشكر الله عليه، ذلك أننى قد انحدرت من الأفق الأعلى الذى كنت عرجت إليه أيام التصوف، لم أهبط قط بعد ذلك إلى الدرك القديم الذى كنت فيه أيام التيه والضلال»..

وقد علق على هذا الشاعر الكبير عزيز باشا أباظة بقوله :

«كلام من هذا.. ان لم يكن كلام متصوف غارق فى تصوفه الرفيع العميق.. وفى حياته الروحية النبيلة المشرقة.. وفى تذوق حلاوة بعض روحانياته، التى تدافعت من حنايا نفسه، فأطلقها على لسانه أدعية عابدة كأنها مقتبسة من نور الله.. وأدعية تلك تبلغ المائدة

أو تزيد. كتبها على مصاحفة أو على كتبه الجامعة لحديث خاتم المرسلين » .

ومن أمثلة أدعية توفيق دياب التى تميزت بالنزعة الصوفية والطاقة الوجدانية والذخيرة الروحية .

كتب من دعاء :

رب هيىء لى ألا أبرح هذا الكوب حتى أدرك ربانيتى فيه . فلقد علمتنا ان رقى الإنسانية أنما هو حكايتها لصفاتك العليا ــ جل جلالك ــ من علم ورحمة وعدل ..

ومن دعاء آخر:

نحن أشعة منك ، فأهدنا إلى نورك نور السموات والأرض ..

أنت وجودى ، أنت معبودى ، أنت المحبة والرحمة ، أنت الهداية والنور..

وكتب من دعاء آخر:

نحن أشعة من ذاتك يارب ..

فأغفر لنا ذنوبنا ، وطهر قلوبنا ، وأدخلنا فى رحمتك ، وزدنا هدى ونوراً ، يا نور السموات والأرض ..

وكتب من دعاء آخر:

دعائى الوحيد ، نورك وهداك ..

على صراط المستقيم ، أيها الحبيب الرحمن الرحيم ..

الثلاثاء ١٠ من يوليو سنة ١٩٥٦ .

نعم الضارع إلى ربه بهذا الدعاء المستجاب

محمد توفيق

وكتب من دعاء آخر.

أغفر لنا، وأرض عنا، وتولنا برعايتك وحمايتك.. أشرح لنا صدورنا بأنسك.. وأسعد لنا أيامنا بقربك، وعاف لنا أجسامنا وألبابنا بترقيتنا إلى العالم الأعلى.. وهيئنا لعبادتك، بخدمة أخواننا من عبادك.. أيقظ أرواحنا، وأنر بصائرنا، وأهدنا سبيل الخلود..

وكتب على أحد مصاحفه:

زيارة ودعاء وعهد وثيق..

سيدتى البارة الطاهرة نفيسه حفيدة الرسول.. أستغفر الله إليك من سوء مسلكى نحوك شرفك الله، وأسأل الله مرة أخرى بحق منزلتك عنده، ومقامك المحمود لديه، ان يتوب على توبة نصوحا من عادة التدخين..

فلا تستهوينى شهوته، وذلك تنفيذا لعهدى وأستمساكا بعزيمتى الروحية المنبعثة من أرادة الله.. فقد جئت لزيارة مقامك يا حفيدة الرسول، أرجو منك الوسيلة إلى سيد الأكوان القدير المتعال، ان يمدنا بعونه على تذليل العقبات التى تعترض حياتنا الروحية والمادية فى دنيانا وأخرانا.. انه السميع المجيب القريب الحبيب له الجلالة.. وعلى رسولنا الصلاة والسلام، وعليك رضوانه أيتها الطاهرة يا حفيدة الرسول..

٢٣ سبتمبر سنة ١٩٥٣.

وكتب ناقلا على جزء من صحيح البخارى:

اللهم الهمنى الأخلاص فى السر والعلانية، والعدل فى الرضا والغضب، والقصد فى الغنى والفقر، «وأن أصل من قطعنى وأعطى

من حرمني ، وأعفو عمن ظلمني ، وأن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ، ونظري عبرا ..

٢٦ ديسمبر سنة ١٩٥٤

ولقد تأكد التصوف في نفسه كقمة الإيمان .. إيمان المتصوفة الذين يعرفون الله حق المعرفة عن طريق الحدس والإلهام .

وقد كان توفيق دياب يحس في أيامه الأخيرة بنهاية الرحلة في عالمنا .. وكان يهمس بذلك إلى أقربائه وأصدقائه .. كان يضع كتب المتصوف الكبير الإمام الغزالي في مكتبة صغيرة بحجرة نومه .. وكان يقرأ القرآن في ساعة متأخرة من الليل .. كان يردد الأدعية إلى الله .. كان يخلو إلى نفسه في الهزيع الأخير من الليل يدعو للإنسانية جمعاء فان إيمان المتصوفة يجعل الطريق مفتوح أمامهم ليروا بأنوار قلوبهم الحقيقة .

«لقد انشأ توفيق دياب مدرسة فى الخطابة استمرت حتى الآن وكان الرئيس جمال عبد الناصر يقلده فى خطبة» .

عبد الرحمن الشرقاوى

الباب التاسع
توفيق دياب فى عيون معاصرية

«إن أصدق اللوحات التى ترسم لعظيم هى التى يرسمها فنان كان قريبا من حياته».. مثل إيطالى صادق يعبر حقيقة على ان الكاتب أو الفنان حينما يرسم صورة لرائد من رواد الفكر أو سياسى كبير أو عالم نابغ فإنه إذا كان قريبا من هذه الشخصية فإن حكمه يكون أصدق أو ريشته تكون أبدع.

ما أكثر المقربين من الكاتب الكبير محمد توفيق دياب لانه ضرب بسهم وأفر فى جميع الأتجاهات السياسية والاجتماعية والصحفية والأديبة.. لهذا كانت الصورة المقربة له والتى رسمها كبار الكتاب والساسة والصحفين دقيقة رسمت أدق ملامحه وصورت أدق خلجاته وأوضحت أروع معاركه.

فالكاتب الكبير مصطفى أمين الذى عمل فى مقتبل حياته الصحفية مع رئيس التحرير توفيق دياب يرسم صورة قلمية لتوفيق دياب فيقول:

«كان توفيق دياب شخصية عربية.. كاتب من الطراز الأول وخطيب من الطراز الأول.. ودرس فن الألقاء فى جامعة لندن وأرسل وهو طالب فى انجلترا مقالا إلى الأستاذ أحمد لطفى السيد رئيس تحرير

جريدة (الجريدة) وإذا بلطفى السيد ينشر مقال الطالب توفيق دياب عندما وصلت إليه نسخة الجريدة فى لندن ووجد نفسه فى الصفحة الأولى ومنذ ذلك اليوم قرر ان يكون صحفيا..

وعندما أصدر حزب الأحرار الدستوريين جريدة «السياسة» أنضم توفيق دياب إلى محرريها وأصبح يكتب مقالات من نار ضد سعد زغلول. وعين مدرسا فى الجامعة إلى جانب عمله الصحفى ورشح نفسه فى أول انتخابات لمجلس النواب سنة ١٩٢٤ ضد يحيى إبراهيم باشا رئيس الوزراء.. وسقط توفيق دياب مرشح الأحرار الدستوريين وسقط معه رئيس الوزراء.. ونجح مرشح سعد زغلول..

وفى سنة ١٩٢٨ الف محمد محمود باشا زعيم الأحرار الدستوريين الوزارة وحل مجلس النواب وأوقفت الحياة النيابية ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

وقرأ توفيق دياب الخبر فى الصحف. وثار على رئيس الوزراء الذى أوقف الحياة النيابية وثار على حزب الأحرار الدستورين الذى وافق على الأعتداء على الدستور. وكتب مقالا من نار فى جريدة الأهرام بعنوان «من الأعماق» أعلن فيه أستقالته من الجامعة ومن جريدة السياسة احتجاجا على الأعتداء على دستور البلاد.. واشترك مع الدكتور محمود عزمى فى تحرير جريدة وادى النيل التى تصدر فى مدينة الإسكندرية. وهاجم فيها الديكتاتورية والطغيان وبعد بضعة أيام أصبحت هذه الجريدة من أوسع الصحف انتشارا فى مصر.. وضاق رئيس الوزراء بهذه الجريدة وأستدعى صاحبها وأقنعه بأن يستغنى عن توفيق دياب ودكتور محمود عزمى وإلا سيعطل الجريدة نهائيا!!

وفوجىء توفيق دياب فى اليوم التالى بخطاب من صاحب الجريدة يستغنى فيها عن خدماته.. وقد كان توفيق دياب هو كل شىء فى الجريدة فى تلك الأيام!

وأصدر توفيق دياب بعد ذلك عدة جرائد وفى كل مرة يعطل رئيس الوزراء الجريدة نهائيا أو يصادرها وهى فى المطبعة.

وفى ١٣ نوفمبر ١٩٢٨ أقيم الأحتفال بعيد الجهاد الوطنى وهو اليوم الذى ذهب فيه سعد زغلول إلى دار الحماية البريطانية وطلب بأسم الشعب ان يخرج الإنجليز من مصر..

ووقف توفيق دياب على المنبر. وبدأ هادئا ثم أنطلق كالأعصار ينقض على الوزارة ويدعو الشعب إلى الثورة وإذا بالجماهير تلتهب حماسا وتخرج الألوف فى مظاهرة صاخبة تهتف بسقوط الديكتاتورية..

وأمر النائب العام بالقبض على توفيق دياب بتهمة التحريض على الثورة وتاليب الجماهير.. وعرض توفيق دياب على القاضى فأمر بالأفراج عنه مع دفع كفالة..

وفى ذلك اليوم أصبح توفيق دياب أحد زعماء الوفد، وكلما رأته الجماهير حملته على الاعناق هاتفة بحياته.. واستمر يصدر الصحف وتغلقها الحكومة إلى ان سقطت الديكتاتورية. والف عدلى يكن باشا وزارة محايدة أعادت الدستور وأوقفت تعطيل الصحف والمجلات.

وأصدر جريدة «اليوم» وكانت جريدة صباحية وفدية وتولت وزارة إسماعيل صدقى باشا الحكم وقرر ان يحكم بيد من حديد، وعارضه توفيق دياب بمقالات نارية عنيفة وأمر صدقى باشا بمصادرة جريدة اليوم ثم أمر بأغلاقها نهائيا.

ثم يضيق مصطفى أمين لقائه الأول بتوفيق دياب حين أراد ان يعمل فى صحيفته .

وفى تلك الأيام ذهبت إلى توفيق دياب أعرض عليه ان أعمل فى جرائده ورحب بى وأستأجر جريدة صغيرة أسمها « العلم المصرى » وأشتركت معه فى تحريرها . وما كادت الجماهير ترى أسم توفيق دياب على الجريدة المجهولة حتى أقبلت عليها تتخاطفها وفى يوم وليلة أصبحت جريدة العلم المصرى أوسع الجرائد انتشارا فى مصر.. وبعد يومين أصدر صدقى باشا قرارا بتعطيل جريدة « العلم المصرى » تعطيلا نهائيا .. ولم ييأس توفيق دياب وطلب منى ان أعود فى اليوم التالى لنصدر جريدة جديدة يتحدى بها الدكتاتور. وبعد ثلاثة أيام وجد توفيق دياب جريدة أسمها « الأخلاص » مهاجما للدكتاتورية من جديد ! وأمر صدقى بمصادرة جريدة الأخلاص.. بعد صدورها بيومين ! ! وكانت هذه المصادرات وأوامر التعطيل تكلف توفيق دياب مبالغ طائلة ولكنه رفض ان يتراجع وأصدر جريدة جديدة بأسم جريدة « الثبات » وصدر منها عدد واحد وعطلها صدقى باشا فى اليوم التالى.. ولم يتراجع توفيق دياب أمام التهديد والوعيد وأصدر جريدة جديدة بأسم « النهارده » ولم يمهلها صدقى باشا سوى يوم واحد.. وعطلها فى يوم الصدور.. عشت بجانبه فى مأتم الصحافة وأنا أرى جرائده تتساقط واحدة بعد واحدة وهو يصر على مقاومة الاستبداد .

وأنهالت الديون والحجوزات على توفيق دياب ، واحاط به أصدقاؤه ينصحونه ان يحنى رأسه للعاصفة . ولكنه أصر ان يتصدى للطغيان حتى لو مات من الجوع .. وفى ديسمبر سنو ١٩٣٠ أصدر جريدة « الضياء » وأستمرت فى الصدور إلى ان تهاوت الديكتاتورية فأصدر جريدة

الجهاد ، وأصبحت من أوسع الصحف اليومية انتشارا وأنهالت الأرباح على توفيق دياب وأشترى أحدث مطبعة من ألمانيا وأنتقل من دار الجريدة المتواضع فى شارع ضريح سعد إلى قصر كبير فى شارع فؤاد الذى أصبح الآن شارع ٢٦ يوليو.. ولكن هذه الثورة المفاجئة لم تجعله يهدأ أو يهادن أو يخفف فى هجومه على خصوم الحياة النيابية.. وقدمت النيابة فى عدة قضايا صحفية لا يكاد يخرج من قضية حتى يدخل فى قضية أخرى. وأحالته الحكومة إلى محكمة الجنايات بتهمة أهانة الوزرارة. فحكمت محكمة الجنايات ببراءته. وإذا بالحكومة تقدم نقضا فى الحكم وعرض الحكم على محكمة النقض برياسة عبدالعزيز فهمى باشا فأمر بنقض الحكم وسجن توفيق دياب ثلاثة شهور.. ولما كان توفيق دياب محكوما عليه قبل ذلك بالسجن ستة أشهر مع أيقاف التنفيذ بتهمة أهانة النواب فقد ضم عبدالعزيز فهمى باشا الحكمين معا. فأصبح محكوما على توفيق دياب بتسعة أشهر مع النفاذ!

وكان الحكم مع الشغل.. ووضع توفيق دياب فى سجن «قره ميدان» بالقلعة. ونزعوا ملابسه وألبسوه بدلة السجن الزرقاء. ونام على الأسفلت بالرغم من مرضه وتقدمه فى السن ومنع من قراءة الصحف ووضعوه فى ورشة الترزية.. وهناك بدأ يتعلم الخياطة وأستطاع فى تلك المدة ان يصنع طاقية وكان فخورا بها حتى انه أخذها معه عند الأفراج عنه..

ثم يروى الأستاذ مصطفى أمين الوجه الأخر لتوفيق دياب والذى لا يعرفه أحدا.. فى منزله.. بين أسرته.. زوجته وأولاده فيقول:

وأثناء سجن توفيق دياب حصل والداه الطفلان كامل وصلاح على الشهادة الأبتدائية وأراد محررو الجهاد ان يسعدوا الأب فى سجنه ولديه رغم الظروف العسيرة التى تمر بها الأسرة وأصروا ان يكون مانشيت الجريدة «نجاح نجلى صاحب الجهاد فى الشهادة الأبتدائية» !

وكانت هذه أول مرة فى التاريخ ينشر نبأ نجاح تلميذ فى الشهادة الأبتدائية مانشيت يعرض الصفحة الأولى.

وأذكر فى أثناء سجن توفيق دياب ان دعت أم المصريين صفية زغلول السيدة قرينة توفيق دياب لتتغدى معها فى بيت الأمة !

وجلسنا نتناول الغداء وكانت زوجة توفيق دياب تذكر زوجها كلما ذاقت طعاما شهيا.. وتتساءل ترى ماذا أكل توفيق دياب فى السجن فى ذلك اليوم ؟! وكان السجن يقدم لتوفيق دياب فى ذلك الوقت عدسا فى الغداء وطعمية فى العشاء، فول مدمس فى الأفطار.

وجاء السفرجى يحمل طبق الحلوى وأسمه «عيش السراية» ويسمونه باللغة التركية «كميل قطايف» وهو عبارة عن قطائف محلاة بالقشدة وأكلت زوجة توفيق دياب بشهية من طبق عيش السراية. ولاحظت صفية زغلول ذلك فقالت لزوجة توفيق دياب هل تحبين عيش السراية ؟ قالت زوجة توفيق دياب جدا جدا.. فقالت صفية زغلول مازحة: تحبين عيش السراية قد ايه ؟ فقالت زوجة توفيق دياب ببساطة.. قد ما يحب توفيق بك !

وكان بين توفيق دياب وزوجته أحترام متبادل دام أكثر من أربعين عاما وكان يناديها دائما «ياحميدة هانم» وكانت هى تنادية «يا توفيق بك».

ولزواج توفيق دياب من زوجته قصة غريبة فقد كان طالبا فى جامعة لندن، وفى أثناء أحدى المحاضرات رأى طالبا يتكلم الإنجليزية بطلاقة .. وعرف انه مصرى فتقدم إليه وتعرف به وعرف أسمه كامل حسين. وبدأت بين الطالبين صداقة وطيدة، وذات يوم عرف توفيق دياب من صديقه ان له أختا لم تتزوج بعد .. وطلب توفيق دياب ان يتزوجها دون ان يراها لقد أحب صديقه كامل حسين وأعجب به وباخلاقه فقرر ان يتزوج أخته! وقال كامل حسين انه لابد ان يسأل أخته أولا .. وقال لها: لى صديق أسمه توفيق دياب وهو رجل غير عادى أذا أراد الخروج من الغرفة وقرر ان يختصر الطريق إلى الشارع رفض ان ينزل من السلم، وقرر ان ينزل من الشباك ..

فإذا قبلت ذلك يمكنك أن تتزوجيه.

قالت الأخت: أقبل.

وهكذا تم الزواج.

وعلى الرغم انه تعلم فى إنجلترا وطاف أوربا وعاشر المجتمعات الغربية إلا انه عاد إلى مصر وهو فلاح من الشرقية. وبقى فلاحا فى أسرته طوال حياته وأنعكست أفكاره المحافظة فى معاملته لبناته.

فقد جاء لهن بمدرسة تعلمهن الموسيقى ومدرسة لتعلمهن الرقص وأنشأ فى بيته بمصر الجديدة ملعب تنس! ولكنه لم يسمح لبناته بطلاء الأظافر ورفض ان تقابله أبنته بفستان قصير. وكان إذا دخل بيته ورأى بناته ساكتات قال لهن مالكن كالتماثيل. فإذا ضحكت البنات قال لها ان البنت المؤدبة لا تضحك وأنما تبتسم فقط .. وان الضحك من غير سبب قلة أدب!

ولم يوافق طوال حياته على الأختلاط وكان يشجع تعليم المرأة. وعندما حصلت بناته على شهادة الثانوية العامة رفض ان يدخلهن الجامعة حتى لا يختلطان مع الصبيان. وقد بذل جهدا كبيرا حتى تم أنشاء كلية البنات بالاتفاق مع الدكتور منصور فهمى الذى كان ضد أختلاط الجنسين!

وحدث أن أرادت زوجة توفيق دياب ان تبيع أرضيها لشركة أجنبية وجاء مندوب الشركة الأجنبية لتوقيع العقد. ولم تقابله زوجة توفيق دياب. بل جلست فى غرفة أخرى وعند لحظة التوقيع دخلت الغرفة ووقعت بامضائها وخرجت على الفور. وقال لها توفيق دياب بعد ان أنصرف المندوب الأجنبى ان هذا رجل أجنبى وكان يجب ان تجلسى معه فى وجودى. وفى المرة الثانية جاء المندوب الأجنبى لتوقيع العقد النهائى. ودخلت زوجة توفيق دياب إلى الحجرة وصافحت الأجنبى ثم وقعت بامضائها وجلست وأشعلت سيجارة. وبقى توفيق باشا صامتا فلم ينطق بكلمة واحدة. وكانت زوجته تشعر انه يغلى لأنها سمعت كلامه وأطاعته.

ثم يصف مصطفي أمين توفيق دياب صحفيا وبرلمانيا فيقول:

وفى سنة ١٩٣٦ تولى النحاس باشا الحكم بعد ان حرم حزب الوفد من الحكم أكثر من ست سنوات. وأعتقد أصدقاء توفيق دياب ان متاعبه قد أنتهت لا مصادرات ولا تعطيل صحف ولا سجون ولا فقر ولا أفلاس ولا خلاف مع الحكومة فهذه هى حكومة حارب من أجلها وكافح سنوات طويلة مطالبا بعودة الدستور.

وقدرت الحكومة موقفه وأنتخب عضوا فى مجلس النواب، ثم

عرضت عليه الحكومة ان يستقيل من البرلمان وينعم عليه مجلس الوصاية برتبة الباشوية لان الدستور يمنع الأنعام على النواب برتب ونياشين.. وبعد ذلك بفترة يعود إلى البرلمان.

ورفض توفيق دياب ان يستقيل من البرلمان ليصبح توفيق باشا دياب وأصر ان يبقى افنديا كما هو وبفضل توزيع الجهاد الضخم أصبح توفيق دياب أغنى صحفى وحدث ان حكمت المحكمة بتعيين النحاس باشا رئيس الوزراء ناظرا لوقف البدراوى باشا.

وغضب توفيق دياب ان يقبل رئيس الوزراء نظارة وقف إلى جانب منصبه الكبير وكتب مقالا بعنوان «ان للسمعة الغالية ان تصان» وقال ان حبه للنحاس يجعله يغار عليه من شبهة الخطأ وانه يجب ان يرفض زعيم الأمة نظارة الوقف. وكانت هذه أول مرة يجرؤ صحفى وفدى على مهاجمة زعيم الأمة. وهوجم توفيق دياب بعنف وقررت لجان الوفد مقاطعة جريدة الجهاد.. ولكنه بقى متمسكا برأيه! وأعلنت الحكومة عليه الحرب وأعلن الحزب عليه الحرب وأنهار توزيع جريدة الجهاد.

وتكاثرت عليه الديون..

وحاربته الحكومة بمنع الأعلانات عن جريدته.

وصدرت جريدة «المصرى» تنافسه واضطر توفيق دياب ان يجعل الجهاد جريدة مسائية بدلا من صدورها فى الصباح.

ومع ذلك أستمرت الجهاد تتلقى الضربات. واضطر توفيق دياب ان يترك بيته وان يترك أدارة جريدته. وان يبيع سيارته وان يبيع

مطابعه التى كانت أحدث مطابع فى مصر.. وهكذا أفلس أغنى صحفي فى مصر.

وفقد كل شيء إلا قطعة أرض بور..

ولم يفقد شجاعته وإيمانه وجرأته.

هذه قصة كاتب من أعظم كتاب مصر..

وتسلم ابنه الوحيد قطعة الأرض البور وأقام فيها وقطع كل صلة له بالدنيا لا أجازة ولا عطلة ولا شباب ولا راحة، بل عمل متواصل بالنهار والليل وأستطاع الشاب خريج كلية الزراعة ان يحول الأرض الجرداء إلى حدائق غناء بعد ان كانت ترابا مقفرا أصبحت تنتج الذهب. أصبح يصدر فى أوروبا التفاح والخوخ والفراولة.. وإذا بالفاكهة المصرية تغزو أوربا لأول مرة وتراها فى محلات هارودوز فى انجلترا فى الواجهة الزجاجية ملفوفة بالورق السلوفان والورق المفضض والمذهب كأنه مجوهرات!

وأستطاعت الأرض الجرداء ان تعوض على أبن توفيق دياب وبناته وأحفاده الثروة الكبيرة التى فقدها الأب فى الصحافة دفاعا عن رأيه..

وأصبح الأبن والبنات الثلاث شركاء فى الأرض الزراعية.. ولم يحدث مرة واحدة ان سألت أخت أختها عن حسابها. وأنشأ الأبن مشروعات أخرى كبيرة وأدخل أخواته شركاء بغير ان تطلب واحدة منهن ان تشترك فى أى مشروع.

وكانت هذه الرابطة الأسرية القوية هى الكنز الذى تركه توفيق دياب لأولاده..

وكان فى الكنز ذهب ..

أما عباس حافظ رئيس تحرير جريدة الوادى فيصف توفيق دياب كما عرفه وموقف الصحافة فى محنته فيقول :

« بدأ زميلنا دياب حياته العملية خطيبا من طراز جديد فإذا هو من هذه الناحية البارزة فيه يطوى جوانحه على قوة كامنة ومواهب مدخرة مستكنة .. قوة الخطيب المطبوع المفصل المجهر فى مصنع الطبيعة لا يحتاج إلى شيء سوى الظروف والمناسبات المطاوعة ليبرز تلك القوة من مكمنها ويخرج تلك المواهب النادرة من مستودعها فى أعماقه فإذا هو غازى الفكر بجنود خواطره وكاشف الأمطار السحيقة والأفاق النائية .

زميلنا توفيق دياب خطيبا بليغا يصور للسامعين ما حدث أو ما ينبغى ان يحدث بتلك الدقة التى يحسبون من شدة تأثيرها أنهم كانوا للحادث شهوده .

عرفته يومئذ يجمع للخطابة الجليلة السلطان كل موجباتها ويضيف إلى موجباتها براعة أبرازها وحسن تأديتها .. صفاء الذهن وحدة الخاطر ورقة المشاعر وقوة الذاكرة وحضور الحافظة وبلاغة التعبير وجلال البيان ودمغة المنطق .. وأخيرا موهبة التصور والخيال وحرارة الدم وحماسة الوجدان » .

ثم يضيف عباس حافظ الصفة الغالية لتوفيق دياب وهى من وجهة نظره « الارادة القوية » فيقول :

« الارادة القوية التى تتوافر فى « الشخصية » البارزة وهى أوج الخلق وأقصى حدود الرجولة والطابع الذى تختم به الطبيعة على خلائق

النوابغ النادرين » .

« عرفت الأستاذ دياب من ذلك الحين فى خاصة نفسه وخصاله وزعامته صامتا لا يكذب ، كريما لا يضمن ، بدويا ، حاضر السماحة ، عربيا أخا نديا ، صاحب نزاهة مستقيما لا يبغى عوجا ، مفراحا على الحالات جميعها ، مشرق الديباجة مبتهجا ، زين المجالس إذا تحدث ملبيا داعى المروة والواجب إذا أشتد ، ذاهبا أبدا فى مقدمة النوابغ البارزين » .

أما عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فيؤكد على ان « التحدى » هو أبرز صفات توفيق دياب فى كلمة الأستقبال التى ألقاها بمناسبة أستقباله عضوا بمجمع الخالدين فيقول :

« وقد أختارك زملاؤك لتكون عضوا معهم فى هذا التجمع وثق بأنهم لم يختاروك عن عبث ولا عن مجرد الحب لك والرغبة فى زمالتك وأنما أختاروك لأنهم يقدرونك » . حقا لست من العلماء الذين يملاءون الدنيا بكتبهم ويحصون مجلداتهم لعشرات فلا أكاد أعرف لك إلا شيئا قليلا من المجلدات وأحسب كتابا واحدا ولكنك ملاءت الدنيا ثقافة فى حياتك هذه المغامرة الحفية ملاءتها ثقافة بمحاضراتك أيام الشباب وملاءتها ثقافة بخصومتك السياسية التى أتصلت أعواما وملاءتها ثقافة بلمحاتك التى كنت تمس بها الحياة الأجتماعية وتحس بها حياة الناس اليومية .

. وأؤكد لك ان هذا التحدى من تثقيف الشباب فى غير نظام وحتى أحببت النظام ربما كان أخصب وأجدى وأبقى فى القلوب من الدروس التى تلقى على الشباب فى داخل المدارس الجامعات .

« أختارك زملاؤك لتشارك فى أحياء اللغة والمحافظة عليها وأختاروك بنوع خاص لتكون قدوة واسوة للشباب فى العمل ما أستطاع الإنسان ان يعمل » .

ثم يصف زكى المهندس زميله وصديقه فى المجمع توفيق دياب من خلال الكلمة التى ألقاها بمناسبة تأبينه : —

« كان قلمه فى الكتابة كلسانه فى الخطابة ، أسلوب عربى مبين وعبارات سليمة ، مقتبسات تدل على ذوق أدبى رفيع ، وتدل كذلك على أحاطة تامة بالأدب العربى قديمه وحديثه .. وكان أكثر ما يعجبنى فى الفقيد حسن أختياره لعناوين مقالاته .. كان العنوان موجزا أنيقا معبرا .. أذكر ان وزير الداخلية أصدر يوما أمرا بمنع النحاس باشا من غشيان المساجد يوم الجمعة حفاظا للأمن العام ، فظهرت الجهاد فى اليوم التالى وفى صدرها عنوان بالخط الأحمر يقتبس فيه قول الله تعالى فى سورة العلق :

« أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى ، أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى » .. وبعد شرطتين كبيرتين أقتبس قوله تعالى : **« كلا لا تطعمه وأسجد وأقترب »** .

ولقد كان توفيق دياب هو أول صحفى ان لم يكن الصحفى الوحيد الذى أختير بالأجماع عضوا فى مجمع الخالدين .. مجمع اللغة العربية ولقد كان عضوا مجمعيا بارزا نشيطا ولقد أشاد به المجمعى الكبير الراحل زكى المهندس بقوله :

لقد قضى توفيق دياب بيننا أكثر من أربعة عشر عاما كان فيها مثالا للأخلاص والوفاء لأصدقائه وزملائه ، فما أذكر أنى رأيته يوما

غاضبا على أحد، أو ساخطا على أحد ولكنه كان محبا للجميع محبوبا من الجميع.. وكان ــ طيب الله ثراه ــ طيب القلب نقى السريرة، كل ما فى قلبه على لسانه، لا يعرف المداورة ولا النفاق، وكان شديد التواضع إلى أبعد حد.. سألته يوما وهو جالس بجانبى فى مجلس المجمع ومعركة الجدل على أشد ما تكون حول مسألة علمية: «لم لا تشارك يا توفيق فى النقاش»؟ فأجابنى بقوله «أننى أجىء لا تعلم لا لأناقش».

أما الشاعر الكبير عزيز أباظة فيصف توفيق دياب رجل الثقافة والعلم والفكر فيقول:

«كان هو رجل ثقافة وعلم وفكر من أدقهم نظرا وأعمهم غوصا وأوقعهم على الغرر.. عرض لمجاميع من أمهات كتبها العربية والإنجليزية ثم مترجمات اللغات الأخر، فقتلها أختيارا وأختيارا وأستظهارا وكان وهو رجل أدب علما من أعلام الأدب، عب تراثه وذخائره، وأسنى الله حظه من روائعه.. كتب وصنف فكان شريف الأسلوب، جزل السياقة، عامر المضامين، عالما أبلغ العلم بموالج فنه ومخارجه مهديا فيها جميعا إلى المحاج الواضحة الوثيقة.. وهو قبل ذلك كله معنى بجمال الجرس كأنما يخطب وهو يكتب، ومعنى كذلك بان يوائم بين الكلمة تقع بين الكلمتين والفقرة تنساب بين الفقرتين، حتى تجمع بين أطراف الأسلوب كله وشائج قارة مطمئنة تحكم أسره، وتضفى الأستواء بين مقاطيعه»..

ثم يرسم السياسى الكبير مكرم عبيد لوحة متكاملة لتوفيق دياب من خلال الصفة الغالبة فيه وهى من:ــ

«لكن إنسان صفة روحية غالية تميز نفسه كما ان له من ملامح وجهه أو تكوين جسمه صفة جثمانية خاصة تميز يخصه، والصفة الغالبة فى توفيق دياب هى الحماسة.

الحماسة ذلك الشعاع الألهى الذى يلقيه الله فى نفوس بعض المتازين من بنى الإنسان هى فى الواقع الأصل فى كل نجاح فى كل أبتكار فى إيمان فى كل تضحية فى كل نعمة.

والعظيم من عرف ان يتعهد تلك البذرة الالهية بشىء من غرسه حتى يظل النور دائم الأشتعال فى شعوره وفى جميع نواحى نفسه والشعور كالنور لا يكتمل إذا لم يشتعل؟

قلت ان الحماسة هى الأصلية فى توفيق دياب والواقع ان كل مناحى تفكيره وأثاره جهده فى الحياة أنما هى من ثمار الحماسة التى أنطوت عليها نفسه وإلى القراء بعض مظاهر تلك الحماسة فى نواحى حياته من ناحية العاطفة نراه أخلص الناس مودة وأسمحهم عداوة.

ومن ناحية التفكير فحماسته الفكرية تتجلى فى قوة التفكير وأيضا فى أتساع وتشعب مناصبه.

ولانه يجمع بين حماسة الشعور وحماسة التفكير فما أسرع ما يفقد بما يهديه إلى فكر وما أسرعه إيمانا بما يعتقد ونضالا عما يؤمن وجهادا فيما يناضل وتضحية فى سبيل ما يقاتل؟

ومن الناحية الفنية فهو كالسيل المنهمر كاتبا كان أو خطيبا لا يقيده لفظ ولا يحده تعبير بل نراه يكاد يلهب الألفاظ من حماسته فيخيل إليك ان لالفاظه فصاحة ذاتية غير ما أستمدت من فصاحته تلك الحماسة حماسة الأعتقاد والإيمان.

ومن الناحية العملية فقد كان لحماسة توفيق دياب أثرها الحاسم في عمله الصحفى لأنه أقدم ـ وهو فقير لا يملك غير يقينه وأقدامه ـ على أصدار جريدة من أكبر وأشهر الجرائد فى مصر بل وفى الشرق العربى بأسره وقد أفلح فيا سعى وبارك فيما جنى..

بقيت الناحية السياسية فقد كان للحماسة هنا أيضا أثرها الفاضل فى نجاحه ولكن أكاد أرى بعض المتخذلقين من رجال السياسة أو أدعيائها يبتسمون تهكما من الجمع بين السياسة والحماسة فالحماسة لديهم أنما هى ضرب من ضروب الأنتشار النفسانى الذى يتنافى مع كل أتزان سياسى وفكرى ولذلك تسمعهم يقولون ان السياسة كل السياسة فى انتقاء الحماسة.. ولكنهم خاطئون فالسياسة الحقه ـ و.بخاصة السياسة الوطنية ـ لا قيام لها ولا نمو إلا بتوليد الحماسة وتنميتها والحماسة محك النصر فى السياسة كما فى الحرب فمن غلبت حماسته غلبت سياسته.

أما شيخ الصحفيين حافظ محمود فيرسم صورة تقريبية للكاتب الكبير توفيق دياب فيقول:

كانت أخر مرة رأيت فيها الصحفى الكبير توفيق دياب مساء يوم الخميس ٣١ مارس سنة ١٩٦٦ حينما كنا نحتفل فى دار نقابة الصحفيين بعيدها الفضى من خلال المهرجان الكبير الذى أقمناه على مدى أسبوع بمناسبة مرور قرن من الزمان على ظهور الصحافة الأهلية فى مصر.. وكان أستاذنا توفيق دياب مدعوا ـ ليس فقط لحضور هذا الحفل ـ بل ولكن أقدم له ميدالية النقابة الذهبية بوصفة انذاك شيخ الصحفيين.. وحينما نودى أسمه ليتسلم هذه الميدالية لاحظت أنه يحاول

مغادرة مقعده بصعوبة فهرعت إليه وقدمت له هذا الرمز التذكارى الذى تقبله مسروراً.. كنت أنا الذى لم أكن مسروراً!.. ذلك أننى أخذت أقارن فى مخيلتى بين هذا الشيخ العظيم الذى جلس صامت وبين توفيق دياب الذى كاد يصعد درجات المنابر وثبا يخطب أو يحاضر بصوته الجمهورى دون مكبرات للصوت فيسمع المئات أو الآلوف وليس يسمعهم فقط بل كان يبهرهم بركاته الألقائية التى صارت بين العشرينات والثلاثينات مظهراً من مظاهر الأسلوب الخطابى عند جميع شباب الخطابة.

ومع أننى شهدت طرفا من صحافة توفيق دياب فأننى لم أستطع ان أتصوره إلا خطيبا لما كان يملأ به ساحات الخطابة من فنون الألقاء.

أذكر انه كان سيحاضر فى سلسلة محاضرات عن أصلاح المسار التعليمى فى مؤتمر يحضره الوزراء والعلماء والأدباء والصحفيون وحضر الجميع ولأول مرة تأخر وصول المحاضر «توفيق دياب» دقيقتين فإذا بى المحة قادما من الخارج وقد بدأ حديثه وهو يرتضى درجات المنصة بشكل رائع لفت كل الأنظار حتى أننى مازلت أحفظ العبارة التى بدأ بها هذه المحاضرة وهى يقول جون ستيورات مل «ثم أندفع يشرح نظرية هذا الفقيه التربوى فى التربية».

ويصف الكاتب الكبير والمناضل السياسى عبدالمغنى سعيد صفة نادرة فى شخصية توفيق دياب رئيس التحرير وهى حماية محررى الجريدة وعدم الكشف عن المصدر ــ وهى صفة قلما توجد الآن فى رؤساء تحرير الصحف والمجلات ــ إذ تعرض توفيق دباب للحبس تحت التحقيق بسبب مقالة كتبها الأستاذ عبدالمغنى سعيد ووقعها بالأحرف

الأولى واعتبرتها النيابة العامة طعناً فى الذات الملكية فلم يكشف توفيق دياب عن اسم عبدالمغنى سعيد وتعرض بشخصه للحبس تحت التحقيق .

ويقول الأستاذ عبد المغنى سعيد :

« اتخذت الموقف السليم وهو الوقوف إلى جانب الوفد فى المعركة ضد القصر والرجعية . ولم أكن سلبياً أو عاطفياً فى هذا الموقف بل بادرت إلى العمل والتنفيذ ، وأسهمت بقلمى فى كشف حقيقة الانقلاب الرجعى بسلسلة مقالات نشرت بامضاء « ع . س » فى جريدة « الجهاد » لصاحبها المرحوم الأستاذ توفيق دياب . وأذكر من هذه المقالات بوجه خاص « الرجل الذى وراء الستار » وكان المقصود به هو على ماهر بالطبع . وقد وصفته بالرجل المقنع دون ذكر اسمه قط . وكان ذلك المقال أقرب إلى التحليل النفسى السياسى ، وقد جاء فيه : « حقاً أنها لذة دونها كل لذة أن يلهو فرد بمستقبل أمة ويتحكم فرد فى حياة الملايين من عباد الله ، وإذا كان الناس يبغضون شهوة الحكم لأنها قبيحة فهناك شهوة أقبح منها وأخطر ، ونعنى شهوة الوقوف وراء الستار . فقد يجد البعض لذة عظيمة فى أن يحبك المؤامرات والدسائس فى الظلام ، يحرك هذا ويختفى وراء ذلك ، ويقلب السماء أرضاً والأرض سماء . وهو فى جحره المظلم المتواضع يشاهد روما وهى تحترق ويبتسم ابتسامته الصفراء ! وقد يظن البعض أن هذه عبقرية ، وأن هذه بطولة ، وأن هذا دهاء . ولكن كم يخيب ظنه إذا علم أن الاختفاء وراء الستار غريزة من غرائز الطفل كغريزة حب الاستطلاع ، تخلق فيه قوية ثم تقل كلما مرت به الأعوام . فهذا

طفل يقذف أحد المارة بحجر ثم يختفى وراء الأبواب. وذاك آخر يضع الحجارة بين قضبان الترام ثم يتوارى عن الأنظار. وإذا تم نمو الطفل وأصبح رجلاً تخلص من هذه الغريزة اللهم إلا فى أحوال شاذة هى أقرب ماتكون إلى المرض منها إلى النبوغ والدهاء! ولعل القراء يذكرون قصة ذلك الرجل الذى كان ينسف القطارات ليتمتع بمشاهدة الفاجعة الأليمة وليرى عن كثب مصرع الأبرياء!.

«ويالسوء حظ أمة يوجد فيها مثل هذا الشخص. ويالبؤس أمة يتولى أحد مناصبها الخطيرة رجل من هذا الطراز. فكم عانت الشعوب وكم عانى الحكام من وجود أمثاله فى مختلف العهود والبلاد، ولقد جاء القدر على مصر التعسة برجل مقنع يأخذ مكانه دائماً وراء الستار. وهذا الرجل اشترك فى جميع الانقلابات الرجعية، وان كان قد ارتدى فى نهاية كل منها ثوب القديس الطاهر البرىء مما كان! وهذا الرجل المقنع اشترك فى تحضير الخطب التى القاها المعارضون للمعاهدة فى البرلمان، ولكنه لم يصارح الناس برأيه فيها وأسرع إلى الخروج من مجلس الشيوخ قبل أخذ الأصوات، وهذا الرجل المقنع يقال أيضاً أنه كان وراء سلسلة الأباطيل التى سموها فضيحة كهربة خزان أسوان!... وهذا الرجل أيضاً هو الذى يحرك أخاه الصغير من وراء الستار.. وهذا الرجل كان له نصيب الأسد فى إحداث هذا الانقلاب، وهو الذى أثار الأزمة الدستورية، وهو الذى كتب يوماً بدون امضاء يدعى أن مصطفى النحاس يريد أن يغتصب حقوق العرش ويجمع فى يده كل السلطات. وأعوان هذا الرجل هم أيضاً الذين يقولون بأن عودة النحاس إلى الحكم مستحيلة لأن فى هذه العودة احراجاً لجلالة الملك، وينسون أو يتناسون أن النحاس أقيل فى

عهد الملك فؤاد ، وعاد إلى الحكم أيضاً فى عهد الملك فؤاد !.

« نعم هناك احراج أيها الرجل المقنع . وهذا الاحراج لشخصك أنت ، لأنك لم تكن فى منصبك الخطير أميناً وبعيداً عن الحزبية ، ولأنك أشرت على مولاك بان الأمة قد تخلت عن النحاس .. » وتساءلت فى ختام المقال « ماذا يكون الموقف إذا ما أجريت انتخابات واختار الشعب فيها مصطفى النحاس ؟ وهل يمكنه منعه من تأليف الوزارة كزعيم للأغلبية وطبقاً لأحكام الدستور ؟! » .

تلك بعض فقرات من مقال « الرجل الذى وراء الستار » ، الذى نشر فى عدد ٢ فبراير ١٩٣٨ من جريدة الجهاد ... واعتبرته النيابة العمومية يومئذ طعناً فى الذات الملكية ، وحبس تحت التحقيق بسبب ذلك المقال الأستاذ توفيق دياب بوصفه رئيس التحرير. ولم أتعرض يومئذ للحبس لأنه رفض الكشف عن اسمى الكامل . وكنت أوقع يومئذ بامضاء (ع . س) . وكان هذا موقفاً نبيلاً من الأستاذ توفيق دياب ، الذى قدر ظروفى كطالب بكالوريوس التجارة والاقتصاد ، ولم يشأ أن يهدد مستقبلى وأنا علىٰ وشك التخرج ! ولعلها كانت مجازفة خطيرة أن استمر فى الكتابة على الرغم مما حدث .. وحتى إذا لم ينكشف أمرى ، ولم أتعرض لسوء فإن الكتابة السياسية لابد أن تشغلنى عن الدراسة ، أو تؤثر فى ترتيب النجاح ! ولكننى فى حقيقة الأمر لم أكن لأعبأ بالترتيب ، لأنى كنت أفكر جدياً فى احتراف الصحافة .. وقد عرض على أمر هذا الاحتراف وأنا طالب .. والكتابة هى هوايتى ، فلماذا اهتم بالترتيب شأن طلاب الوظائف والبعثات ؟ .

هكذا واصلت الكتابة مضحياً بالكثير من وقت الاستذكار. وكان المقال الثانى تحليلاً لشخصية فضيلة الأستاذ مصطفى المراغى شيخ الأزهر، الذى بارك الانقلاب الرجعى، وعرف بصلاته القوية بالسراى! وكان عنوان ذلك المقال «رجل الدنيا والدين». وقد أغضب المقال الشيخ المراغى ورجال الأزهر، لأنى اتهمت فضيلته بتجاوز حدود وظيفته الدينية، وتدخله فى السياسة، مبرزاً التناقض بين موقفه غير الديمقراطى إلى جانب الملك والرجعية وبين المبادىء الديمقراطية للإسلام. وقد جاء فى هذا المقال المنشور بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٣٨ «ويل للأزهريين من خبز الأزهر!» كلمة مأثورة خالدة قالها عميد الأدب فى مصر فأغضب أخواننا الأزهريين وأقامتهم وأقعدتهم، وأخذوا يلقنونها لكل أزهرى جديد ينتسب إلى معهدهم العتيد، ويهمسون فى أذنه ليل نهار أن كل ذى عاهة جبار، حتى يقتنع أن هذا الرجل عدو الأزهر والأزهريين، وخارج على الله والدين! وعلم الله أن الرجل وقد تخرج فى هذا المعهد العظيم، أشفق على تلاميذه مما فيه فقال «ويل للأزهريين من خبز الأزهر، فإن فيه ضروباً من القش وصنوفاً من الحشرات!» وإذا كان الدكتور طه حسين قد أشفق على إخواننا الأزهريين من هذا الخبز، فنحن والله أعلم نشفق عليهم من خبز من نوع آخر، شديد التأثير على العقول لا على البطون لأنه يختلف عن ذلك الخبز الذى نأكله أنا وأنت وسائر عباد الله الصالحين! هذا الخبز يطهيه رجل يجيد الطهى، هو خطيب فصيح يجيد الغمز والتلميح، وسياسى مقنع يسخر العظات الدينية للأغراض السياسية، ويبشر بزوال عهد طالح ومجىء عهد صالح! وهذا الرجل وقد جمع بين الدين والدنيا، ونبغ فى السياسة العليا، تحدث عنه أحد كتاب المرأة فى

« السياسة الأسوعية » فقال أنه سياسي كبير، وأنه لعب دوراً هاماً في إحداث الإنقلاب الأخير لايقل عن الدور الذي لعبه الرجل الذي وراء الستار! وإذا كان في الوقوف وراء الستار ما يعيب رجل الدنيا، فماذا يكون حكم الله وماذا يكون حكم الدين، وماذا يكون حكم الناس، وما يكون حكم التاريخ على رجل الدين الذي يقف وراء الستار ويمزج الدين بالسياسة والسياسة بالدين؟! وأما عن حكم الدين فنحن نعتقد أن هذا الرجل حاد عن مبادىء الدين، لا لأنه قد تعدى حدود سلطته الدينية، ولا لأنه وقف وراء الستار كما وقف رجل الدنيا، ولكن لأسباب أخرى قوية تتعلق بجوهر الإسلام ومبادىء الإسلام.. فالإسلام دين الشورى والديموقراطية، وهذا الرجل والله أعلم تحالف مع معاول الاستبداد والرجعية! وبالإسلام مسحة من الاشتراكية، وهذا الرجل والله أعلم يتحالف مع معاول الرأسمالية الذين لا ينظرون بعين الإرتياح إلى إنصاف العامل والفلاح، ويعوقون فرض الضرائب المباشرة التي تحقق فكرة الزكاة، وتقرب الفجوة بين الأغنياء والفقراء. والإسلام دين المساواة والبساطة والزهد والتواضع، وهذا الرجل والله أعلم يركب السيارات، ويحظى بالأوقاف والمرتبات، ويتحالف مع أبناء البيوتات الذين ينظرون إلى العمال والفلاحين كمخلوقات دنيا! وأما عن حكم الناس، فرجل الدين والدنيا يتصفح الجرائد كما يتصفحها عباد الله الصالحون ولا بد أن نظره وقع على الأخبار التي تنشر كل يوم عن إتهام طالب أو تاجر بالهتاف بسقوطه في الطريق العام!» أما عن الأزهريين فلم يخل المقال من التنديد ببعض مواقفهم التاريخية المريبة قائلاً: «ان لكم يا معشر الأزهريين صفحات مجيدة في تاريخ الحركة القومية. فقد ثرتم يوم أحتل الفرنسيين

وادى النيل ، وهتم فى ثورة ١٩١٩ بدور هام وخطير. وبجانب هذه الصفحات المجيدة توجد صفحات سوداء ترجع دائماً إلى خبز الأزهر المسموم! فقد سخرتم يوماً للنيل من محمد عبده، وسعد زغلول وقاسم أمين وذهبت جموعكم يوماً بعد هزيمة عرابى إلى الخديوى توفيق تهتف بحياة سيد البلاد، وسقوط عرابى العاصى الزنديق! فماذا كانت نتيجة أعمالكم سوى أن أشتد سخط الناس عليكم، وأصبح محمد عبده وأحمد عرابى وسعد زغلول خالدين بالرغم منكم فى سجل التاريخ! وقد أثار ذلك المقال طلبة الأزهر بتحريض من شيخهم فتظاهروا منددين بالجريدة وبكاتب المقال. وفى مقال آخر كنت أكثر جرأة فهاجمت أسلوب إقالة الوزارات قائلاً بصريح اللفظ: «ما هكذا يقال الوزراء، لقد عادوا بنا إلى الوراء!» ونشرت مقالاً بعنوان «الفرسان الثلاثة» كشفت به حقيقة دور ماهر والنقراشى وإبراهيم عبدالهادى من الإنقلاب الرجعى وقبولهم الاشتراك فى الوزارة الإئتلافية. وقد عاتبنى الأخ شوكت التونى عتاباً رقيقاً عن هذا المقال، ظناً منه أنه يعرض جميع السعديين.. ولم أكن لأخفى إتجاهى الإشتراكى الواضح فى المقالات التالية. وبدا ذلك الإتجاه واضحاً على سبيل المثال فى استهلال مقال «خصوم غير شرفاء» ــ الجهاد عدد ٢٧ فبراير ١٩٣٧ ــ حيث قلت صراحة: «تحدثنا بالأمس عن تآمر الرجعيين

والارستقراطيين والرأسماليين على حكومة الشعب واليوم نعود إلى عرض الأساليب التى استخدمها هؤلاء الخصوم لتحقيق أغراضهم، ثم جاء مقال «سر الحملة على مشروع كهربة خزان أسوان» فكشف عن إتجاهى الاشتراكى أكثر فأكثر وكان هذا الموضوع مثار ضجة كبرى قبل إقالة وزارة الوفد، واستغل أعظم استغلال للتشكيك فى نزاهة

وأمانة المهندس الكبير عثمان محرم وزير الأشغال .

وكانت وزارة الوفد قد شرعت فعلاً فى تنفيذ مشروع كهربة خزان أسوان ، ورسا عطاء التنفيذ على شركة أجنبية لا أذكرها . وكاد العمل يبدأ فى كهربة الخزان ، لولا تلك الحملة التى قام بها العقاد وعبدالقادر حمزة فى جريدة البلاغ .. لقد قيل فيما قيل أن شركة أخرى المانية كانت على استعداد لتنفيذ المشروع بعطاء أقل . وكانت الحملة من القوة والعنف بحيث ضللت الكثيرين ، ولاأنكر أنى قد تأثرت بها إلى حد كبير . ولكن أتضح لى فيما بعد أنها قامت على المبالغة بالتضليل ، وأنها أضرت أكثر مما نفعت ! ولو صحت الوقائع التى بنيت عليها هذه الحملة لما ترددت الوزارة الجديدة فى تقديم عثمان محرم إلى المحاكمة ولبادرت بإعادة طرح المشروع فى مناقصة عالمية جديدة حتى لاتضيع الفرصة ، ويتأخر تنفيذ المشروع . ولكنها لم تفعل ، وتبخر الحماس للمشروع فجأة وكتب له أن يتأخر إلى ما بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ !

تردد مجموعة من الأسئلة يومئذ فى ذهنى ، ولم استطع أن أجد لها جواباً .. ولم ألبث أن علمت أن شركة المانية كبرى كانت هى التى وراء هذه الحملة . وان استاذاً فى كلية الهندسة يعمل لحساب هذه الشركة هو الذى كان يغذى جريدة البلاغ بالمعلومات وأخطر من هذا بدأت أشك أن العائلات الاقطاعية فى الصعيد التى تستند إليها أحزاب الأقلية لا ترتاح إلى سرعة تنفيذ المشروع ، لأن كهربة الصعيد وتصنيعه أمر يهدد كيان الإقطاع ! وقد أبديت هذه الشكوك فى مقال بعنوان « سر الحملة على مشروع خزان أسوان » مستبعداً صحة

التلاعب المزعوم فى عطاءات مشروع كهربة خزان أسوان ، حيث ثبت بعد إقالة الوزارة الوفدية عدم وجود أى دليل أو حتى أية قرينة لإثبات التلاعب! وتحديت خصوم الوفد قائلاً إنه لو كانت لديهم بالفعل مستندات تثبت التلاعب لكانوا قد نشروها وقدموا وزراء الوفد المسئولين إلى المحاكمة! واستبحت لنفسى أيضاً أن أتحدى عباس العقاد.. بل كان هجومى عليه لا يخلو من قسوة واستفزاز.. ومع هذا لم يكلف نفسه عناء الرد.. وكيف يتنازل العقاد العملاق للرد على كاتب ناشىء!.. ولا أدرى ما إذا كان العقاد قد اكتشف يومئذ إنى كاتب هذه المقالات ، وغالباً ما يكون قد عرفنى من أسلوبى ، كما فهمت منه ضمناً فيما بعد!

ومما جاء فى ذلك المقال : «هذا السر تجده يا عقاد عند محركيك من أبناء البيوتات وأصحاب العزب والضياع الذين يتمتعون أو كانوا يتمتعون بالنفوذ الإقليمى الذى يستغلونه فى السياسة للنجاح فى الانتخابات. فأنت تعلم أن وزارة نسيم أيقظت مشروع كهربة خزان أسوان من سباته العميق ، وجاءت وزارة النحاس فشرعت فى تنفيذه وعندئذ أحس أبناء البيوتات وأصحاب العزب والضياع أن هذا المشروع سيحول مصر إلى الناحية الصناعية ، وبذلك يفسح مجال العمل فى المصانع أمام الفلاحين ، ويقوى مركزهم إزاء أبناء البيوتات الذين يستنفدون قواهم ويعذبونهم فى مقابل دريهمات معدودات. كما يرفع مستواهم المادى والفكرى ، لأن الصناعة تؤدى دائماً إلى انتشار الرخاء! أدرك كل هذا أسيادك أيها العقاد الجبار الذى لا يشق له غبار! أدركوا أنهم لن يستطيعوا بعد ذلك أن يستغلوا الفلاح ويضطهدوه إذا نمت الصناعة المصرية وتقدمت ، لأنه فى هذه الحالة يتحرر من

نفوذهم الإقليمى ، ويشعر بأنه سيد نفسه لا خادم الغير ، ويهجر المزرعة إلى المصنع إذا أرادوا أن يضطهدوه ويستغلوه .. هذا هو سر الحملة على مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان ! وهذا السر يبدو خلال ثورة الوزراء الوفديين الذين خرجوا على الوفد عرقلوا المشروع ، كما يبدو خلال نزوة حلفائهم أبناء البيوتات من رجال أحزاب الأقليات » وفى مقال آخر تحدثت عن « الوفد والعمال » مبرزاً معارضة أحزاب الإقليات الرجعية فى بعض مشروعات قوانين العمل التى حاولت وزارة الوفد إصدارها ، مشيراً إلى إعتراض ممثلى هذه الأحزاب فى مجلس النواب على مشروع التعويض عن إصابات العمل .. » .

أما الكاتب الكبير عبدالرحمن الشرقاوى فيقول عن توفيق دياب .

« كنت حريصا منذ بداية تكوينى الثقافى على قراءة جريدة الجهاد التى كان يصدرها الكاتب الكبير محمد توفيق دياب وهو حقيقة من عمالقة الصحافة والخطابة .

لقد أنشأ توفيق دياب مدرسة فى الخطابة أستمرت حتى الآن وكان الرئيس جمال عبدالناصر يقلده فى خطبة كما ان السياسى الكبير أحمد حسين كان من تلمذته أيضا فى الخطابة » .

وبعد .. أنها صور تقريبية لأعماق توفيق دياب وصفاته وأحاسيسه ومشاعره ومعاركه فى عيون معاصرة .

«إن الموت لا يهدر الكرامة البشرية وإنما يهدرها أن ينال إنسان جسم إنسان بالسنة السياط ولو كان أحدهما ملكاً متوجاً وكان الآخر صعلوكاً يتسول وللجسم البشرى قداسة الروح فهو وعاؤها وقوامها والوعاء يشرف بما فيه».

«توفيق دياب»

الباب العاشر

فلسفة الموت فى فكر توفيق دياب !

رحيل صاحب الجهاد فى ذكرى الجهاد !

لاشك أن طبيعة الموت هى الكلية المطلقة فجميع البشر قانون «وكل نفس ذائقة الموت» ـ(العنكبوت / ٥٧) ـ لا محالة ولهذا قيل إن الموت يتبع مع الجميع سياسة ديمقراطية تقوم على المساواة المطلقة ـ إن صح التعبير ـ فلا يعرف التميز بين عباقرة وسوقة أو بين علماء وجهال أو بين شبان وشيوخ أو أخيار وأشرار لكنه رغم هذا الطابع الكلى المطلق يحمل طابع الشخصية الجزئية المطلقة لأن الموت فردى وشخصى وخاص فكل منا لابد أن يموت وحده ولابد أن يموت هو نفسه فلا يمكن لأحد أن يموت نيابة عن الآخر أو بدلاً منه.

ومن الطبيعة المتناقضة للموت أيضاً أنه يجمع بين «اليقين» و«عدم اليقين» فأنا أعرف بالضرورة أننى سأموت لكن لا أعرف مطلقاً متى سيكون ذلك أو كما قال بسكال بحق «إن كل ما أعرفه هو أنه لابد لى أن أموت عما قريب ولكن لا أجهل شيئاً قدر ما أجهل هذا الموت الذى ليس لى عليه يدان» فأنا على يقين من شىء واحد فحسب هو أنه «إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» أما متى يجىء الأجل فعلمه عند الله سبحانه وتعالى.

ومن طبيعة الموت أيضاً أنه «حد» أو نهاية غير أن هذه الطبيعة

نفسها تلقى بنا بالضرورة، إلى ما وراء هذا الحد، فقدر كبير من دراسة الموت طوال التاريخ كان يوجه فى الحقيقة لدراسة ما بعد الموت، وهذا هو السبب فى أن مشكلة الموت تحولت بعد ذلك إلى دراسة موضوع «الخلود».

يرتبط الموت فى كثير من التفسيرات الدينية بالحرية، فى الوقت الذى لا توجد فيه الحرية إلا إذا كانت هناك حياة ووجود، أعنى لا توجد الحرية إلا بعيداً عن الموت: فمن أين جاء هذا الارتباط بينهما؟ يقال أن الموت دخل العالم بسبب خطيئة آدم التى أدت إلى طرده من عالم الخلد فأصبح لأول مرة قابلاً للفناء والموت. ولما كانت الخطيئة الأولى تعبيراً عن ممارسة الإنسان لحريته لأول مرة فقد كان هناك ارتباط وثيق بين الموت والحرية.

ويرتبط الموت أيضاً «بالخلق من العدم»، ومن هنا كانت الحياة بسبب أنها مخلوقة، مرتبطة بالموت. وكان الوجود لأنه خلق من العدم يحوى فى جوفه ذلك العدم الذى خرج منه، ومن ثم فكل وجود يميل بطبعه إلى الفناء، وكل حياة يكمن الموت فى جوفها.

وترتبط مشكلة الموت، من حيث إدراكها، بالشخصية مع أن الموت هو أساساً قضاء على كل شخصية «فكلما كانت الشعوب أنضج وأقوى شخصية، كان الإنسان أقدر على إدراك الموت. ومن هنا نجد أن الإنسان البدائى والإنسان الساذج لا يمثل الموت عندهما مشكلة.

فإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر من صعوبة هذا الموضوع، وجدنا الإنسان بطبيعته «يخشى الموت» وينفر من دراسته لأنه موضوع كريه مزعج فقد تجد من الناس من يشكو مر الشكوى مما فى هذه الحياة

الدنيا من ألم ومعاناة وبؤس وشقاء. ولكنه رغم ذلك كله يتشبث بها بقوة حتى أنه يستعيذ بالله إذا طرقت أذنه كلمة الموت بل إن المحتضر نفسه، حتى وهو على فراش الموت يكره أن يسمع كلمة الموت وكما قال أحد المفكرين المعاصرين «ان ثمة شيئين لا يمكن أن يحدق فيهما المرء: الشمس والموت».

ولقد شغلت «فلسفة الموت» الكاتب الكبير محمد توفيق دياب وقد تصدى لها طارحاً جانباً بذلك عبارة بوسوية الشهيرة: «ان اهتمام الناس بدفن أفكارهم عن الموت قد لا يقل شأناً عن اهتمامهم بدفن موتاهم فخوف الناس من الموت هو الذى حدا بهم إلى تجاهل التفكير فى الموت أو العمل على تناسيه».

وقد تصدى دياب (لفلسفة الموت) فى مقالاته ومحاضراته وأقواله. ولقد تجلى ذلك واضحاً فى المحاضرة التى ألقاها فى يناير سنة ١٩٣١ وكان عنوانها: «بأى ميزان نزن الحياة» حيث يقول:

«ذلك السر الغامض، الذى يبدأ بالميلاد وينتهى بالوفاة، ذلك السر الغامض الذى نسميه الحياة، ونرى أنفسنا فى غماره متدافعين إلى الأمام أو متراجعين إلى الوراء.

ذلك البحر الخضم، الذى تلقينا بين أمواجه يوم نولد قوة خفية، حتى إذا سبحنا فيه شوطاً قصر أو طال، نزعتنا منه تلك القوة الخفية حين تحل الأجل.

هذه المعركة التى نساق إليها غير مختارين، ونفصل عنها غير مختارين، هذه الحياة ما هى، وما غايتها، ولماذا ولدنا ولماذا نموت؟

ليت أحداً يستطيع الجواب عن هذا السؤال فى كلمة أو كلمات.

إذن لاستراح الفلاسفة وأصحاب المذاهب المختلفة فى كنه الحياة فقديماً كان، وإلى اليوم مازال هذا السر الرهيب موضوع البحث الملح ومثار الجدل العنيف بين العلماء والمفكرين.

وليس عجباً أن يفكر الفلاسفة فى مرمى الحياة وإنما العجب ألا يفكر فى مرمى الحياة جميع الناس نولد أجنة وندرج أطفالاً وننشأ صبية ونراهق فتياناً ونستوى رجالاً ونبلغ الكهولة، وتدركنا الشيخوخة أن قدر لنا أن نعمر. ثم ماذا؟ ثم تجف الشجرة وتذوى الأزاهير ويتساقط الورق، وما هو إلا نفس أخير تلفظه فإذا نحن رفات وذلك دون أن نفكر يوماً لماذا ولدنا، ولماذا حيينا، ولماذا نموت ودون أن نفكر من أين جئنا وإلى أين نعود. وهل جئنا من عدم لنعود إلى عدم، أم جئنا من وجود لنعود إلى وجود؟

ويتضح من ذلك أن الفكر الفلسفى للموت عند توفيق دياب يقترب كثيراً أن لم يكن يطابق قول اسبنيوزا:

«إن آخر ما يفكر فيه الرجل الحر هو الموت: لأن حكمته ليست تأملاً للموت بل تأملاً للحياة».

وأبلغ دليل على ذلك هو قوله:

«إذا سألت بعض علماء المادة الذين يرون حياة الفرد مسبوقة بعدم منتهية إلى عدم، إذا سألتهم: لماذا يعيشون؟ قالوا: نعيش طوعاً لغريزتين: غريزة الحرص على بقائنا وغريزة الحرص على بقاء النوع.

أما حرصنا على بقاء أنفسنا فواضح حتى فى الطفل يتجنب السقوط من عل ويتجنب النار اللاذعة والحفرة العميقة.

وأما حرصنا على بقاء النوع فواضح فى الأم تسهر على ذراريها والأب يعول أبناؤه، حتى لو كانت الأم حيواناً أعجم.

ونحن نفهم هذا التعلل بقوة الغريزة من غير السادة العلماء.

فأما هم من أهل التفكير الذين من شأنهم أن يرجحوا حكم العقل على اندفاع الغرائز فقد كان الأولى بهم إذا لم يؤمنوا بالحياة الفرد أتصالاً وثيقاً بالخلود كان أولى بهم أن يدركوا أن هذه الأعوام القليلة التى ستسلمهم عما قريب إلى فناء لا وجود لهم بعده: هذه الأعوام لا تستحق منهم عناء البحث والتنقيب فى مظاهر كاذبة وزبارج باطلة، ولا تستحق منهم هذا العكوف على المعامل والألات والمنظار المبكر والمنظار المصغر، والتعليل والتحليل، والكدح بالليل والنهار للوصول إلى حقائق مهما تكن فى نظرهم جليلة فهى تافهة، مادامت هذه الحقائق الإنسانية والسادة العلماء فى طليعتها، كائنات تافهة، تظهر اليوم من ظلام العدم، لتنتهى فى الغد إلى ظلام العدم..

كان أولى بهم أن يقفوا مبشرين بالفناء، وأن يقولوا للناس: فيم الكدح وفيم العناء فى سبيل غاية مقفرة مظلمة ــ إلى العدم العاجل بيدك أنت أيتها الإنسانية مختارة طائعة فذلك أكرم وأروح للبال من أن يحل بك العدم غير طائعة ولا مختارة.

يقولون إن حياة الإنسانية شىء وحياة الفرد شىء آخر.

حياة الفرد إلى العدم. فأما حياة الإنسانية فإلى البقاء.

ولقد ربط توفيق دياب بين الموت والحرية فى «سجنه» فى قره ميدان حين توقع أن نطبق عليه عقوبة «الجلد» بعد مشادة بينه وبين مدير القسم الطبى بالسجن طبقاً للقواعد المطبقة فى السجون انذاك

فأطلق عبارته المأثورة:

«إن الموت لا يهدر الكرامة البشرية وإنما يهدرها أن ينال إنسان جسم إنسان بألسنة السياط ولو كان أحدهما ملكاً متوجاً وكان الآخر صعلوكاً يتسول وللجسم البشرى قداسة الروح فهو وعاؤها وقوامها والوعاء يشرف بما فيه».

وتتفق فلسفة الموت عند توفيق دياب مع فلسفة «أونامونو» فى «أن اكتشاف الموت هو الذى ينتقل بالشعوب والأفراد من مرحلة النضج العقلى أو البلوغ الروحى ويذهب إلى أن ما يسمى بالموقف «الصحى» تجاه الموت (وهو تجاهله) ليس إلا حالة هروبية غير صحية..

ويبرهن توفيق دياب على حقيقة ذلك بقوله:

إذا كانت كل هذه الحضارات وهذه العلوم وهذه الفنون وهذه الآداب التى تسمو إليها الأم جيلاً بعد جيل.

إذا كانت هذه الشرور كلها وهذه الخيرات كلها ليس وراءها إلا مطلب واحد ــ هو أن يعيش كل فرد من الناس خمسين أو ستين عاماً محدودة بحدين: عدم مطلق منذ الأزل وعدم مطلق إلى الأبد ما عدا هذه الأعوام الخمسين أو الستين.

إذا كان الأمر كذلك فما أحق الأحياء الذين يؤمنون بهذا العدم من قبل ومن بعد ثم يعيشون أن الانتحار أولى بهم وأجدر أما أنا فلو كنت منهم لأنتحرت.

إن هذه الأعوام الستين التى يعيشها المرء فى هذه الدنيا لا تساوى فى ذاتها عضة الفقر ولا ذلة الحاجة عاماً واحداً.

أنها فى ذاتها لاتساوى برحاء المرض الممض نصف عام. أنها فى ذاتها لاتساوى احتمال ظلم الظالمين. ولاجبروت المتجبرين.

إن المرء ليصادف فى هذه الأعوام الستين أو السبعين من ضروب الأذى مالا يحتمله إلا لشعور واحد، وهو أن الحياة سر قديم خالد ـ لا حياة الجماعة فحسب بل حياة كل فرد من أفرادها كبر أو صغر، جل فى نفوس الناس أو هان.

ولقد كانت أكبر مواجهة لتوفيق دياب أمام الموت كحقيقة حين احتضر بين ذراعيه ابنه صلاح فى صدر صباه فى ٢٣ يوليو عام ١٩٣٤ وكان موقفاً تختبر فيه النفس المؤمنة وقد ودعه فى عبارات وأنات حزينة هى تلقين أكثر منها رثاء وتفجعاً.

قال توفيق دياب لولده وهو بين أيدى الله سبحانه وتعالى:

أننى أنير إليك سبيلك إلى القوة العظيمة التى بعثتنا يوم المولد والتى تتوفانا يوم يحين الأجل. والإنسان قبس منها وشعاع من نورها. فرحيلك عن الدنيا رجعة إلى المعلم الأعظم. وهدأة فى رحابه الظليلة. وعود إلى صاحب «الوديعة».

ولقد تأثر توفيق دياب برحيل ابنه صلاح كثيراً لدرجة أنه بعد وفاته بأكثر من سبع سنوات سأل من مجلة آخر ساعة فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٤١: ماذا يطلب فى ليلة القدر؟

وكانت إجابته:

«أن يكون ولدى «صلاح» سعيداً فى آخرته سعادته فى دنياه وأن تكون ذكراه فى قلب والدته وأخوته مثار حنين وادع لامثار حزن أليم وأن يجعل أيامنا فى هذه الدنيا عامرة بالفكرة الصالحة والعواطف

الطيبة والعمل الكريم».

وكان توفيق دياب في سنواته الأخيرة.. يحس بنهاية الرحلة فى عالمنا وكان يهمس بذلك لأقرب المقربين إليه واصدقائه وكان يخلو إلى نفسه فى ساعة متأخرة من الليل.. يقرأ القرآن ويردد الأدعية إلى الله.

كان يستشعر الموت بلا خوف أو رهبة وكأنه كان يردد قول الشاعر الأسبانى الكبير (فديريكو جارسياً لوركا):

«أريدهم أن يدلونى أين يوجد ذلك الطريق الذى يفضى إلى هذا القائد الذى كبلته أغلال الموت».

وكان الكاتب الكبير مصطفى أمين قد عرض على استاذه الكاتب الكبير توفيق دياب أن يكون أحد رؤساء تحرير جريدة الأخبار فقبل ذلك ولكن بعد ثلاثة أيام اعتذر لظروفه الصحية.. وكان توفيق دياب يكتب عموداً أسبوعياً فى أخبار اليوم تحت عنوان «لحاتى» ولكن أعتذر عنه بعد ثلاثة أسابيع بخطاب أرسله فى ٩ ديسمبر ١٩٥٢ إلى الأخوين مصطفى أمين وعلى أمين وهذا نص الخطاب:

٩ ديسمبر ١٩٥٢..

عزيزى الأمينين على ومصطفى..

تحيات وبركات.. أما بعد فقد تغافلت عن ضعف صحتى خلال الأسابيع الثلاثة الماضية حرصاً منى على موالاة «لحاتى» فى أخبار اليوم نزولاً على رغبتكم التى تفضلتم بإبدائها مقدرين مشكورين.

ولكن حدث أثناء ذلك أن ساءت حالتى شيئاً فأنذرنى الأطباء بالخطر إذا استأنفت أى جهد أبذله عقلياً كان أو جثمانياً حتى

أستكمل من اسباب الراحة المطلقة، يرجون معه استعادة الطمأنينة والعافية من أجل ذلك اعتذر عن استئناف هذا الجهد الأسبوعى البسيط شاكراً لكم حسن ترحيبكم بدعوتى إليه مقدرين متشكورين إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً،،،

المخلص

محمد توفيق دياب

رجاء وإذا شئتما الإشارة إلى توقفى عن الكتابة لهذا السبب على صورة لاتزعج الأهل والأقارب فيزدحمون على بيتى ويتعبون أنفسهم ويتعبوننى فإنى أشكركم والرأى لكم،،

محمد توفيق دياب

وكان الكاتب الكبير توفيق دياب قد عانى من المرض فى السنوات الأخيرة وتابعت الصحف حالته الصحية فقد نشرت جريدة الأهرام فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٦٣:

(توفيق دياب يدخل فجأة مستشفى المبرة). وكتبت تحت هذا العنوان التالى تقول:

«على أثر نوبة صحية حادة مفاجئة دخل الصحفى الكبير توفيق دياب (٧٥ سنة) مستشفى المبرة بمصر القديمة.. اجتمع عدد من الأطباء: منصور فايز وأحمد ابراهيم ومحمد جعفر وعبدالعزيز الشريف وزكى الرملى ومحمد الخطاب. قضى يومين فى المستشفى وظهر أنه يعانى من ذبحة صدرية».

ثم نشرت جريدة الأهرام فى ٤ نوفمبر سنة ١٩٦٤ خبراً يقول:

«توفيق دياب صاحب جريدة «الجهاد» التى كانت فى الثلاثينيات حتى بداية الأربعينيات من هذا القرن يعانى هذه الأيام وعكة روماتيزم من أجلها يذهب أحياناً إلى حلوان ليستشفى».

ثم عادت الأهرام ونشرت فى ٢٦ مايو ١٩٦٥ :
«الصحفى الكبير توفيق دياب ٧٥ سنة طلب الإذن بالعلاج فى لندن من الوعكة الصحية التى ألمت به أخيراً».

ولقد نعت جريدة الأهرام على صدر صفحتها الأولى إلى مصر والعالم العربى والإسلامى وفاة الكاتب الكبير توفيق دياب فى ١٤ نوفبر ١٩٦٧. حيث كتبت تقول :

وفـــاة توفيق ديـــاب

توفى أمس الصحفى الكبير والخطيب المفوه محمد توفيق دياب عن ٧٩ عاماً ولقد لمع اسم توفيق دياب فى أواخر العشرينات وطوال الثلاثينيات واقترن اسمه بالجهاد الوطنى ومكافحة الطغيان الملكى والاستعمار البريطانى ولاسيا منذ تولى رئاسة تحرير جريدة «الجهاد» التى عطلت مرات عديدة بسبب ضراوة افتتاحياته فى الحملة على الانجليز وعلى الحكومات الدكتاتورية التى كانت تحكم مصر فى تلك الفترة استناداً إلى سلطة الملك.

وقد تعلم توفيق دياب الخطابة علماً فى أوربا ومارسها عملاً بعد عودته إلى مصر وكان فى عرف البعض أخطر خطباء مصر بين ١٩٣٠ و١٩٤٠ وقد اعتزل الحياة العامة منذ فترة طويلة مكتفياً بنشاطه فى المجمع اللغوى الذى كان عضواً فيه ولعل من آخر مقالاته مقالاً نشره فى جريدة «الأهرام» بعنوان «والأمة المصرية تغلى حفيظتها» فى ١٧

ديسمبر ١٩٥٥، مندداً باسرائيل وبمساندة أمريكا لها، كان رحمه الله في قمة حيويته شعلة إذا خطب ولهباً إذا كتب، وكانت سيرته صفحة من تاريخ البلاد وصراعاتها الحزبية».

ومن مفارقات الأيام أن تكون وفاة توفيق دياب يوم ١٣ نوفمبر في يوم الجهاد وهو اليوم الذى أطلق عليه المصريون اسم عيد الجهاد الوطنى. اليوم الذى ذهب فيه سعد زغلول عام ١٩١٨، بعد ٤٨ ساعة فقط من إنتصار بريطانيا على ألمانيا الراكعة على قدميها، وإعلان بريطانيا أقوى امبراطورية في العالم، وسيدة البحار، وصاحبة أعظم جيوش الدنيا ــ بعد ٤٨ ساعة فقط من هذا الانتصار المذهل العظيم دخل سعد زغلول قصر نائب الملك البريطانى في قصر الدوبارة وقال للانجليز أخرجوا من بلادنا.

وأصبح هذا اليوم الخالد عيداً قومياً يحتفل به الشعب المصرى على مدى السنين. لقد كانت وفاة صاحب الجهاد. في يوم الجهاد، لكنها لم تكن وفاة.. لم تكن نهاية.. لم تكن خاتمة المطاف بل كانت ميلاداً وبداية وبعثاً..

أليس توفيق دياب.. مسيرة جهاد لا تتوقف.. وشعلة نضال لا تنطفىء..

الباب الحادى عشر

ببليوجرافية

كتابات عن توفيق دياب

أولاً: أخبار ومعلومات فى الصحف والدوريات عن توفيق دياب:

١ــ اتهم بالتحريض على الثورة فى خطاب ألقاه فى اجتماع للوفد بمناسبة ١٣ يوليو ١٩٢٨ (العدد ٢١٥ ــ ٢٣ نوفمبر ١٩٢٨ ص ٢ من مجلة المصور).

٢ــ أصدر جريدة (اليوم) فى فبراير ١٩٣٠ (العدد ٧٨٣ ــ ١٠ فبراير سنة ١٩٣٠ ص ٣ من اللطائف المصوره).

٣ــ استدعته النيابة للتحقيق معه فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٣٠ على نشره فى جريدة «الضياء» التى يتولى رئاسة تحريرها من أن مصلحة البريد ابتكرت طريقة تفتح بواسطتها مظاريف الخطابات دون أن تترك أثراً يدل أصحاب الرسائل.. وقد عدت مصلحة البريد هذا المقال مضرابها. (العدد ٨٢٧ ــ ١٥ ديسمبر ١٩٣٠ ض ٧ مجلة اللطائف المصوره).

قضت محكمة النقض يوم ٢٨ فبراير ١٩٣٣ أعليه بالسجن ٣ شهور لطعنه فى مجلس النواب (العدد ٩٤٣ ــ ٦ مارس ١٩٣٣ ص ١ مجلة اللطائف المصوره).

٤ــ نشر خطابات مزورة فى جريدة الجهاد:

أ- اتهم بالاشتراك مع عزيز ميرهم المتهم بسرقة أوراق وتزوير أخرى لنشرة خطابات مزوره فى جريدة «الجهاد».
ب- صدر الحكم ببراءته فى ٥ يناير ١٩٣٢ (العدد ٨٨٣ ــ فى ١١ يناير ١٩٣٢ ص١ مجلة اللطائف المصورة).

٥ ــ اتهمته النيابة ١٩٣٢ بالقذف فى حق بعض الوزراء إذ نسب إليهم أنهم يملكون أسهم فى شركة تورينكروفت وأنهم يعملون بنفوذهم على مساعدتها واتهمته بالطعن فى أعضاء مجلس النواب بمناسبة مشروع جبل الأولياء (العدد ٩٠٣ ــ ٣٠ مايو ١٩٣٢ مجلة اللطائف المصورة).

٦ ــ حكم ببراءته فى قضية البرلمان فى يناير ١٩٣٣. (العدد ٩٣٥ ــ ٩ يناير ١٩٣٣) ص١ مجلة اللطائف المصورة).

٧ ــ معلومات عن معاملته فى السجن سنة ١٩٣٣ (العدد ٩٤٧ ــ ١٣ ابريل ١٩٣٣ ص ٢١، ٢٢ مجلة اللطائف المصورة).

٨ ــ كيف كان يعامل فى سجن قره ميدان ــ ١٩٣٣؟
(العدد ٩٤٨ ــ ١٠ ابريل ١٩٣٣ ص١٠ مجلة اللطائف المصورة).

٩ ــ توفى شقيقه السيد دياب مرسى فى ١٤ مارس ١٩٣٤ العدد ٩٩٨ ــ ٢٦ مارس ١٩٣٤ ص٤ مجلة اللطائف المصورة.

١٠- زار فلسطين فى يونيو ١٩٣٤ وقد استقبله عند زيارته لبلدة بيسان ٦٠٠ فارس عند مدخل البلده (العدد ١٠١٥ ــ ٢٣ يوليو ١٩٣٤ ــ ص١٤ مجلة اللطائف المصورة).

١١- رأيه فيما يجب أن تكون عليه معاملة الصحفيين فى السجن.

١٢- أن ماتظن أن بلداً متحضراً يسمح بأن يعامل رجال الرأى فيه

معاملة سائر المجرمين.

١٣- قضاء أيام السجن بعيداً عن بيئتهم المنزلية وأنديتهم الاجتماعية ـــ والسياسية.

١٤- يتصلون بصحفهم ويتلقون بريدهم هم ويلبسون ملابسهم العادية ويتناولون طعامهم من بيوتهم ولا ينامون على الحصر والأبراش ولا يرتدون ملابس السجن. (العدد ٢٧ ـــ ١٣ يناير ١٩٣٥ ص ٢٤ مجلة آخر ساعة).

١٥- كأن أحد أعضاء البعثة الاقتصادية المصرية التي نظمتها الجمعية الزراعية الملكية في السودان في يناير ١٩٣٥ (العدد ١٠٤٣ ـــ ٤ فبراير ١٩٣٥ ص ٤ مجلة اللطائف المصورة).

١٦- كان يدخن ٥ علب سجائر في اليوم سنة ١٩٣٥ (العدد ٤٧ ـــ ٢ يونيو سنة ١٩٣٥ ص ٣٢ مجلة آخر ساعة).

١٧- **معلومات عنه**

١) عاد من انجلترا سنة ١٩١٦ بعد أن حصل على على شهادة عالية في فن الألقاء.

٢) اشتغل بعد عودته مدرساً لفن الإلقاء في مدرسة وادى النيل الثانوية.

٣) كان يوسف وهبى طالباً بهذه المدرسة وقد طرده الاستاذ توفيق دياب بك في أول يوم دخل فيه فصله لأنه كان يشاغبه.

(العدد ٢١٢ ـــ ٢٤ يوليو ١٩٣٨ ص ٤٣ مجلة آخر ساعة).

١٨- ماذا يطلب في ليلة القدر سنة ١٩٤١؟

أن يكون ولدى «صلاح» سعيداً فى آخرته سعادته فى دنياه وأن تكون ذكراه فى قلب والدته وأخوته مثار حنين وأدع لامثار حزن أليم وأن يجعل أيامنا فى هذه الدنيا عامره بالفكر الصالحة والعواطف الطيبة والعمل الكريم. (العدد ٣٦٨ ــ ١٩ أكتوبر سنة ١٩٤١ ص ٩ آخر ساعة).

ــ تعيين دياب عضواً بمجمع اللغة العربية ــ الأهرام فى ٩ مارس ١٩٥٤.

١٩ـ من ذكريات السجن:

١) اختاروا لى ورشة الترزية فى السجن.

٢) كدت أن أجلد وأنا فى السجن.

٣) كنت مطرب السجن.

(العدد ٤٢١ ــ ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٢ مجلة آخر ساعة).

٢٠ـ درس الموسيقى ويحفظ أشهر الأوبرات العالمية.

(العدد ٦٥٨ ــ ٤ يونيه ١٩٤٧ ص ١٨ مجلة آخر ساعة).

٢١ـ استقال من تحرير «الأساس» فى ١٩٤٨.

(العدد ٦٩٤ ــ ١١ فبراير سنة ١٩٤٨ ص٦ مجلة آخر ساعة).

٢٢ـ توفيق دياب يدخل فجأة مستشفى المبره.

(جريدة الأهرام فى ٢٢ فبراير ١٩٦٣).

٢٣ـ توفيق دياب يعانى من وعكه روماتيزم.

(جريدة الأهرام فى ٤ نوفبر ١٩٦٤).

٢٤ـ توفيق دياب يطلب الإذن بالعلاج فى لندن

(الأهرام فى ٢٦ مايو ١٩٦٥).

٢٥- وفاة توفيق دياب .
(الأهرام في ١٤ نوفمبر ١٩٦٧) .
٢٦- وفاة صاحب الجهاد .
(الأخبار في ١٤ نوفمبر ١٩٦٧) .
٢٧- وفاة توفيق دياب .
(الجمهورية في ١٤ نوفمبر ١٩٦٧) .
٢٨- (أخطب خطباء عصره) الأهرام في ١٤ نوفمبر ١٩٧٧ .
٢٩- في ذكرى صاحب الجهاد (الأهرام في ١٤ نوفمبر ١٩٨٠) .

ثانياً: مقالات عن توفيق دياب في الصحف والمجلات:

١ ـ الاستاذ/ دياب سجين قره ميدان

* مقال لمكرم عبيد باشا

يحلل فيه شخصية دياب ويشيد بوطنيته وفصاحته وحماسته بمناسبة الحكم عليه بالسجن ٣شهور من محكمة النقض في ٢٨ فبراير ١٩٣٣ لطعنه في أعضاء مجلس النواب .
(العدد ٩٤٤ ــ١٣ مارس ١٩٣٣ ص٢ مجلة اللطائف المصورة) .

٢ ــ محمد توفيق دياب كما أعرفه وموقف الصحافة في محنته مقال لعباس حافظ يصفه فيه بمناسبة الحكم عليه بالسجن ٣شهور لطعنه في أعضاء مجلس النواب في ٢٨ فبراير ١٩٣٣ .
(العدد ٩٤٥ .ــ ٢٠ مارس ١٩٣٣) ص ٤ مجلة اللطائف ــ المصورة .

٣ ــ محمد توفيق دياب ــحافظ محمود ــ الجمهورية ــ ١٥ نوفمبر ١٩٦٧

٤ ـــ (توفيق دياب فقيد العروبة .. وخطيبها) ـــ عبد الحى أدب الأخبار فى ١٧ نوفمبر ١٩٦٧.
٥ ـــ توفيق دياب .. كانت آخر كلماته دعاء ـــ مأمون غريب آخر ساعة فى أول ديسمبر ١٩٦٧.
٦ ـــ توفيق دياب ـــ زكى دياب المحامى ـــ الأخبار فى ٢٥ ديسمبر ١٩٦٧.
٧ـــ العمالقة الستة أصحاب الأسلوب السياسى فى تاريخنا الصحفى المعاصر توفيق دياب ـــ حافظ محمود ـــ مجلة الهلال ص١٠٦ ـــ سبتمبر ١٩٧٣.
٨ـــ فى ذكرى الصحفى الخطيب ـــ صاحب الجهاد ـــ محمد دواره ـــ الجمهورية فى ٣ ديسمبر ١٩٨٠.
٩ ـــ هذا الرجل يجب أن تكرمه الصحافة فى عيدها ـــ الأهرام فى ٣ مارس سنة ١٩٨١.
١٠- توفيق دياب صحافة زمان ـــ عبد الله زلطه ـــ المساء فى أول يونيه سنة ١٩٨٢.
١١- (لم تزدنى المحنة إلا غيرة على مصر) مقالة سامى دياب (الأهرام فى ٢ يناير ١٩٨٦).
١ ـــ فكرة ـــ مصطفى أمين ـــ الأخبار فى ٤ مارس ١٩٨٧.

ثالثاً: فصول فى كتب عن توفيق دياب:

١ ـــ اللمحات ـــ محمد توفيق دياب ـــ القاهرة ١٩٤٧ (المقدمة بقلم أنطوان الجميل باشا).
٢ـــ المعارك فى الصحافة والسياسة والفكر (١٩١٩ ـــ ١٩٥٢) كتاب الجمهورية ـــ حافظ محمود ـــ المعارك الخطابية).

٣ــ لكل مقال أزمة ــ مصطفى أمين ــ من صفحة ١٥ إلى ٢٤ (آداب ــ السلوك فى مخاطبة الأمراء والملوك).

٤ ــ من عشرة لعشرين (مصطفى أمين من ص ٢٤٤ إلى ٢٤٥ ــ ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٩١، ٢٩٢).

٥ ــ صاحبة الجلالة فى الزنزانة: مصطفى أمين ــ ١٩، ٣٣، ٢٠٦، ٢٠٧.

رابعاً: رسائل جامعية غير منشورة عن توفيق دياب والجهاد:

١ ــ صحيفة «الجهاد» رسالة ماجستير مقدمة من د. ناهد أحمد فؤاد أبو العيون إلى كلية الإعلام ــ جامعة القاهرة سنة ١٩٧٨.

خامساً: كلمات ألقيت عن توفيق دياب:

١ ــ كلمة الدكتور طه حسين فى حفل استقبال توفيق دياب بمجمع اللغة العربية (ج ١٠ مجلة مجمع اللغة العربية ــ القاهرة).

٢ ــ كلمة الشاعر عزيز أباظة فى تأبين توفيق دياب (كتاب الجمعيون) ــ د. مهدى علام).

٣ ــ كلمة زكى المهندس فى تأبين توفيق دياب. (ج ١٠ مجلة مجمع اللغة العربية ــ القاهرة).

المراجع التفصيلية للجزءين الأول والثانى من «توفيق دياب.. ملحمة الصحافة الحزبية»

أولاً: الجزء الأول:

الباب الأول

الفصل الأول

سيرة حياة إنسان الحماسة والإرادة والصوفية أقانيمة الثلا ثة

١ ــ محمد توفيق دياب : اللمحات . سياسيات روحيات اجتماعيات خلقيات أدبيات دار التوزيع والطباعة والنشر القاهرة ١٩٤٧ .
٢ ــ كلمة الشاعر عزيز أباظة فى تأبين توفيق دياب (كتاب المجمعيون) مهدى علام .
٣ ــ رسائل خطية بعث بها توفيق دياب من لندن لأسرته فى القاهرة لأخيه حسن دياب بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩١٣ ورسالة أخرى لأخيه حسن وابن أخيه أحمد فى ٢٢ سبتمبر ١٩١٣ ورسالة ثالثة لأخيه حسن فى ١٧ فبراير سنة ١٩١٦ .
٤ ــ صحيفة الجهاد (شهر يونيو ١٩٣٥) .
٥ ــ اللطائف المصورة ــ١٣ مارس ١٩٣٣ (العدد ٩٤٤) صفحة ٢ الاستاذ توفيق دياب سجين قرة ميدان) بقلم السياسى الكبير مكرم عبيد .
٦ ــ اللطائف المصورة . محمد توفيق دياب كما أعرفه وموقف الصحافة فى محنته مقال لعباس حافظ فى ٢٠ مارس ١٩٣٣ العدد ٩٤٥ صفحة ٤ .
٧ ــ حافظ محمود : (محمد توفيق دياب) جريدة الجمهورية ١٥ نوفمبر ١٩٦٧ .

٨ــ حافظ محمود : المعارك فى الصحافة والسياسة والفكر (١٩١٩ ــ ١٩٥٢) كتاب الجمهورية (المعارك الخطابية).

٩ــ د. ناهد أبو العيون : صحيفته «الجهاد» رسالة ماجستير. «غير منشورة». كلية الإعلام ــ جامعة القاهرة ١٩٧٨.

١٠- عبد الحى أديب : (توفيق دياب فقيد العروبة.. وخطيبها) «جريدة الأخبار فى ١٧ نوفمبر ١٩٦٧».

١١- سامى دياب : (لم تزدنى المحنة إلا غيره على مصر) جريدة الأهرام فى ٢ يناير ١٩٨٦.

١٢- مقابلات شخصية مع الاستاذين : د. صلاح كامل وصلاح كامل. شهر مارس ١٩٨٧.

الفصل الثانى

(توفيق دياب صحفياً وكلماً إصدار صحيفة عطلها صدقى!)

١ ـ حافظ محمود: (محمد توفيق دياب) جريدة الجمهورية ١٥ نوفبر ١٩٦٧.

٢ ـ حافظ محمود: المعارك فى الصحافة والسياسة والفكر (١٩١٩ ـ ١٩٥٢) كتاب الجمهورية (المعارك الخطابية).

٣ ـ اللطائف المصورة: أصدر جريدة (اليوم) فى فبراير ١٩٣٠ (العدد ٧٨٣ ـ ١٠ فبراير سنة ١٩٣٠ صفحة ٣).

٤ ـ د. ناهد أبو العيون: رسالة ماجستير «الجهاد» عام ١٩٧٨ (نبذة عن صحيفتى اليوم والضياء).

٥ ـ مقابلة شخصية للكاتب الكبير مصطفى أمين فى مارس ١٩٨٧ (مسجلة).

٦ ـ اعداد من صحيفة السياسة.

٧ ـ د. محمد حسين هيكل: مذكرات فى السياسة المصرية الجزء الأول مكتبة النهضة المصرية القاهرة عام ١٩٥٩.

٨ ـ أنور الجندى: الصحافة السياسية فى مصر. مطبعة الرسالة.

الفصل الثالث
الجهاد وفدية حتى أطراف أصابعها !

١ ـ صحيفة (الجهاد): العدد الأول ١٧ سبتمبر ١٩٣١ والاعداد التالية له. مقالات توفيق دياب.

٢ ـ صحيفة (الجهاد): ٣٠ مايو ١٩٣٢. (اجتماع خطير للهيئة الوفدية أمس ـ ٢٢٣ من الشيوخ والنواب السابقين يعلنون أن مشروع جيل الأولياء سلاح قاتل فى يد الاستعمار ـ نص قرار الهيئة الوفدية).

٣ ـ صحيفة (الجهاد): إعداد شهر يناير ١٩٣٢.

٤ ـ صحيفة الجهاد/: ٩ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٤):

(أضخم اجتماع وطنى فى تاريخ مصر السياسى ـ المؤتمر الوطنى العام للوفد المصرى ـ وصف متصل للجلستين الرائعتين أمس ـ النص الكامل للخطبة التاريخية الخالدة التى ألقاها الرئيس الجليل فى افتتاح المؤتمر ـ اليوم المشهود أول يومى المؤتمر الوطنى العام للوفد المصرى ـ الجلسة الأولى ـ وصف الاجتماع ـ خطبة خالدة للرئيس الجليل ـ خطباء جلسة الصباح ـ روعة النظام ـ عظمة الاجتماع ـ لمندوب الجهاد الخاص..

ملحق الجهاد الخاص بأعمال المؤتمر الوطنى العام : الجهاد الأربعاء ٩ يناير سنة ١٩٣٥ (خطاب حضره صاحب الدولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا فى الموقف السياسى والدستورى .

٥ ــ صحيفة «الجهاد» : ١٠ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٥)
أعظم توفيق ونجاح يتجليان فى المؤتمر الوطنى العام ــ الخطبة التاريخية الفياضة التى أبدعها المجاهد الكبير الأستاذ مكرم ــ باقى التقارير لجان المؤتمر كاملة ــ القرارات الهامة التى اتخذها المؤتمر بالإجماع ــ الكلمة الفريدة ــ سجل كامل لأعمال المؤتمر ــ الكلمة الختامية لدولة الرئيس الجليل ــ قرارات المؤتمر ــ اليوم الثانى للمؤتمر الوطنى العام لمندوب الجهاد الخاص .

٦ ــ صحيفة الجهاد : ١١ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٣) :
(الوفود الحاشدة فى بيت الأمة والنادى السعدى لتحية الزعيم الأمين وأم المصريين ــ عرفات الوطنية أو المؤتمر الوفدى بقلم الاستاذ العقاد ــ صفقات للوم باشا وشئون العمد والشياخات ــ مقابلات بشأن المشاكل الكبرى التى تعالجها الوزارة ــ تطور جديد فى الخلاف القائم بين إيطاليا والحبشة) .

٧ ــ صحيفة الجهاد : (٤ يناير ١٩٣٨) العدد (٢٢٣٢) .
(نهاية الدكتور ماهر ــ ثورته على حقوق مجلس النواب وثورة المجلس لحقوقه ــ مجلس الشيوخ يتمتع بحق التعليق على تأليف الوزارة ودستورية التأجيل ــ خلاف بين الوزارة هل تؤجل الانتخابات أو تجرى فى دورها الدستورى ــ الوفد يفصل الدكتور ماهر وقد طفح الكيل ــ يوم فذ فى تاريخ حياتنا البرلمانية

ـ مشاهدة خالدة فى مجلس النواب ـ كلمات خالدة فى مجلس الشيوخ بقلم محمد توفيق دياب .

٨ـ صحيفة الجهاد : ٤ يناير ١٩٣٨ ـ العدد (٢٢٣٢) .
مقالة نهاية بقلم الاستاذ محمد توفيق دياب .

٩ـ صحيفة الجهاد : ١٦ نوفبر ١٩٣٥ :
(وسائل القمع دار خاص الأرواح ـ المرسوم الشاغر لمصادرة الصحف وتعطيلها إدارياً (بقلم محمد توفيق دياب) .

١٠ـ صحيفة الجهاد : (١٨ نوفبر ١٩٣٥) العدد (١٥٠٣) (تشييع جنازة شهيد دار العلوم فى مشهد رهيب يتقدمه الرئيس الجليل مساء أمس ـ احتجاج الوفد المصرى على تصرفات الوزارة النسيمية وبقائها فى الحكم ـ تفاصيل المظاهرات فى القاهرة والاسكندرية والأقاليم ـ تعطيل الدراسة فى ثلاث مدارس للبنات بالقاهرة ومدرسة الزراعة بشبين الكوم ـ بناء مقبرة للشهداء بالإسكندرية) .

١١ـ صحيفة الجهاد : ١٩ نوفبر ١٩٣٥ العدد (١٥٠٤) نص احتجاج الوفد لدى عصبة الأمم ـ الرئيس الجليل وحرمه المصون يواسيان الجرحى فى مستشفى القصر العينى ـ صاحبة العصمة أم المصريين تستقبل جموع الآنسات المتعلمات فى بيت الأمة ـ صورة لمصطفى النحاس وحرمه والدكتور على ابراهيم عميد كلية الطب فى زيارة لعبد الحكيم الجارحى الذى أصيب برصاص البوليس) .

١٢ـ صحيفة الجهاد : (العدد ١٥٠٥) (أسبوع الشهداء ـ الأمة تشيع شهيدها السادس فى مشهد شعبى جامع رهيب ـ صور للجرحى

والجنازة ــ الرئيس الجليل وأعضاء الوفد على رأس المشيعين ــ اشتراك الجامعة فى وداع فقيدها).
(أسبوع الشهداء بقلم محمد توفيق دياب).

١٣- صحيفة الجهاد : ٢٣ نوفبر ١٩٣٥ .
(رسالة بخط يد شهيد الشباب السامى المغفور له محمد عبدالحكيم الجارحى إلى زملائه شباب مصر).

١٤- د . ناهد أبو العيون : صحيفة (الجهاد) ــ رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الإعلام ــ جامعة القاهرة ١٩٧٨ .

١٥- عبدالرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة العربية الجزء الأول والثانى مكتبة النهضة المصرية القاهرة عام ١٩٥٩ .

الفصل الرابع
(توفيق دياب خطيباً)

١ ــ أنور أحمد : خطباء صنعوا التاريخ ــ دار المعارف ١٩٧٦ .
٢ ــ محمد توفيق دياب : اللمحات ــ سياسات روحيات اجتماعيات ــ خلقيات أدبيات . دار التوزيع والطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٤٧ .
٣ ــ مجلة الهلال : إعداد عام ١٩٢٦ . « سعد زغلول والخطبة » بقلم محمد توفيق دياب .
٤ ــ مجلة آخر ساعة (العدد ٢١٢ ــ ٢٤ يوليو ١٩٣٨ صفحة ٤٣) (واقعة طرد توفيق دياب ليوسف وهبى من معهد الخطابه لمشاغباته) .
٥ ــ حافظ محمود : المعارك فى الصحافة والسياسة والفكر (١٩١٩ ــ ١٩٥٢) كتاب الجمهورية ١٩٦٩ .
٦ ــ حافظ محمود : مقابلة شخصية .
٧ ــ عباس محمود العقاد : سعد زغلول « سيرة وتحية ١٩٣٦ » .
٨ ــ جريدة الاهرام : أخطب خطباء عصره ــ ١٤ نوفمبر ١٩٧٧ .

الفصل الخامس
توفيق دياب برلمانياً

١ ــ السياسة الأسبوعية : إعداد عام ١٩٢٦.. مقالة «هل من مناجز؟! بقلم الأستاذ محمد توفيق دياب.
٢ ــ حافظ محمود : «محمد توفيق دياب» مقالة بقلم الاستاذ حافظ محمود جريدة الجمهورية ١٥ نوفبر ١٩٦٧.
٣ ــ حافظ محمود : العمالقة الستة أصحاب الأسلوب السياسى فى تاريخنا الصحفى المعاصر توفيق دياب ــ حافظ محمود مجلة الهلال صفحة ١٠٦ ــ سبتمبر ١٩٧٣.
٤ ــ محمد دواره : فى ذكرى الصحفى الخطيب ــ صاحب الجهاد ــ جريدة الجمهورية ٣ ديسمبر ١٩٨٠.
٥ ــ زكى دياب المحامى : توفيق دياب جريدة الأخبار فى ٢٥ ديسمبر ١٩٦٧.
٦ ــ سامى دياب : «لم تزدنى المحنة إلا غيرة على مصر» جريدة الأهرام فى ٢ يناير ١٩٨٦.
٧ ــ صحيفة الجهاد : ٢٦، ٢٧ ابريل ١٩٣٢.
٨ ــ صحيفة الجهاد : إعداد شهرى يناير وفبراير ١٩٣٣.
٩ ــ د. ناهد أبو العيون : صحيفة الجهاد.. رسالة ماجستير ١٩٧٨.
١٠ ــ مصطفى أمين : من عشرة لعشرين ــ المكتب المصرى الحديث.
١١ ــ د. كامل دياب : مقابلة شخصية.

الفصل السادس
توفيق دياب أديباً ومجمعياً

١ ــ د. مهدى علام: المجمعيون فى خمسين عاماً مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٨٦.
٢ ــ جريدة الأهرام (٩ مارس ١٩٥٤) ــ تعيين دياب عضواً بمجمع اللغة العربية.
٣ ــ مجلة مجمع اللغة العربية ــ القاهرة (الجزء العاشر) كلمة الدكتور طه حسين فى حفل استقبال توفيق دياب بمجمع اللغة العربية.
٤ ــ مجلة مجمع اللغة العربية ــ القاهرة (الجزء العاشر) كلمة الأستاذ زكى المهندس فى تأبين توفيق دياب.
٥ ــ كلمة الشاعر عزيز أباظة فى تأبين توفيق دياب (كتاب المجمعيون) د. مهدى علام.
٦ ــ (لغة المسرح) عنوان محاضرة ألقاها محمد توفيق دياب فى مؤتمر للمجمع اللغوى بدار الجمعية العربية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع فى ٦ يناير ١٩٥٦ (تم الإطلاع عليها مكتوبة بخط توفيق دياب لدى أسرته).
٧ ــ د. ناهد أبو العيون: صحيفة الجهاد رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الإعلام ــ جامعة القاهرة عام ١٩٧٨.

٨ــ جريدة السياسة الأسبوعية ابريل ١٩٢٧ مقالة (الأدب الماجن.. مفسدة للناشئين) بقلم محمد توفيق دياب .

٩ــ جريدة السياسة الأسبوعية : سبتمبر ١٩٢٧ مقالة (مساجلة علنية) (الأدب المكشوف والأدب المستور) .

١٠- جريدة الجهاد : ١٥ أكتوبر ١٩٣٢ . (مصاب الشعر والأدب فى أمير الشعراء أحمد شوقى) .

١١- جريدة الجهاد : الإعداد ١٠٥٧ ــ١٢٥٣ ــ١٣٥٦) . مقالات الأستاذ نجيب محفوظ تحت عناوين (معنى الفلسفة) (وعلم الآداب العامة) و(الضمير والندم والعدل من وجهة النظر الإجتماعية) .

الفصل السابع

توفيق دياب كاتباً اجتماعياً

١ ــ مجموعة مقالات السياسة الأسبوعية التى كتبها الأستاذ توفيق دياب .
٢ ــ محمد توفيق دياب : اللمحات . سياسات روحيات اجتماعيات خلقيات أدبيات دار التوزيع والطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٤٧ .

الفصل الثامن

معارك الجهاد وتوفيق دياب

١ــ صحيفة الجهاد: اعداد شهر ابريل ١٩٣٢.

٢ــ صحيفة الجهاد: ١٠ مايو ١٩٣٢.

٣ــ صحيفة الجهاد ٢٣ مايو ١٩٣٢: (استرهان مصر وثيقة خطيرة ثانية تقرير كندى باشا إلى رئيس مديرى شركة مزروعات السودان ليمتد).

٤ــ صحيفة الجهاد ٢٣ مايو ١٩٣٢: (نداء إلى إخواننا المصريين عن مشروع الكارثة الكبرى) بقلم محمد توفيق دياب.

٥ــ د. ناهد أبو العيون: صحيفة (الجهاد) رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الإعلام.. جامعة القاهرة عام ١٩٧٨.

٦ــ الأهرام: إعداد شهر مارس ١٩٣٢.

٧ــ حافظ محمود: حديث شخصى. (مارس ١٩٨٧).

٨ــ صحيفة الجهاد: فى الفترة من ١٩ يونيو إلى ٢٧ يونيو ١٩٣٥ وهو ماعرف (بالأسبوع الساخن).

٩ــ صحيفة الجهاد: ٢٠ يونيو سنة ١٩٣٥ العدد (١٣٦٥) (اكرموا ولى العهد من مثل هذا الدفاع بقلم صاحب الجهاد).

(أهم قرارات مجلس الوزراء فى جلسة أمس ــ اقتراح فى كتاب

مفتوح من صاحب المجد النبيل سليمان داود إلى سعادة وزير الزراعة). «اكرموا ولى العهد عن هذا الدفاع المزرى» بقلم محمد توفيق دياب.

١٠- صحيفة الجهاد : ٢١ يونيو ١٩٣٥ العدد (١٣٦٦).

(بدائها ترمينا جريدة البلاغ بقلم صاحب الجهاد ــ تصريح لسعادة وزير التجارة والصناعة عن تنظيم التعليم الصناعى والتجارى).

١١- صحيفة الجهاد : ٢٢ يونيو ١٩٣٥ العدد (١٣٦٧).

(الوفد المصرى يجتمع مساء يوم الاثنين ــ على الصحفتين الثالثة والخامسة اقرا لصاحب الجهاد (تستميح القراء عفوهم الكريم لمحات لابد منها من تاريخ صاحب الجهاد ــ كلمات صريحة إلى صاحب البلاغ). (أول محاضرات فى مصر ــ أول مقابلاتى للزعيم الخالد ــ فى قلم المطبوعات ــ مراقبة الصحف ــ ابتداء الحركة الوطنية (استقالتى الأولى ــ تأليف الوفد المصرى واكتتابى على المكتتبين استقالتى الثانية مسببه ــ رجاء إلى وزير الداخلية ــ الخلاف بين سعد وعدلى واشتراكى فى تحرير السياسة).

١٢- صحيفة الجهاد : ٢٣ يونيو ١٩٣٥.

(رداً على مفتريات صاحب البلاغ ــ اعتقالى بتهمة التحريض على الثورة ــ أيام التحقيق الثلاثة ــ ظروفنا فى الاستقالتين ــ تاريخ جريدة اليوم ــ استئناف الحياة النيابية ــ ابتداء العهد الصدقى ــ تاريخ قريب يعرفه المصريون ــ حادث شخصى لا صلة به بالمبدأ ولا صلة له بالعيش ــ اليمين المغلظة).

١٣- صحيفة الجهاد: ٢٤ يونيو ١٩٣٥.
(ختام ردودنا على صاحب البلاغ إلا أن يريد منا مزيداً ـ مكانة الجهاد في نفوس القراء ـ تهنئة خالصة لصاحب البلاغ عتاب آخر ـ الأمة عدتنا ـ موقفنا من الوزارة النسيمية ـ مسلك صاحب البلاغ حيال الأبراشى باشا ـ نشكر لصاحب البلاغ إتاحة هذه الفرصة).

١٤- صحيفة الجهاد: ٢٥ يونيو ١٩٣٥.
(سحقاً لمفتريات صاحب البلاغ ـ منتهى ما يستطيعه صاحب الجهاد إلى الأمة المصرية وأمم العروبة والإسلام ـ قسمنا العظيم (إيه المباهلة ـ اليمين المغلظة ـ فهل يقسم صاحب البلاغ).

١٥- صحيفة الجهاد: ٢٦ يونيو ١٩٣٥. (الصفحة الخامسة) (هذا هو الرجل الذى يتهمنا ـ حكم التأديب ـ يمحو اسم عبدالقادر أفندى حمزه من جدول المحامين ـ محكمة استئناف مصر الأهلية) ـ مجلس تأديب المحامين ـ وقائع الدعوى ـ أسباب الحكم ـ القضية الثانية ـ الحكم فى القضيتين.

١٦- صحيفة الجهاد: اعداد شهر ديسمبر ١٩٣٧.

١٧- صحيفة الجهاد: ٣ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٣١).
(ماذا يراد بقضية الاعتداء على حياة رفعة النحاس باشا؟ مغزى الغاء ندب النائب العام ـ ونقل رئيس محكمة مصر الابتدائية وزير كان محامياً عن أحمد حسين يفوه بتصريح خطير لا يتفق واحترام العدالة ـ الدستور يحتم اجراء الانتخابات العامة ـ يوم ٣ ابريل وعقد البرلمان الجديد يوم ١٣ منه).
«هذا إذا حلت الوزارة البرلمان بعد شهر» بقلم محمد توفيق دياب.

١٨- صحيفة الجهاد: ٤ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٣٢).
(نهاية الدكتور ماهر ـ ثورته على حفوف مجلس النواب وثورة المجلس لحقوقه ـ مجلس الشيوخ يتمتع بحق التعليق على تأليف الوزارة ودستورية التأجيل ـ حلاف بين الورارة هل تؤجل الانتخابات أو تجرى فى دورها الدستورى ـ الوفد يفصل الدكتور ماهر وقد طفح الكيل ـ يوم فذ فى تاريخ حياتنا البرلمانية ـ مشاهد خالدة فى مجلس النواب ـ كلمات خالدة فى مجلس الشيوخ بقلم محمد توفيق دياب ـ مقالة فى نفس العدد بعنوان (نهاية) بقلم توفيق دياب.

١٩- د. كامل دياب: مقابلة شخصية مارس ١٩٨٧ وحوار حول معركة توفيق دياب الانتخابية مع فكرى أباظة ومحمود الألفى.

٢٠- الكاتب الكبير مصطفى أمين.. مقابلة شخصية مسجلة مارس ١٩٨٧ وحوار حول توفيق دياب ومعاركه.

٢١- مصطفى أمين.. من عشرة لعشرين.. المكتب المصرى الحديث.

٢٢- مذكرة تحقيق للمعركة الانتخابية بين توفيق دياب ومحمود الألفى مع نص الجرائم التى ارتكبها محمود الألفى.

الفصل التاسع

* محمد توفيق دياب : اللمحات ــ سياسيات ــ روحيات اجتماعيات خلقيات أدبيات ــ دار التوزيع والطباعة والنشر القاهرة ١٩٤٧ .
* مصطفى أمين : من عشرة لعشرين المكتب المصرى الحديث .
* مصطفى أمين : لكل مقالة أزمة المكتب المصرى الحديث .

الباب الثانى

مسيرة «الجهاد» الصحفية

الفصل العاشر

الأهداف المتعددة للجهاد

* د. ناهد أبو العيون: صحيفة الجهاد.. رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الإعلام ـ جامعة القاهرة عام ١٩٧٨.
* أعداد متنوعة من صحيفة الجهاد خلال سنوات متفاوتة.

الفصل الحادى عشر
موقف الجهاد من الحكومات المصرية

١ ـ أحمد شفيق : حوليات مصر السياسية سنة ١٩٢٨ .
٢ ـ أحمد عبدالرحيم : تاريخ مصر السياسى من الأحتلال للمعاهدة سنة ١٩٦٧ .
٣ ـ أنور الجندى : الصحافة السياسية فى مصر عام ١٩٦٢ .
٤ ـ حافظ محمود : المعارك فى الصحافة والسياسة والفكر (١٩١٩ ـ ١٩٥٢) كتاب الجمهورية ١٩٦٩ .
٥ ـ عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية (الجزء الثانى) مكتبة النهضة المصريةو القاهرة ١٩٦٢ .
٦ ـ د. عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٨٨٢ إلى ١٩٣٦ دار الكاتب العربى القاهرة .
٧ ـ د. ناهد أبو العيون : صحيفة «الجهاد» رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الإعلام ـ جامعة القاهرة .
٨ ـ صحيفة الجهاد : أعداد شهر أكتوبر ١٩٣١ .
٩ ـ صحيفة الجهاد : أعداد شهر يونيه ١٩٣٢ .
١٠ـ صحيفة الجهاد : أعداد شهر مايو ويونية ١٩٣٣ .
١١ـ صحيفة الجهاد : أعداد شهر أبريل ١٩٣٢ .

١٢- صحيفة الجهاد: أعداد شهر يوليو وأغسطس ١٩٣٤.
١٣- صحيفة الجهاد: أعداد شهر نوفمبر ١٩٣٤.
١٤- صحيفة الجهاد: ٩ يناير ١٩٣٥ (العدد ١٢٠٤) (أضخم اجتماع وطنى فى تاريخ مصر السياسى والمؤتمر الوطنى العام للوفد المصرى — وصف متصل للجلستين الرائعتين أمس — النص الكامل للخطبة التاريخية الخالدة التى ألقاها الرئيس الجليل فى افتتاح المؤتمر — اليوم المشهود أول يومى المؤتمر الوطنى العام للوفد المصرى).
١٥- صحيفة الجهاد ١٠ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٥) وأعظم توفيق ونجاح يتجليان فى المؤتمر الوطنى العام الخطبة التاريخية الفياضة التى أبدعها المجاهد الكبير الاستاذ مكرم — باقى تقارير لجان المؤتمر كاملة — القرارات الهامة التى اتخذها المؤتمر بالإجماع — الكلمة الفريدة التى اختتم بها الرئيس المؤتمر — (جهاد) أمس واليوم — سجل كامل لأعمال المؤتمر الكلمة الختامية لدولة الرئيس الجليل).
١٦- صحيفة الجهاد: ٢٣ يناير ١٩٣٦ (١٥٦٧) الصفحة الأولى والرابعة:

(قبول استقالة الوزارة النسيمية — جلالة الملك يطلب إلى الرئيس الجليل تأليف وزارة ائتلافية — ودولته يعتذر ويقترح إشراك المعارضة فى المفاوضات إرضاء للرغبة الملكية — اجتماع الوفد المصرى أمس واستئنافه مساء اليوم.

قبول استقالة الوزارة النسيمية — تكليفها بتسيير الأعمال حتى تؤلف الوزارة القادمة — الجبهة الوطنية فى الحضرة الملكية — أدق

التفاصيل لما دار فى المقابلتين ـ جلالة الملك يطلب إلى دولة الرئيس تأليف وزارة ائتلافية ـ ودولته يعتذر ويقترح أشراك المعارضة فى المفاوضات إرضاء للرغبة الملكية ـ اجتماع الوفد المصرى واستئناف الاجتماع مساء اليوم).

١٧- الجهاد : أعداد شهر مايو ١٩٣٦ .

١٨- الجهاد : أعداد شهر نوفبر ١٩٣٦ .

١٩- الجهاد : أعداد شهرى أغسطس وسبتمبر ١٩٣٧ .

٢٠- صحيفة الجهاد : ٣٠ يناير ١٩٣٨ (العدد ٢٢٥٨) (طلائع انتخاباتهم الحرة !! تليفق الدوائر الإنتخابية لمصلحة المرشحين الوزاريين ـ حيرة الورارة وجنودها الماهريبن والنقراشيين ـ التأهب لاصطياد أصوات الناخبيين ـ مشروع تخفيض الضرائب هو مشروع انتخابى لا مشروع اقتصادى).

٢١- صحيفة الجهاد : أعداد ابريل ١٩٣٨ .

الفصل الثانى عشر

موقف الجهاد من سياسة الانجليز

١ــ د. ناهد أبو العيون: صحيفة الجهاد رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الإعلام ــ جامعة القاهرة عام ١٩٧٨.
٢ــ د. عبد العظيم رمضان: تطور الحركة الوطنية في مصر من ١٨٨٢ إلى ١٩٣٦ دار الكاتب العربى القاهرة.
٣ــ أنور الجندى: الصحافة السياسية فى مصر عام ١٩٦٢.
٤ــ عبد الرحمن الرافعى: فى أعقاب الثورة المصرية (الجزء الثانى) مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٢.
٥ــ صحيفة الجهاد: الأحد ١٠ نوفمبر ١٩٣٥ العدد (١٤٩٥) (الحكومة البريطانية تهدم تصريح ٢٨ فبراير ــ وزير خارجيتها يقول إن دستور سنة ١٩٢٣ غير صالح العمل بمقتضاة ــ الأحباش يأسرون ألف جندى صومالى ويقتحمون ذخائر حربية عظيمة فى معركة جورهاى ــ أخبار آخر ساعة ــ تصريح وزير خارجية بريطانيا فى حفل الجليد هول بلندن مساء أمس يهدم تصريح ٢٨ فبراير من أساسة ويجعل دستور مصر رهيناً بإدارة انجلترا فماذا يقول فى هذا دعاة الاتحاد؟
٦ــ صحيفة الجهاد (١٤ نوفمبر ١٩٣٥). السنة الخامسة العدد

(١٤٩٩) خطاب الرئيس التاريخي في الجموع الهائلة المحتشدة للاحتفال بذكر الجهاد ــ الرئيس يوجه الدعوة بإسم الوفد إلى (١) الأمة بعدم التعاون مع الانجلترا (٢) الوزارة بالاستقالة ويعلن (٣) عدم تأييد الوزارة إلا إذا لم تستقل (٤) مقاومة كل وزارة تقبل التعاون مع الانجليز ــ أربعون ألفاً في السرداق ــ خطبة حماسية فياضة للمجاهد الكبير ــ إطلاق الرصاص على جماهير المتظاهرين بعد انتهاء الاحتفال).

نفس العدد السابق (الصفحة الخامسة).

(يوم مصر العظيم ١٤ نوفمبر ١٩٣٥ ــ عيد الجهاد الأكبر ــ أضراب الطلبة ــ المظاهرات الشعبية في النادي السعدى ــ تجمع الألوف المؤلفة على ضريح سعد ــ في السرداق الكبير ــ تدفق الجماهير من تدفق الجماهير من الساعة الثانية ــ الهتافات الحماسية الشديدة ــ خطبة الطلبة ــ حضور الرئيس (المجاهد الكبير).

إطلاق الأعيرة النارية في شوارع القاهرة ــ تفصيلات وافية عن مظاهرات أمس الرائعة ــ احتفالات بعيد الجهاد الوطني ــ تحطيم زجاج نوافذ القنصلية البريطانية ــ ثماني حوادث بين المتظاهرين والبوليس.

٧ ــ صحيفة الجهاد: أعداد شهر يناير ١٩٣٦. ٥، ٦، ٧ يناير ١٩٣٦ (حادث مؤسف ضابط بريطاني يطلق مسدسة على عامل مصرى بشارع فؤاد بعد منتصف ليلة أمس ــ مندوب الجهاد يبلغ الأسعاف وقسم البوليس).

٨ ــ صحيفة الجهاد: (٢١ يناير ١٩٣٦) العدد (١٥٧٥) وثائق

استقالة الوزارة النسيمية وتأليف الوزارة الماهرية ـــ حديث مستفيض لدولة ماهر باشا مع الجهاد ـــ تعيين المفاوضيين الرسميين بمرسوم يصدر اليوم ـــ أسماء المفاوضين ـــ بدء المفاوضات يوم ٢٥ فبراير ـــ خطبتان للرئيس الجليل والمجاهد الكبير فى بيت الأمة مساء أمس).

الفصل الثالث عشر
توقف الجهاد عن الصدور وأو الجهاد فى عنفوان شبابها

١ ــ مجلة الاثنين: عام ١٩٣٩ (المقالة الشهيرة) وأدت جريدتى بيدى بقلم محمد توفيق دياب.

٢ ــ د. ناهد أبو العيون: صحيفة الجهاد رسالة ماجستير (غير منشورة كلية الإعلام ــ جامعة القاهرة عام ١٩٧٨.

٣ ــ الكاتب الكبير مصطفى أمين. مقابلة شخصية مارس ١٩٨٧.

٤ ــ د. كامل ودياب وصلاح دياب مقابلة شخصية مارس ١٩٨٧ حول أسباب توقف جريدة الجهاد عن الصدور.

٥ ــ مصطفى أمين: عمود (فكرة) جريدة الأخبار فى ٤ مارس ١٩٨٧.

الجزء الثانى

من توفيق دياب .. ملحمة الصحافة الحزبية

الباب الثالث

الدور الوطنى للجهاد فى مظاهرات ١٩٣٥

١ ــ صحيفة الجهاد : ١٠ نوفمبر ١٩٣٥ «العدد ١٤٩٥» (الحكومة البريطانية تهدم تصريح ٢٨ فبراير ــ وزير خارجيتها يقول (دستور سنة ١٩٢٣ غير صالح للعمل بمقتضاه).

مقالة فى نفس العدد بقلم محمد توفيق دياب بعنوان «ختام التعقيب على خطبة محمد محمود باشا».

٢ ــ صحيفة الجهاد : ١٤ نوفمبر ١٩٣٥ (العدد ١٤٩٩) (خطاب الرئيس التاريخى فى الجموع الهائلة المحتشدة للاحتفال بذكر الجهاد).

٣ ــ صحيفة الجهاد : ١٥ نوفمبر ١٩٣٥ (العدد ١٥٠٠) (تفاصيل مصادمات أمس ــ وفاة المرحومين محمد عبدالمجيد طالب كلية الزراعة والعامل سعيد الخالع ــ البوليس يسلم الجثتين لأهلهما بعد تعهد كتابى).

٤ ــ صحيفة الجهاد : ١٦ نوفمبر ١٩٣٥ «وسائل القمع دار خاص الارواح» مقالة بقلم محمد توفيق دياب.

٥ ــ صحيفة الجهاد : ١٨ نوفمبر ١٩٣٥ العدد (١٥٠٣) (تشييع جنازة شهيد دار العلوم فى مشهد رهيب يتقدمه الرئيس الجليل مساء

أمس ــ احتجاج الوفد المصرى على تصرفات الوزارة النسيمية وبقائها فى الحكم ــ تفاصيل المظاهرات فى القاهرة والاسكندرية والأقاليم).

٦ ــ صحيفة الجهاد: ١٩ نوفمبر ١٩٣٥ العدد (١٥٠٤) (نص احتجاج الوفد لدى عصبة الأمم ــ الرئيس الجليل وحرمه المصون يواسيين الجرحى فى مستشفى القصر العينى).

٧ ــ صحيفة الجهاد: ٢٠ نوفمبر ١٩٣٥ العدد (١٥٠٥): (أسبوع الشهداء ــ الأمة تشيع شهيدها السادى فى مشهد شعبى جامع رهيب ــ الرئيس الجليل وأعضاء الوفد على رأس المشيعين ــ اشتراك الجامعة فى وداع فقيدها).
(أسبوع الشهداء) مقالة فى نفس العدد السابق بقلم محمد توفيق دياب.

٨ ــ صحيفة الجهاد: ١ يوليو ١٩٣٥ (العدد ١٣٥٤) (الشرف السياسى البريطانى فى كفة الميزان ــ أو السياسة البريطانية بين الأقوال والأفعال.

٩ ــ صحيفة الجهاد: ٨ يونيو العدد (١٣٥٣) (تأليف الوزارة البريطانية الجديدة وأسماء أعضائها ــ ألاعيب ومداورات تشين الدبلوماسية البريطانية وتجنى على سمعة الشعب البريطانى.

الباب الرابع
توفيق دياب سجيناً من أجل الرأى الحر

١ ــ عباس محمود العقاد : عالم السدود والقيود .

٢ ــ عباس محمود العقاد : سعد زغلول سيرة وتحية سنة ١٩٣٦ .

٣ ــ دوتسويفسكى : ذكريات من بيت الموتى ــ ترجمة نديم مرعشلى (الكتاب اللبنانى ــ بيروت) .

٤ ــ مصطفى أمين : من عشرة لعشرين ــ المكتب المصرى الحديث .

٥ ــ مصطفى أمين : لكل مقال أزمة ــ المكتب المصرى الحديث .

د. ناهد أبو العيون : « صحيفة الجهاد » (رسالة ماجستير) ١٩٧٨ غير منشورة ــ كلية الإعلام ــ جامعة القاهرة .

٧ ــ مجلة اللطائف المصورة : مقال لمكرم عبيد باشا بعنوان دياب سجين قره ميدان (العدد ٩٤٤ ــ ١٣ مارس ١٩٣٣ صفحة ٢) .

٨ ــ مجلة اللطائف المصورة .

محمد توفيق دياب كما أعرفه وموقف الصحافة فى محنته مقال لعباس حافظ (العدد ٩٤٥ ــ ٢٠ مارس ١٩٣٣ صفحة ٤) .

٩ ــ مجلة اللطائف المصورة : معلومات عن معاملته فى السجن سنة ١٩٣٣ (العدد ٩٤٧ ــ ١٣ ابريل صفحتى ٢١ ، ٢٢) .

١٠ ــ مجلة آخر ساعة : رأيه فيما يجب أن تكون عليه معاملة الصحفيين فى السجن (العدد ٢٧ / ١٣ يناير ١٩٣٥ صفحة ٢٤) .

١١ ــ مجلة آخر ساعة : كان يدخن ٥ علب سجاير فى اليوم سنة ١٩٣٥ (العدد ٤٧ ــ ٢ يونيو ١٩٣٥ صفحة ٣٣) .

١٢ ــ مجلة آخر ساعة : من ذكريات السجن (العدد ٤٢١ ــ ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٢) .

الباب الخامس

العقاد والجهاد وتوفيق دياب

١ ــ صحيفة الجهاد: الاعداد من ٢٨ أكتوبر ١٩٣٢ وحتى نوفبر ١٩٣٢.

٢ ــ د. محمد حسين هيكل: مذكرات فى السياسة المصرية الجزء الأول.

٣ ــ د. محمد عبدالمنعم خفاجي ود. عبد العزيز شرف: العقاد بين الأدب والصحافة.

١ ــ صحيفة الجهاد: ٧ نوفبر ١٩٣٢: ماذا وراء السير برس لورين؟! بقلم عباس محمود العقاد.

٥ ــ صحيفة الجهاد: الأعداد من ١٩ ديسمبر وحتى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٢.

٦ ــ صحيفة الجهاد: ٢٣ ديسمبر ١٩٣٢ «حادثة البدارى وألف حادثة مثلها لاتمنع المستعمرون أن يفاوضوا: بقلم عباس محمود العقاد.

٧ ــ صحيفة الجهاد: ١٤ سبتمبر ١٩٣٥: (قصة التحاق العقاد بالجهاد) مقالة بقلم محمد توفيق دياب.

٨ ــ مذكرات فاطمة اليوسف.

٩ـــ روزاليوسف اليومية : ٢٥ سبتمبر ١٩٣٥ (الفضائح الدامغة للمهرج السياسى الدجال بقلم العقاد .

١٠- د . راسم محمد الجمال : العقاد زعيماً ـــدار المعارف ـــ القاهرة .

١١- صحيفة الجهاد : ٩ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٤) . «قصيدة بين عهدين» لأمير الشعراء الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد !!

١٢- صحيفة الجهاد : ٢٦ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٥٤) : «العقاد بين يومه وأمسه» بقلم صليب النهماوى .

الباب السادس
الجهاد والشئون العربية
الفصل الأول
وكانت الجهاد ملتقى العرب

١ ــ صحيفة الجهاد : أعداد شهر سبتمبر ١٩٣١ .
٢ ــ صحيفة الجهاد : ١٩ أكتوبر عام ١٩٣١ (جريدة صدقى باشا ومصرع الزعيم عمر المختار) .
د . كامل دياب : مقابلة شخصية مارس ١٩٨٧ والحصول على صور تم التقطها فى دار جريدة الجهاد للوفود العربية .

الفصل الثانى

الجهاد ومشكلة فلسطين

أهتمام مبكر للجهاد بالمشكلة الفلسطينية

١ ـ أحمد بهاء الدين: «اسرائيليات ومابعد العدوان» كتاب الهلال نوفمبر ١٩٦٧.
٢ ـ صحيفة الجهاد: ١٦ مايو سنة ١٩٣٦. (تفاقم الحالة فى فلسطين ـ قتيلان وعشرون جريحاً منهم ثلاثة فى حالة خطرة والشقيقة فلسطين فى مآساتها) فلسطين الحائرة الدامية بين العرب واليهود والانجليز كلمة هادئة وسط العاصفة).
٣ ـ صحيفة الجهاد: ٢٢ مايو ١٩٣٦: (امتداد ثورة فلسطين إلى عمان وشرق الأردن ـ المظاهرات فى أنحاء البلاد ـ تعطيل جريدة فلسطين.
٤ ـ صحيفة الجهاد: ٢٤ مايو ١٩٣٦ (تفاقم الاضطرابات) فلسطين ـ مصادمات بين الأهالى والجند ـ قتل بوليس عربى ـ الأمير عبدالله يسلم مذكرة جديدة إلى المندوب السامى).
٥ ـ صحيفة الجهاد: ٢٧ مايو ١٩٣٦ (صورة فريدة عن حوادث الاضطرابات فى فلسطين).
٦ ـ صحيفة الجهاد: أيام ٢٨ و٢٩ و٣٠ مايو ١٩٣٦ (فلسطين فى محنتها أشد القضايا الشرقية تعقيداً ـ فلسطين ثائرة فماذا يكون المصير ـ فلسطين فى محنتها).

٧ـ صحيفة الجهاد : ٢٩ مايو ١٩٣٦ : فلسطين فى محنتها مقالة بقلم الأستاذ نسيم صبيحة .
٨ـ صحيفة الجهاد : ٢٨ مايو ١٩٣٦ (أيها المصريون الكرام ـ المسجد الأقصى فى خطر فهبوا لانقاذه) .
٩ـ صحيفة الجهاد : ٢٥ مايو ١٩٣٦ : (فلسطين الشهيرة الثائرة ندوة عن فلسطين) .
١٠- صحيفة الجهاد : ٢٤ سبتمبر ١٩٣٦ : (عمل منكر لا يجوز ـ خدماً مصريون يرافقون الجيش البريطانى إلى الشقيقة فلسطين) .
١١- حديث إذاعى : بعنوان : «الدول الكبار والصغار» فى ١٩٤٨/٧/١٤ بث فى خلال الاذاعة المصرية تم الحصول عليه مكتوباً بخط الاستاذ توفيق دياب من أسرته .
١٢- حديث إذاعى : بعنوان «حماة الصهيونية سيندمون» بتاريخ ١٩٤٨/٨/٤ القاه من الإذاعة المصرية بصوته الاستاذ توفيق دياب .
١٣- جريدة الأخبار : مقالة (الأمة العربية تغلى حفيظتها) بقلم توفيق دياب فى ١٧ ديسمبر ١٩٥٥ .
١٤- مجلة اللطائف المصورة : (زيارة توفيق دياب لفلسطين) العدد (١٠١٥) ـ ٢٣ يوليو ١٩٣٤ صفحة ١٤) .

الباب السابع
أسلوب توفيق دياب السياسى

١ ــ صحيفة الجهاد : ٢٧ مايو ١٩٣٧ العدد (٢٠٤١) : (مصر أمست عضواً فى عصبة الأمم بإجماع الأصوات ــ ممثلاً ٤٩ أمة يستقلون مصر بالترحاب العميق والتصفيق الطويل ــ أمس توج استقلال مصر التام فى عصبة الأمم ــ وفى الغد يتوج ملكها فى البرلمان).

٢ ــ صحيفة الجهاد : ٢٨ مايو ١٩٣٧ (العدد ٢٠٤٢) : (دخول مصر فى عصبة الأمم حادى دوى جليل وتتويج عالمى مجيد لاستقلال مصر التام يعود عليها بأعظم المنافع الأدبية والمادية).

٣ ــ صحيفة الجهاد : أول يونية ١٩٣٥ العدد (١٣٥٤) (الشرق السياسى البريطانى فى كفة الميزان ــ أو السياسة البريطانية بين الأقوال والأفعال ــ إجماع زعماء الأحزاب البريطانية فى مجلس النواب فى سنة ١٩٢٨ على وجوب احترام الدستور المصرى).

٤ ــ صحيفة الجهاد : ٨ يونيو ١٩٣٥ العدد (١٣٥٣) (ألاعيب ومداورات تشين الدبلوماسية تجنى على سمعة الشعب البريطانى).

٥ ــ صحيفة الجهاد : ٣ يناير ١٩٣٦ العدد (١٥٤٧) : «لو احترم

البريطانيون مشروع هندرش ــ النحاس » بقلم محمد توفيق دياب .

٦ ــ صحيفة الجهاد : ٩ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٤) : (أضخم اجتماع وطنى فى تاريخ مصر السياسى : المؤتمر الوطنى العام للوفد المصرى ــ وصف مستقل للجلستين الرائعتين أمس) .

٧ ــ صحيفة الجهاد : ١٠ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٥) (أعظم توفيق ونجاح يجليان فى المؤتمر الوطنى العام ــ الخطبة التاريخية الفياضة التى أبدعها المجاهد الكبير الأستاذ مكرم ــ باقى تقارير لجان المؤتمر كاملة ــ القرارات الهامة التى اتخذها المؤتمر بالإجماع) .

٨ ــ صحيفة الجهاد : ١١ يناير ١٩٣٥ العدد (١٢٠٦) : (الوفود الحاشدة فى بيت الأمة والنادى السعدى لتحية الزعيم الأمين وأم المصريين ــ عرفات الوطنية المصرية أو المؤتمر الوفدى بقلم الاستاذ العقاد) .

٩ ــ صحيفة الجهاد : ٣١ يناير ١٩٣٦ العدد (١٥٧٥) (استقالة الوزارة النسيمية وتأليف الوزارة الماهرية ــ حديث مستفيض لدولة ماهر باشا مع الجهاد) .

١٠- صحيفة الجهاد : ٢٣ يناير ١٩٣٦ العدد (١٥٦٧) : (قبول استقالة الوزارة ــ جلالة الملك يطلب إلى الرئيس الجليل تأليف وزارة ائتلافية ــ دولته يعتذر ويقترح أشراك المعارضة فى المفاوضات) .

١١- صحيفة الجهاد : ١٠ يناير ١٩٣٦ العدد (١٥٥٤) : (الجمعية العمومية للمحامين اليوم ــ التزامهم إعادة انتخاب الاستاذ مكرم نقيباً .

١٢- صحيفة الجهاد : ٣ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٣١) : (ماذا يراد بقضية الاعتداء على حياة رفعة النحاس باشا ؟! مغزى الغاء ندب النائب العام ــ ونقل رئيس محكمة مصر الابتدائية وزير كان محامياً عن أحمد حسين يفوه بتصريح خطير لا يتفق واحترام العدالة) .

١٣- صحيفة الجهاد : ٤ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٣٢) : مقالة بقلم الاستاذ توفيق دياب بعنوان « نهاية » .

١٤- صحيفة الجهاد : ١٦ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٢٤٤) (سفر الرئيس الجليل إلى بورسعيد ــ وداع رائع بالمحطة ــ استقبال حماس فى بنها) .

١٥- صحيفة الجهاد : ٣ يناير ١٩٣٨ العدد (٢٥٥٨) (طلائع انتخاباتهم الحرة !! ــ تلفيق الدوائر الانتخابية لمصلحة المرشحين الوزرايين ــ حيرة الوزارة وجنودها الماهريين والنقراشيين) .

١٦- صحيفة الجهاد : ٢٠ فبراير ١٩٣٨ العدد (٢٢٧٧) (اضطهاد الوفديين فى أنحاء القطر المختلفة يعيد إلى مصر العهد البغيض ــ مظالم يرتكبها البوليس ورجال الإدارة) .

١٧- صحيفة الجهاد : ٢٠ يونيو ١٩٣٥ العدد (١٣٦٥) (اكرموا ولى العهد عن هذا الدفاع المزرى) بقلم توفيق دياب .

١٨- صحيفة الجهاد : ٢١ يونيو ١٩٣٥ العدد (١٣٦٦) (بدائها ترمينا جريدة البلاغ) بقلم توفيق دياب .

١٩- صحيفة الجهاد : ٢٢ يونيو ١٩٣٥ العدد (١٣٦٧) (الوفد المصرى يتجمع مساء يوم الاثنين ــ على الصفحتين الثالثة والخامسة اقرا لصاحب الجهاد (نستميح القرار عفوهم الكريم ــ لمحات لابد

منها من تاريخ صاحب الجهاد).

٢٠- صحيفة الجهاد: ٢٤ يونيو ١٩٣٥: (ختام ردودنا على صاحب الجهاد إلا أن يريد منا مزيداً ــ وكان الجهاد فى نفوس القراء ــ تهنئة خالصة لصاحب البلاغ).

٢١- صحيفة الجهاد: ٢٥ يونيو ١٩٣٥: (سحقاً لمفتريات صاحب البلاغ ــ منتهى ما يستطيعه صاحب الجهاد إلى الأمة المصرية وأمم العروبة والإسلام ــ قسمنا العظيم).

٢٢- صحيفة الجهاد: ٢٦ يونيو ١٩٣٥: (حكم التأديب ــ بمحو اسم عبدالقادر أفندى حمزة من جدول المحامين ــ محكمة استئناف مصر الأهلية).

مجلس تأديب المحامين ــ وقائع الدعوى ــ أسباب الحكم ــ القضية الثانية ــ الحكم فى القضيتين).

الباب الثامن
توفيق دياب متصوفاً

١ ــ الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين .
٢ ــ الإمام الغزالى : مقاصد الفلاسفة .
٣ ــ الإمام الغزالى : تهافت الفلاسفة .
٤ ــ الإمام الغزالى : المنقذ من الضلال .
٥ ــ مأمون غريب : الإمام الغزالى والتصوف .
٦ ــ محمد توفيق دياب : اللمحات ــ سياسيات ــ روحيات ــ اجتماعيات خلقيات أدبيات ــ دار التوزيع والطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٤٧ .
٧ ــ مأمون غريب : توفيق دياب .. كانت آخر كلماته دعاء . مجلة آخر ساعة فى أول ديسمبر ١٩٦٧ .
٨ ــ توفيق دياب : أدعية من مفكرته الخاصة .
٩ ــ الشاعر عزيز أباظة : كلمته فى تأبين توفيق دياب (كتاب المجمعيون ــ مهدى علام) .
١٠- جميل صليبا : تاريخ الفلسفة العربية ــ دار الكتاب اللبنانى بيروت .

الباب التاسع
توفيق دياب فى عيون معاصريه

مقابلات شخصية مع :

١ ـ الكاتب الكبير مصطفى أمين « مسجلة » .

٢ ـ شيخ الصحفيين حافظ محمود .

٣ ـ الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوى « مسجلة » .

٤ ـ عبد المغنى سعيد ربع قرن مع السياسة المصرية .

الباب العاشر
فلسفة الموت فى فكر توفيق دياب

* جاك شورن: الموت فى الفكر الغربى ترجمة كامل يوسف (عالم المعرفة ـ الكويت).
* محمد توفيق دياب: اللمحات. سياسيات روحيات اجتماعيات خلقيات أدبيات ـ دار التوزيع والطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٤٧.
* مجلة آخر ساعة: العدد ٣٦٨ ـ ١٩ أكتوبر ١٩٤١ صفحة ٩
حديث مع توفيق دياب: ماذا يطلب فى ليلة القدر؟
أن يكون ولده «صلاح» سعيداً فى آخرته سعادته فى دنياه.
* جريدة الأهرام: ٢٢ فبراير ١٩٦٣ (توفيق دياب يدخل فجأة مستشفى المبرة).
* جريدة الأهرام: ٤ نوفمبر ١٩٦٤ (توفيق دياب يعانى من وعكة روماتيزم).
* جريدة الأهرام: ٢٦ مايو ١٩٦٥ (توفيق دياب يطلب الأذن بالعلاج فى لندن).
* جريدة الأهرام: ١٤ نوفمبر ١٩٦٧ (وفاة توفيق دياب).
* جريدة الأخبار: ١٤ نوفمبر ١٩٦٧ (وفاة صاحب الجهاد).
* جريدة الجمهورية: ١٤ نوفمبر ١٩٦٧ (وفاة توفيق دياب).

مراجـــع عـــامة

أولا: المرجع الأصيل: أعداد جريدة الجهاد منذ صدورها فى ١٧ سبتمبر ١٩٣١ وحتى توقفت فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٣٩.

مراجع عربية:

١ ـ **إبراهيم إمام:** فن الأخراج الصحفى. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة سنة ١٩٦٥.

٢ ـ **إبراهيم عبدة:** تطور الصحافة المصرية. مكتبة الأداب. الطبعة الثالثة ـ القاهرة سنة ١٩٥١.

٣ ـ **أحمد بهاء الدين:** إسرائيليات وما بعد العدوان كتاب الهلال. نوفبر ١٩٦٧.

٤ ـ **أحمد شفيق:** حوليات مصر السياسية. الحولية الثانية. مطبعة حوليات مصر السياسية. سنة ١٩٢٨.

٥ ـ **أحمد شفيق:** حوليات مصر. الحولية الخامسة.

٦ ـ **أحمد عبد الرحيم:** تاريخ مصر السياسى من الأحتلال للمعاهدة. دار المعارف. القاهرة. سنة ١٩٦٧.

٧ ـ **أنور أحمد:** خطباء صنعوا التاريخ ـ دار المعارف ١٩٧٦.

٨ ـ **أنور الجندى:** الصحافة السياسية فى مصر. مطبعة الرسالة. القاهرة سنة ١٩٦٢.

٩ ـ **الإمام الغزالى:** أحياء علوم الدين.

١٠ ـ **الإمام الغزالى:** مقاعد الفلاسفة.

١١ ـ **الإمام الغزالى:** تهافت الفلاسفة.

١٢ ـ **الإمام الغزالى:** المنفذ من الضلال.

١٣ - **حافظ محمود:** المعارك فى الصحافة والسياسة والفكر (١٩١٩ـــ ١٩٥٢) كتاب الجمهورية ـــ ١٩٦٩).
١٤ - **جاك شورون:** الموت فى الفكر الغربى ترجمة كامل يوسف (عالم المعرفة ـــ الكويت).
١٥ - **جميل صليبا:** تاريخ الفلسفة العربية ـــ دار الكتاب اللبنانى بيروت.
١٦ - **خليل صابات:** الصحافة مهنة ورسالة ـــ دار المعارف.
١٧ - **دوتسويفسكى:** ذكريات من بيت الموتى ـــ ترجمة نديم مرعشلى (الكتاب اللبنانى ـــ بيروت).
١٨ - **راسم محمد الجمال:** العقاد زعيما ـــ دار المعارف ـــ القاهرة ١٩٥٨.
١٩ - **زكى نجيب محمود:** القصيدة الثانية، للإمام الغزالى.
٢٠ **سامى عزيز:** ثورة فى الصحافة ـــ القاهرة مطبعة مصر ١٩٥٦.
٢١ - **عباس محمود العقاد:** سعد زغلول ـــ سيرة وتحية. سنة ١٩٣٦.
٢٢ - **عباس محمود العقاد:** عالم السدود والقيود.
٢٣ - **عبد الرحمن الرافعى:** ثورة سنة ١٩١٩. تاريخ مصر القومى من ١٩١٤ إلى ١٩٢١. الجزء الأول. مكتبة النهضة المصرية القاهرة. سنة ١٩٥٩.
٢٤ - **عبد الرحمن الرافعى:** فى أعقاب الثورة المصرية. الجزء الأول. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. سنة ١٩٥٩.
٢٥ - **عبد الرحمن الرافعى:** فى أعقاب الثورة المصرية. الجزء الثانى. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٦٢.
٢٦ - **عبد الرحمن الرافعى:** مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية.

مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . سنة ١٩٤٩ .
٢٧ - **عبدالعزيز شرف :** فن المقال الصحفى ــ دار المعارف .
٢٨ - **عبدالعظيم رمضان :** تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٨٨٢ إلى ١٩٣٦ . دار الكاتب العربى . القاهرة . سنة ١٩٥٨ .
٢٩ - **عبداللطيف حمزة :** أدب المقاله الصحفية . الجزء السابع ــ دار الفكر العربى . القاهرة . سنة ١٩٥٥ .
٣٠ - **عبداللطيف حمزة :** المدخل فى فن التحرير الصحفى ــ دار الفكر العربى .
٣- فاروق أبو زيد : أزمة الفكر القومى فى الصحافة المصرية .
٣- **محمد توفيق دياب :** اللمحات . سياسيات روحيات إجتماعيات خلقيات أدبيات . دار التوزيع والطباعة والنشر القاهرة . سنة ١٩٤٧ .
٣٣ - **محمد حسين هيكل :** مذكرات فى السياسة المصرية . الجزء الأول . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة سنة ١٩٥٩ .
٣٤ - **مصطفى أمين :** من عشرة لعشرين ــ المكتب المصرى الحديث .
٣٥ - **مصطفى أمين :** لكل مقال أزمة . المكتب المصرى الحديث .
٣٦ - **مهدى علام :** (المجمعيون فى ٥٠ عاما) مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٨٦ .
٣٧ - **ناهد أبو العيون :** «صحيفة الجهاد» (رسالة ماجستير) ١٩٧٨ غير منشورة ــ كلية الأعلام ــ جامعة القاهرة .

ثالثاً : دوريات مصرية :

١ ــ الصحف :

١ ــ من أعداد صحيفة الأهرام . المعاصره لصدور «الجهاد» .

٢ ــ من أعداد صحيفة البلاغ. المعاصرة لصدور «الجهاد».
٣ ــ من أعداد صحيفة السياسة. من سنة ١٩٢٢ ــ ١٩٣٨.
٤ ــ من أعداد صحيفة الضياء. سنة ١٩٣٠.
٥ ــ من أعداد صحيفة المقطم. المعاصره لصدور «الجهاد».
٦ ــ من أعداد صحيفة اليوم. سنة ١٩٣٠ ــ ١٩٣١.
٧ ــ من أعداد صحيفة كوكب الشرق. المعاصرة لصدور «الجهاد».

ب ــ المجلات:

١ ــ مجلة الأثنين. شهر نوفير سنة ١٩٣٩.
٢ ــ مجلة كلية الحقوق. السنة الثانية. العدد الثالث سنة ١٩٤٥.
٣ ــ مجلة مجمع اللغة العربية. سنة ١٩٥٨ وسنة ١٩٦٨.
٤ ــ مجلة الهلال.
٥ ــ اللطائف المصورة.
٦ ــ آخر ساعة.
٧ ــ المصور.

رابعاً: ملف صحيفة الجهاد:

بقسم المطبوعات ــ تراخيص الصحف القديمة بالهيئة العامة للاستعلامات.

خامساً: مقابلات شخصية مع الأساتذه/

١ ــ مصطفى أمين (مسجلة).
٢ ــ حافظ محمود.
٣ ــ عبدالرحمن الشرقاوى (مسجلة).
٤ ــ أحمد السيد حمد.

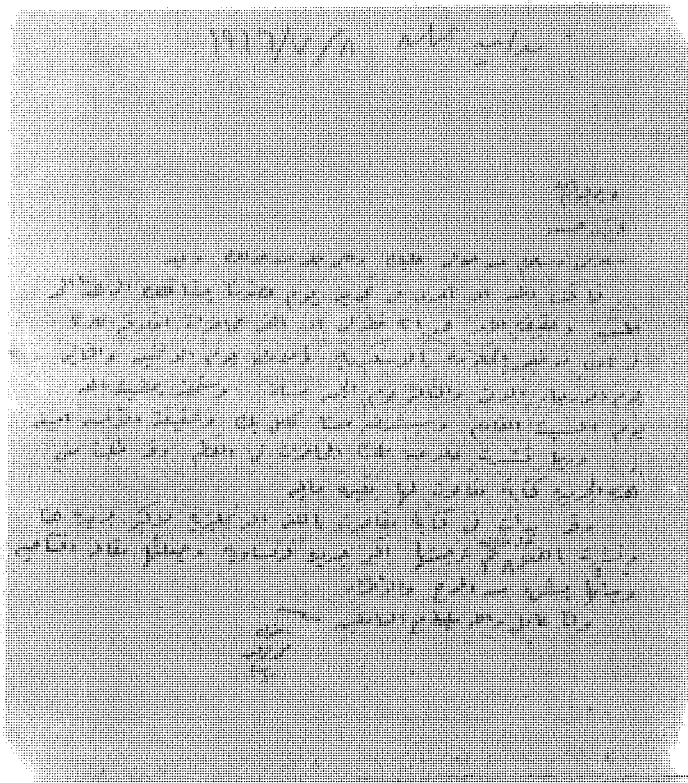
٥ ــ د. كامل دياب (مسجلة).
٦ ــ صلاح دياب (مسجلة).

سادساً: رسائل خاصة لتوفيق دياب

مجموعة من الرسائل الخطية الخاصة بتوفيق دياب والتى أرسلها من لندن إلى أسرته.

ملاحق الكتاب

ملحق رقم (١)

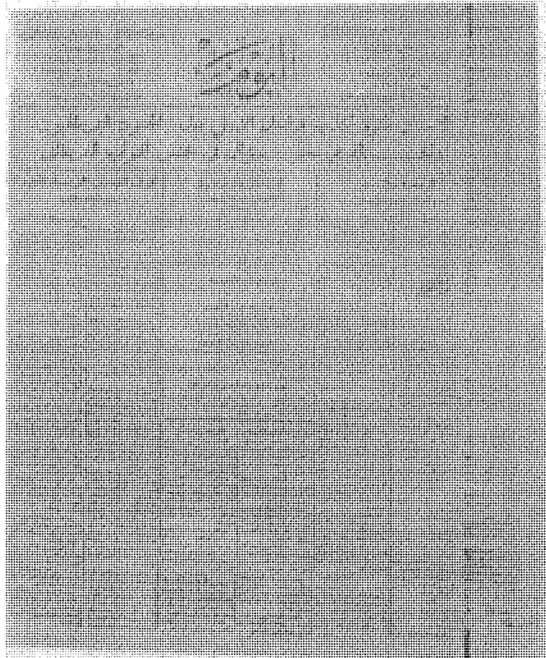


نص خطاب توفيق دياب فى بداية حياته العملية إلى أسرته « بتاريخ ٨ يوليو عام ١٩١٦ » من ملاحق « الجزء الأول » من الكتاب .

ملحق رقم (٢)

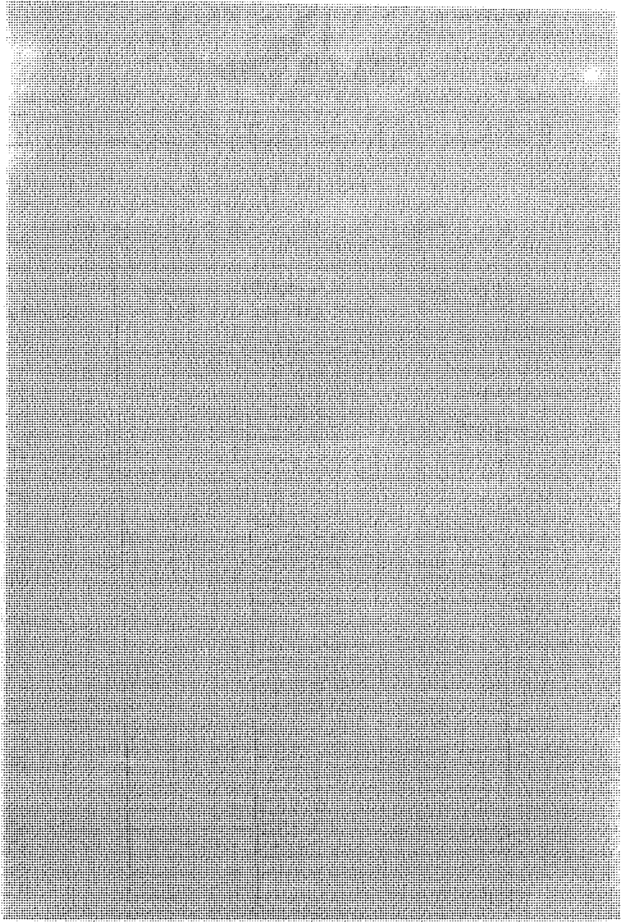
«جزء من نص خطاب توفيق دياب الذى أرسله من لندن إلى أسرته بالقاهرة» من ملاحق الجزء الأول من الكتاب.

ملحق رقم (٣)



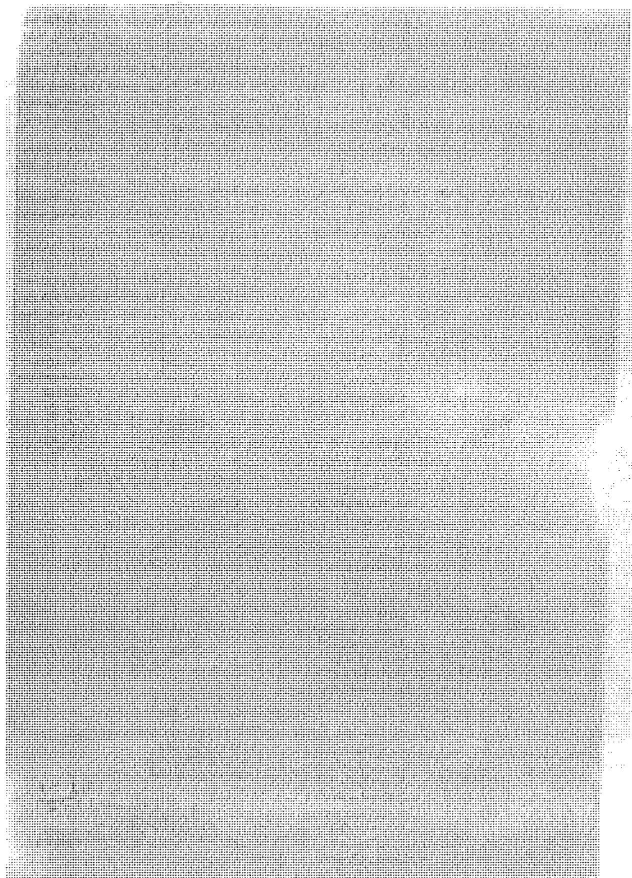
صحيفة اليوم صحيفة وفدية أصدرها توفيق دياب فى يناير ١٩٣٠ — من ملاحق الجزء الأول.

ملحق رقم (٤)



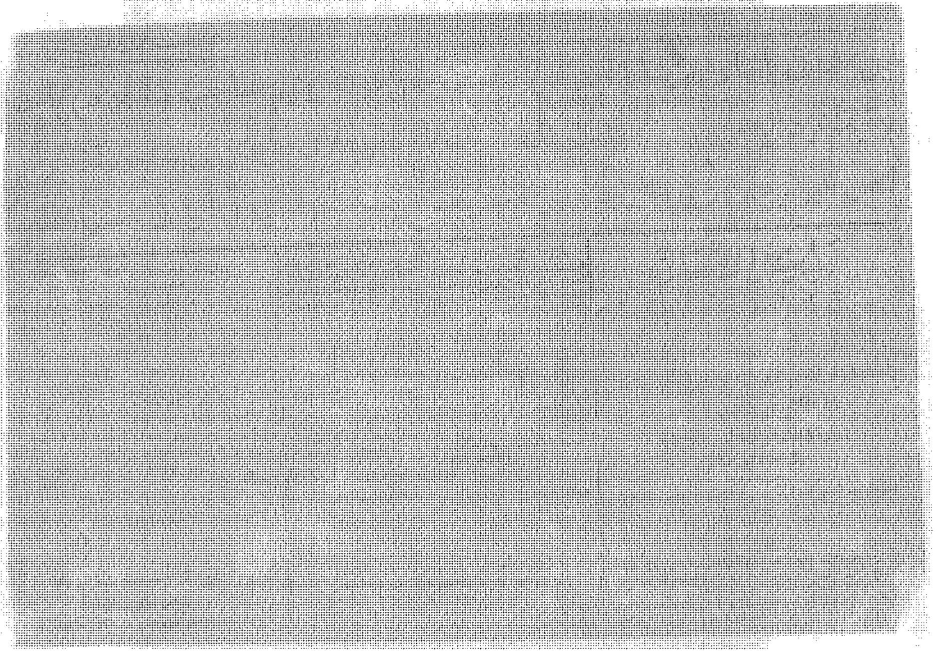
صحيفة الجهاد صورة للصفحة الأولى ويظهر فيها مقال توفيق دياب رئيس التحرير تحت عنوان « حديث الصباح » .

ملحق رقم (٥)



مقالة توفيق دياب فى الجهاد «صدقى باشا لن يفاوض اليوم» من ملاحق الجزء الأول .

ملحق رقم (٦)



الصراع بين صدقي باشا وجريدة الجهاد من ملاحق الجزء الأول.

ملحق رقم (٧)



الصفحة الأولى من جريدة «الجهاد» الصادرة فى ١٤ نوفبر ١٩٣٥ وبها اسم الطالب جمال عبدالناصر ضمن قائمة الجرحى الذين أصيبوا فى مظاهرات ١٩٣٥». من ملاحق الجزء الأول من الكتاب.

ملحق رقم (٨)



VICKS

مقالة «توفيق دياب سجين قره ميدان» بقلم / مكرم عبيد. من ملاحق الجزء الثانى من الكتاب.

ملحق رقم (٩)



مع الاستاذ دياب فى السجن فى قره ميدان اللطائف المصورة ١٠ ابريل ١٩٣٣ من ملاحق الجزء الثانى من الكتاب .

تم الكتاب بجزئيه الأول والثانى

بحمـــــد اللـــــه

رقم الأبداع: ٨٢٣٦/ ١٩٨٩.

هـذا الكتـاب

توفيق دياب هو بحق ملحمة الصحافة بل قل هو ملحمة حياة وطنية سياسية صحفية زاخرة بالمواقف الوطنية النبيلة ... ثرية بالتجارب السياسية الفريدة ... متوجة بالمعارك النضالية الرائعة .

كان عليه ان يشد المستحيل ليصبح واقعاً وان يشد الواقع ليصبح ممكناً وقد كان ... فتعددت صفاته والقابه ... فهو بحق شخصية متفردة بكل المقاييس ... سواء مقاييس عصره أو عصرنا ... فهو يحمل هيبة الخلود وسمة المعاصرة بل هو دون أية مبالغة من الشخصيات التى من الصعب أن تتكرر لأنه ضرب بسهم وافر فى جميع الاتجاهات فهو الأديب المتصوف والكاتب الاجتماعى اللاذع والسياسى المحنك وأول صحفى برلمانى فى تاريخ الصحافة المصرية وأول صحفى يدخل مجمع اللغة العربية ... والمناضل السجين ... وصاحب الجهاد ... وخطيب ثورة ١٩١٩ وقائمة طويلة من الصفات والألقاب التى لا تنتهى .

وهذا هو الجزء الثانى من كتاب « توفيق دياب .. ملحمة الصحافة الحزبية » للأديب والكاتب المعروف محمود فوزى الذى سبق وان قدم للمكتبة العربية العديد من الكتب والدراسات السياسية والتاريخية والصحفية الهامة .

وهذا هو أول كتاب عن شخصية الكاتب الكبير تو
بلا شك إضافة جديدة للمكتبة العربية .